تصوير المجتمع

في روايتي أمير تاج السر "صائد اليرقات" و "٣٦٦"

(Taswir -al-mujtama' fi riwayatay Amir Taj as-Sir "Sai'd- al-yarqat" wa "٣٦٦")

بحث جامعي لنيل شهادة ما قبل الدكتوراه

الباحث

محمد شريف. أي

مركز الدراسات العربية والإفريقية

مدرسة دراسات اللغة والآداب والثقافة

جامعة جوهرلال نهرو، نيو دلهي

الهند، ١١٠٠٦٧

٢٠١٥

مركز الدراسات العربية والإفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi - 110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067
Gram: JAYENU Tel : 26704253 Fax : 91-11-2671 7525

DECLARATION

23 July 2015

I declare that the dissertation entitled **"Depiction of society in Amir Taj as-Sir's two novels "Hunter of the Larvae" and "366"** submitted by me is in the partial fulfillment of the requirements for the award of the degree of Master of Philosophy of this university. This dissertation is my original research work and has not been submitted for any other degree of this university or of any other universities/ institutions.

23/7/15

MUHAMMED SHEREEF.I

(Research Scholar)

CERTIFICATE

We recommend that this dissertation be placed before the examiners for evaluation.

Prof. A. Basheer Ahmad
Professor
Centre of Arabic & African Studies
SLL&CS
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067, India

Prof. A. BASHEER AHMAD

(Supervisor)

Prof. MUJEEBUR RAHMAN

(Chairperson)

Chairperson
Centre of Arabic & African Studies
School of Languages
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067.

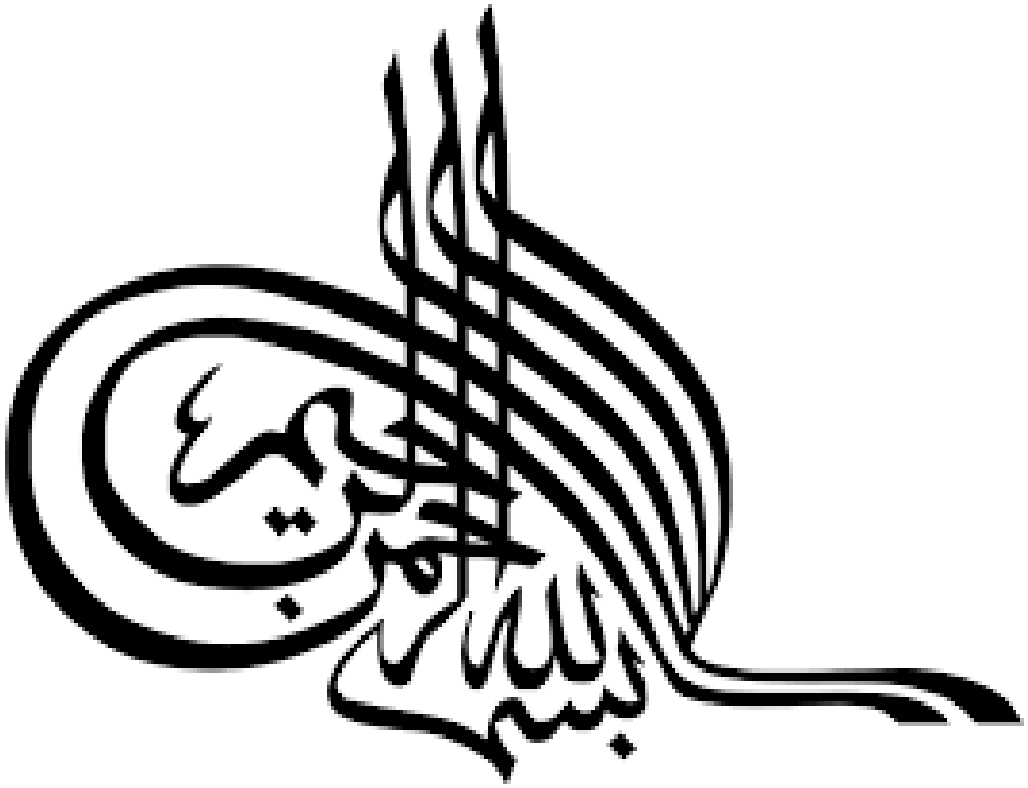
بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

المقدمة **١**

الباب الأول: الرواية العربية في السودان: ومضات تاريخية **٦**

الفصل الأول: الرواية العربية المعاصرة **٧**

المبحث الأول: مفهوم الرواية ٧

المبحث الثاني: الرواية العربية المعاصرة ٨

المبحث الثالث: الرواية العربية الحديثة ونشأتها ١٠

المبحث الرابع: ارتقاء الرواية العربية المعاصرة ومساهمات الجائزات الأدبية فيه ١١

الفصل الثاني: لرواية العربية في السودان **١٨**

المبحث الأول: الثقافة السودانية كانت ثقافة شعرية ٢١

المبحث الثاني: المشهد الروائي في السودان عبر المراحل ٢٤

المبحث الثالث: الرواية العربية المعاصرة في السودان: واقعها وآفاقها ٢٧

المبحث الرابع: مكانة الرواية السودانية في المستوي العالمي ٣٠

الفصل الثالث: خريطة السرديات الحديثة في السودان: بعض الشخصيات المتميزة فيها **٣٢**

المبحث الأول: الطيب صالح ٣٤

المبحث الثاني: عبد العزيز بركة ساكن ٣٥

المبحث الثالث: حمور زيادة ٣٧

المبحث الرابع: بعض الروايات السودانية مع أصحابها ٣٩

الباب الثاني: د. أمير تاج السر: حياته وأعماله **٤٣**

الفصل الأول: د. أمير تاج السر: حياته الإبداعية **٤٤**

المبحث الأول: ميزات أسلوبه الأدبي ٤٥

المبحث الثاني: التجربة الطبية في حياة الكاتب ٤٥

المبحث الثالث: تجرباته الشخصية في الكتابة ٤٦

المبحث الرابع: الشعر عنده ٤٧

الفصل الثاني: د. أمير تاج السر كروائي **٥١**

المبحث الأول: أسلوبه الروائي ٥١

المبحث الثاني: مدرسة (أمير تاج السر) الروائية ٥٢

المبحث الثالث: كتابته الروائية ٥٤

الفصل الثالث: اتجاهاته المتداولة في كتاباته وتأليفاته **٥٨**

المبحث الأول: اتجاهان مهمان في الكتابة ٥٩

المبحث الثاني: مساهماته الأدبية ٦٢

الباب الثالث: تصوير المجتمع في روايتي أمير تاج السر "صائد اليرقات" و "٣٦٦" **٦٤**

الفصل الأول: عتبات الرواية "صائد اليرقات" **٦٥**

المبحث الأول: تلخيص "صائد اليرقات" ٦٩

المبحث الثاني: أسلوب الرواية "صائد اليرقات" ٧٠

الفصل الثاني: عتبات النص لرواية "٣٦٦" **٧٤**

المبحث الأول: تلخيص قصة "٣٦٦" ٧٦

المبحث الثاني: لمسات الحب في "٣٦٦" ٧٧

المبحث الثالث: ميزات الرواية "٣٦٦" ٨٣

الفصل الثالث: تصوير المجتمع في روايتي أمير تاج السر "صائد اليرقات" و "٣٦٦" **٨٥**

المبحث الأول: مفهوم المجتمع ٨٦

المبحث الثاني: المجتمع السوداني: ملامحه وصوره ٨٧

الفصل الرابع: القضايا الاجتماعية والمجتمع السوداني **٨٩**

المبحث الأول: موقفه تجاه عادات الزواج ٩٢

المبحث الثاني: المجتمع والوسائل الاجتماعية ٩٥

المبحث الثالث: فنادق المدينة وثقافة مجتمعها ٩٦

المبحث الرابع: الأرياف والمدن في روايتيه "صائد اليرقات" و "٣٦٦" ٩٧

الفصل الخامس: القضايا السياسية والاقتصادية في المجتمع السوداني ١٠١

المبحث الأول: إصلاح الوطن ١٠٧

المبحث الثاني: القضايا الاقتصادية ١٠٨

الفصل السادس: المواقف الثقافية والأخلاقية والدينية في روايتيه" صائد اليرقات" و"٣٦٦" ١٠٩

المبحث الأول: تأثيرات الثقافة الغربية ١١٢

المبحث الثاني: المواقف الأخلاقية ١١٤

المبحث الثالث: الجوانب الدينية ١١٧

المبحث الرابع: نزعات الحياة الفلسفية ١٢٢

المبحث الخامس: مجهودات جادة لتحقيق المرام ١٢٣

خاتمة البحث ١٢٧

المصادر والمراجع ١٣٢

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا عليه كما يحب ربنا ويرضى، اللهم ربنا لك الحمد ولك الشكر لما وفقتني لإتمام هذا البحث بكل نواحيه ولما مهدتني مسلكا واضحا سرت فيه من بداية الأمر إلى نهايته وأصلي وأسلم على سيد الأصفياء وأفضل الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد

فمما لا شك فيه، أن الرواية العربية قد احتلت موقعا مرموقا ومكانا متميزا بين الأجناس الأدبية الأخرى في عصرنا المعاصر بالرغم من أنها تمتد جذورها السردية إلى العصور القديمة حتى صارت نصوصها من أهم الإبداعات الأدبية الحديثة. ومما يجدر بالذكر هنا أن الجنس النثري يتطرق جوانب الحياة ويأخذ بحذافيرها حيث يقال إن النثر مدني حديث ولكن الشعر المعاصر يظل جافا جامدا حيث لا يتطور ولا يتداخل في عمق مواقف المجتمع كما كان في الأزمنة الماضية حتى قيل عنه إن الشعر ريفي قديم. أما الرواية العربية المعاصرة تملك أوج كمالها بتعددها في النشر والتوزيع وتنوعها في تناول الأوضاع الراهنة في معظم البلدان العربية بدعم لجنات الجائزات المتنوعة خاصة لترقية مستوى الرواية العربية وتأكيد القراءات المستمرة من قبل المهتمين بها وتوفير طباعتها ونشرها. وفي هذا الإطار لا يمكن لمن له إلمام عميق واطلاع واسع على تاريخ الأدب العربي أن يتجاهل عن دور الرواية الملموس في تأدية رسائلها الملونة إلى القراء العرب وأن يبخس حقها في المشهد الأدبي والثقافي.

أما الأدب السوداني فكان مغمورا بأعمال الروائي الطيب صالح مع أن كانت قد جرت عدة عوامل تجعل مسيرة الرواية في السودان مثمرة وناجحة في فترات مختلفة منذ نشأتها سنة ١٩٤٨م. ولكن الاعتبار بها كان ضئيلا جدا لأن الحكومة أو مؤسساتها لم تهتم حق الاهتمام بأمور النشر والتوزيع بالرغم من أن عدد الكتاب والروائيين غزير في السودان كما حدد هذا الرأي أمير تاج السر نفسه "كان المشهد الروائي ضعيفا جدا وبعيدا جدا من مصاف العالمية حيث المشاكل العديدة والمعيقات المتنوعة واجهها تطور الرواية العربية في السودان". وكانت تأليفات الكتاب السودانيين لم تلق الضوء بقلة التسهيلات لطباعتها ونشرها في

صورة جادة وترويجها برواج كثير بقدر الإمكان إلا أعمال الطيب صالح بالرغم من هناك فئات عديدة من الروائيين المهمشين مثل أمير تاج السر وحمور زيادة وعبد العزيز بركة ساكن وغيرهم.

كان مستوى الأدب العربي السوداني عامة والرواية العربية السودانية خاصة لم يرتق إلا قليلا جدا حيث لم يطلع القراء على كثير من المؤلفين الجدد داخل السودان غير الطيب صالح المسمى بعبقري الرواية العربية حتى لا تزال تجري الأبحاث الجامعية والدراسات العميقة حول إبداعاته الأدبية خاصة عن روايته الشهيرة "موسم الهجرة إلى الشمال". ومن بواعثي لاصطفاء هذا الموضوع "تصوير المجتمع في روايتي أمير تاج السر "صائد اليرقات" و "٣٦٦" للبحث أنه جمع جانبي الطب والأدب معا بالرغم من أنهما لا يتفقان عاديا في شخص ومع أنه لا يزال يبذل جهوده الجبارة لينتج نتيجة أدبية بشكل سنوي كما اعتاد عليه حتى الآن ولكنه لسوء حظه لا يزال غير معروف بنطاق واسع في الأدب العربي الحديث كما توقعنا. قد حظي بجائزة كتارا للرواية العربية لروايته المتميزة "٣٦٦" سنة ٢٠١٥م كما أنها كانت مرشحة في ضمن القائمة الطويلة لجائزة البوكر العربية سنة ٢٠١٤م وروايته الأخرى "صائد اليرقات" أيضا في القائمة القصيرة لنفس الجائزة المذكورة سنة ٢٠١١م فلذا اجتبيت كلتي الروايتين للبحث عنهما ولتحليل سطورهما حتى أتوجه إلى معرفة صور المجتمع السوداني والعربي ومنظورات صاحبهما ووجهاته تجاه مجتمعنا المعاصر.

وعلى حد علمي وإلمامي لم تسبق دراسة عميقة في الجامعات الهندية وكلياتها خاصة ولا خارجها عامة عن أعماله القيمة إلا ما نراها في صورة المقالات والدوريات، وشخصيا أنا تواصلت معه عبر بريده الإلكتروني(amirelsir@gmail.com) أكثر من مرة حيث شجعني وحرضني وأثنى على بجواباته الشافية.

ونحن حينما نأخذ بعين الاعتبار حجم نشاط الإنتاج الروائي الذي شهده العالم العربي بحد ذاته في هذه الفترة الحديثة لا بد لنا أن نؤكد أكثر فأكثر على الأعمال الأدبية لهذا الكاتب البارع. وتجولي البحثي مع أعماله الروائية دفعني إلى أن أنتبه إلى بعض النجوم الطارئة التي طلعت على سماء السودان الأدبي مثل حمور زيادة الذي نال جائزة نجيب محفوظ الأدبية سنة ٢٠١٤م عن روايته الممتعة "شوق الدرويش" وصار أول روائي سوداني يفوز بها وعبد العزيز بركة ساكن صاحب الرواية "مسيح دارفور" التي تحمل قضية إحدى أكبر المآسي في العصر الحديث أي مشكلة دار فور وطبيعة الصراع الذي يحدث هناك وحجم معانات

الإنسان السوداني فيه وسارة منصور صاحبة الرواية "بنات الخرطوم" التي تكشف سقوط البنات السودانيات في شبكات الدعارة العالمية وغيرهم من الروائيين المتضلعين في الفنون الأدبية العربية.

ويمكنني أن أقول إن الرواية السودانية طفقت تشتهر بقدوم أمير تاج السر الذي يعتبر "سيد الرواية العربية السودانية وأميرها" بعد انقضاء فترة خاله الروائي الطيب صالح حيث لا تزال تلعب الجائزات المتنوعة للرواية العربية لإعلاء صوته الروائي في المستوى العالمي. هذا البحث يتكون من ثلاثة أبواب رئيسية فأما الباب الأول فهو يشتمل على ثلاثة فصول حيث يتناول فصله الأول تعريف الرواية ومستوى الرواية العربية المعاصرة ونشأتها كما يشير إلى ارتقاء مكانتها ومساهمات عدة الجائزات الأدبية فيه. وأما الفصل الثاني فيستعرض الثقافة السودانية والمشهد الروائي في السودان بمراحله المتنوعة حيث يعبر عن حالة الرواية العربية المعاصرة في السودان من واقعها وآمالها كما أنه يرسم مكانتها في المستوى العالمي. وأما الفصل الثالث فهو يصور لنا خريطة السرديات الحديثة في السودان وشخصيات بعض الروائيين البارزين في مجال الرواية السودانية مثل الطيب صالح وعبد العزيز بركة ساكن وحمور زيادة وغيرهم حيث أتممت الباب الأول مع تسليط الضوء على بعض الروايات العربية السودانية وأصحابها منذ بذورها لكي نجد تصورا عاما عما وقع في ساحة الرواية السودانية في الماضي وما لا يزال يقع إلى أيامنا هذه.

أما الباب الثاني فيتضمن على ثلاثة فصول والأول يلقي الضوء على حياة الكاتب أمير تاج السر الإبداعية وميزات أسلوبه الأدبي وممارساته الطبية وتجرباته الشخصية في الكتابة وما إلى ذلك مما يتعلق بخبراته الكتابية. أما الفصل الثاني فهو يحاول أن يثبته كروائي قدير حيث يتناول أسلوبه الروائي وخصوصيات مدرسته الروائية وميزات كتاباته الروائية. أما الثالث فيعرض لنا اتجاهاته المهمة التي يتداولها إبان كتاباته الروائية كما يلفت انتباهنا إلى مساهماته الأدبية وجدول أعماله الأدبية الإبداعية.

أما الباب الختامي الذي يحتوي على ستة فصول فقد اخترت فيه روايتيه "صائد اليرقات" و "٣٦٦" لأتناولهما بالدراسة العميقة والتحليل الدقيق حيث يمر الأول بتحليل عتبات النص لرواية "صائد اليرقات" من بيان وجه تسميتها وتلخيص قصتها وأسلوبها والثاني يوضح لنا عتبات النص لرواية "٣٦٦" مما ذكر ومن الكلام عن المحبة ولمساتها السحرية. والفصل الثالث يحاول أن يرسم تصوير المجتمع عبر سطور روايتيه

المذكورتين واتجاهات صاحبهما تجاه مجتمعه السوداني كما أنه يصرح مفهوم المجتمع المنشود في البحث وما نشاهد في المجتمع السوداني وصوره وملامحه وأما الفصل الرابع فيتكون من مباحث القضايا الاجتماعية المنوطة بالمجتمع السوداني ومواقف العادات الاجتماعية وموقف الكاتب مقابل عادات الزواج وبيان تأثيرات الوسائل الاجتماعية في الحياة الفردية والجماعية معا وما إلى ذلك من عادات فنادق المدينة وغيرها ومن تصوير جمالية الريف ومعايير الحياة المدنية وغيرها. أما الفصل الخامس فيحتوي على إعادة النظر إلى القضايا السياسية والاقتصادية التي يواجهها المجتمع السوداني خاصة والمجتمع العربي عامة وما يتعلق بالحكومة السودانية من صلاحيتها وتحدياتها فأما الفصل الأخير فهو يمثل المواقف الثقافية والأخلاقية والدينية التي تعالجها وكيفية الروايتان المذكورتان كما يبين تأثيرات المجتمع السوداني بالثقافات الغربية وفلسفات الحياة المقتبسة من الروايتين اللتين تناولت تحليلهما والتعبير عنهما حيث تعبرانها بكل جلاء. أما في الخاتمة فأتيت ببعض نتائج بحثي مما يتعلق بالرواية العربية السودانية وما واجهها مؤلفوها من الأزمات التقنية والمعضلات المعنوية والمشكلات المادية مشيرا إلى الأسباب التي لم ترفع مستوى الرواية العربية السودانية إلى ذروة كمالها والدواعي التي ستؤدي إلى توسيع نطاقها من الدائرة المحلية إلى الفضاء العالمي.

فان هذه محاولة متواضعة من جانبي لأتناول بأكبر قدر ممكن النشاط الإبداعي السوداني الحديث مع تسليط الضوء على كتابة أمير تاج السر الروائية واتجاهاته الاجتماعية ونظرياته المحققة تجاه مجتمعه السوداني الحاضر بإشارة خاصة إلى روايتيه المتميزتين "صائد اليرقات" و"٣٦٦". وعلى هذا الأساس فإنني آمل أن تساعد هذه الدراسة على تعريف الروائي الجليل والطبيب البارع أمير تاج السر مع إنجازاته المرموقة التي حققها في العالم العربي حيث حاولت حق المحاولة لأنصف تجاه موضوعي البحثي وأرجو أن تكون هذه الرسالة ذات قيمة علمية ومفيدة لمن يتجه إلى أن يتغلغل في المشهد الروائي الحديث بالسودان خارج عبقرية الطيب صالح.

يسرني أن أختم هذه المقدمة بتقديم وافر الشكر وعميق الامتنان إلى كل الذين قدموا المساعدات العلمية في رحلتي البحثية بكل معناها ولو بكلمة طيبة حيث لا تتم كلمة الشكر والتقدير إلا أن أتوجه بها إلى الأساتذة الذين يزينون مستوي التدريس والإشراف في مركز الدراسات العربية والإفريقية بجامعة جوهرلال

نهرو، نيودلهي خاصة إلى أستاذي المتواضع ومشرفي المبجل البروفيسور بشير أحمد جمالي الذي أيدني بتوجيهاته الثمينة وإرشاداته القيمة ودعمني بتوفير المساعدات العلمية لغوية كانت أدبية وقيامه بإعادة نظره الدقيق في سطور هذه الأطروحة.

وفي هذه المناسبة يحسن لي أن أقدم خالص شكري واحترامي إلى د. أمير تاج السر الذي كنت ولا أزال أتواصل معه عبر بريده الإلكتروني حيث عبر عن فرحه وسروره بمحاولة هذا البحث عن أعماله المختارة وإلى السيد أحمد عبد الواحد، نائب السفير، سفارة جمهورية السودان بنيودلهي وإلى الأستاذ كرم الله كركساوي، مستشارها الثقافي السابق وأحمد عمر طابول الذي يعمل فيها حاليا كمستشار ثقافي وغيرهم من الموظفين فيها لأنهم قد فرحوا بهذا البحث مع ما مدوا أيديهم بتوفير المادات العلمية المنوطة بالموضوع. وهناك طائفة كبيرة من زملائي المخلصين حيث حلموا لي وسعدوا بسعادتي وحزنوا بشقاوتي وتابعوني في أفراحي وأتراحي حيث ترن في ذاكرتي تلك الذكريات الحسنة معهم فلا أخصهم بذكر أسمائهم هنا مخافة التطويل وأتمنى لهم جميع الخيرات والحسنات وجزاهم الله خير الجزاء وأحسنه في الدارين. آمين يا رب العالمين.

الباحث

أبو هادية النور محمد شريف النظامي

مركز الدراسات العربية والإفريقية

جامعة جوهرلال نهرو، نيودلهي

الهند

٢٠١٥\٠٧\٢٣م

الباب الأول: الرواية العربية في السودان: ومضات تاريخية

الفصل الأول: الرواية العربية المعاصرة

الفصل الثاني: الرواية العربية في السودان

الفصل الثالث: خريطة السرديات الحديثة في السودان: بعض الشخصيات المتميزة فيها

الفصل الأول

الرواية العربية المعاصرة

رغم أن موضوعي منوط بتصوير المجتمع في روايتي روائي سوداني أمير تاج السر "صائد اليرقات" و"٣٦٦"، يبدو أن إتيان الكلام عن مفهوم الرواية وتطورها في الأدب العربي ولو بصورة موجزة وملخصة سيكون مفيدا للقراء المهتمين بالموضوعات الروائية ودرسا مهما لمن يروم الولوع إلى ماهية الرواية وكنهها.

المبحث الأول: مفهوم الرواية

إن الرواية في تعريف بسيط "تجربة أدبية يعتبر عنها بأسلوب النثر سردا وحوارا من خلال تصوير حياة مجموعة أفراد أو شخصيات يتحركون في إطار نسق اجتماعي محدد الزمان والمكان ولها امتداد كمي ومعين يحدد كونها رواية"[١]. وفي قول آخر، "إن الرواية نوع مختلط تمزج بين قصة لراو وحوار الشخصيات الذين يتحدثون لغة تطابق وضعهم الاجتماعي"[٢] كما قيل عنها "إنها مجموعة من العادات الثقافية"[٣].

من الصعب استخراج سمة جوهرية للرواية، كلمة رواية هي بالأخرى إشارة إلى مراتب عتبات النص[٤] وهذه الكلمة تدل على علاقة بين أحداث خيالية في استعمالها الجاري. إذا انتبهنا إلى فروق الرواية القديمة والرواية الجديدة فنجد أن "الرواية الكلاسيكية هي قصة مغامرة والرواية المعاصرة هي مغامرة قصة"[٥].

يقول الناقد واين بوث (Wayne C Booth) مبينا بوضوح مدى صعوبة التوصل إلى تعريفات شاملة فيما يتعلق بالرواية، بل إن بعض المحاولات التي تستهدف وضع تعريف أو توصيف للرواية يجري في مجراه. ويقول إي أم فورستر (روائي معروف) (EM Forster) في كتابه "سمات الرواية" عنها، هي "كتلة هائلة عديمة

---

[١] طه وادي، الرواية السياسية، ص: ٥٤

[٢] د. عبد الحميد بورايو، الرواية العربية: مدخل إلى المناهج والتقنيات المعاصرة للتحليل الأدبي، ص:٢٤

[٣] د. عبد الحميد بورايو، الرواية العربية: مدخل إلى المناهج والتقنيات المعاصرة للتحليل الأدبي، ص: ٢٩

[٤] د. عبد الحميد بورايو، الرواية العربية: مدخل إلى المناهج والتقنيات المعاصرة للتحليل الأدبي، ص:٢٢

[٥] د. عبد الحميد بورايو، الرواية العربية: مدخل إلى المناهج والتقنيات المعاصرة للتحليل الأدبي، ص: ٢٢

الشكل إلى حد بعيد، إنها بكل وضوح تلك المنطقة الأكثر رطوبة ونداوة في الأدب حيث ترويها آلاف الجداول وتنحط أحيانا لتصبح مستنعفا أسناً"[٦].

ومن الملاحظة أن اللغة العربية لا تحتوي على كلمة عامة تقابل بالضبط تعبير(fiction) باللغة الإنجليزية ككلمة تعبر عن وسيلة مختلفة في النظر إلى العالم ومظاهره غير أنه أمكن للغة العربية أن تبتدع تعابير فنية لتمييز كل من الأنماط القصصية المتنوعة لأنها تختار تعبير قصة قصيرة لـ (short story) ورواية لـ (novel) في أغلب الأحيان إذ "أن عددا قليلا من الكتاب في العالم العربي يفضلون استخدام تعبير قصة كتسمية للرواية علما بأن كلمة قصة إنما تعبر في الأساس عن مجمل الأدب القصصي السردي ككل"[٧].

المبحث الثاني: الرواية العربية المعاصرة

الرواية نمط أدبي دائم التحول والتبدل، يتسم بالقلق بحيث لا يستقر على حال، وكل عمل روائي يجاهد بدرجات متفاوتة في قوتها ودقتها الفنية[٨] حيث قاله روجر آلن في كتابه "الرواية العربية". وكنمط أدبي، يمكن اعتبار الرواية على أنها ذلك النوع من الأدب الذي يتناول أساسا عملية التغيير[٩]، ونتوقع لها مستقبلا باهرا حيث تتجه إلى الاتجاهات التجريبية التي أخذت تظهر في الأدب العربي الحديث. ولقد استمرت بل ازداد نشر الروايات والدراسات النقدية الخاصة بالرواية العربية في العالم العربي. من نافل القول إن نشير إلى منح جائزة نوبل في الأدب للروائي المصري نجيب محفوظ في عام ١٩٨٨م، كان أكثر الأحداث أهمية في التاريخ الحديث للرواية العربية.

فإن الموضوع الأساسي للرواية هو التجديد المستمر(Novelty) حيث يعتبره الشاعر السوري اللبناني أدونيس أي على أحمد سعيد الداعية الأكثر شهرة في العالم العربي لمفهوم التجديد ولقد تقصى في العديد من أعماله موضوع طبيعة الحداثة مثل "زمن الشعر". وتجدر الإشارة قبل كل شيء إلى "أن الرواية المعاصرة تشترك مع الأنماط الأدبية الأخرى في تلك الخاصية الأساسية للفن المعاصر، ألا وهي رفض تحكم الأفكار

---

[٦] بروفسور روجر آلن، الرواية العربية: مقدمة تاريخية ونقدية، ص: ١٨

[٧] بروفسور روجر آلن، الرواية العربية: مقدمة تاريخية ونقدية، ص: ٢٣

[٨] بروفسور روجر آلن، الرواية العربية: مقدمة تاريخية ونقدية، ص: ٧

[٩] بروفسور روجر آلن، الرواية العربية: مقدمة تاريخية ونقدية، ص: ١٩

المسبقة بأساليب التعبير الفنية وسيطرتها عليها، ذلك فيما يخص بالشكل أو الأسلوب المبتكر أو حتى فيما يخص أي مظهر من مظاهر العمل الإبداعي"[١٠].

لا شك أن الجنس الروائي رغم عراقة جذوره الممتدة في الأشكال السردية الموروثة عن أقدم العصور تظل نصوصه من أهم الإبداعات الأدبية التي عرفها عصرنا الحديث، والذي وجد عناية تامة وتراكمت حوله الأبحاث والدراسات وتمت معالجتها من مختلف المنظورات والمناهج. في مواجهة أنواع أدبية أخرى مثل المسرح أو الشعر، تعرف الرواية وتحدد بصفة أقل انطلاق من علاماتها الشكلية من مدلولها الذي يقترن عادة بفكرة الخيال.

ومن الصعب أن نتصور القرن العشرين على المستوى العربي دون رواية عربية لأنها تبدو كالنوع الذي لا بد منه مع كونها فنا أدبيا ديمقراطيا فذا في أشكالها الراقية. ومن الجدير بالذكر، أن الرواية تعيد التاريخ إلى جوهره حين تعيد لليومي المغيب اعتباره في قرن غدا التاريخ هو الفن الرسمي الذي يكتب الحكاية من وجهة نظر مطلقة القدرة. ومن ميزات الرواية "أنها مطلقة التحكم في كل ما يمس أدق تفاصيل الحياة من لقمة العيش حتى العيش نفسه. وما كان يمكن لفن أدبي آخر أن يلعب هذا الدور بلا حدود كما يمكن أن تلعبه الرواية. ذلك الفن المشرع على المعرفة بكل تجلياتها الإنسانية ماضيا وحاضرا ومستقبلا"[١١].

حملت الأعمال الروائية العربية قدرا كبيرا من التنوع الذي عكس بدوره ما في الكتابات السردية من ثراء في التيمات والتقنيات السردية. لفتت الأنظار من الناحية الموضوعية إلى طغيان المشكلات السياسية والاجتماعية التي يعيشها الوطن العربي في العديد من أجزائه وما تواجهه أفراده وجماعاته من معانات وتحديات لاسيما العنف والشتات الذين يواجههما الإنسان العربي والذي دفعته الأقليات الدينية. وأما من ناحية التقنية السردية فقد تنوعت ما بين سرد تقليدي يطغى عليه السارد العليم وبين سرد مجدد ومبتكر في تبنى الأساليب من شأنها بث المزيد من الحياة والتطور في الرواية العربية وفي هذا السياق برزت أصوات جديدة بين كتاب راسخي القدم فتعددت الأجيال والاختلافات المنطقية والجندرية.

---

[١٠] بروفسور روجر آلن، الرواية العربية: مقدمة تاريخية ونقدية، ص:٢٢

[١١] فيصل دراج وآخرون، أفق التحولات في الرواية العربية، دراسات وشهادات/ دراسات أدبية، ص: ٧

المبحث الثالث: الرواية العربية الحديثة ونشأتها

ومن المعروف أن الرواية بصفة عامة والرواية الجديدة بصفة خاصة، هي فن نثري تخييلي بالدرجة الأولى طويل–نسبيا–بالنسبة إلى القصة، يعكس عالما من الأحداث والعلاقات الواسعة والمغامرات المثيرة، تسمح بإدخال جميع أنواع الأجناس التعبيرية سواء كانت أدبية فنية (قصص، أشعار، مقاطع كوميدية، موسيقي، نحت...) أو غير فنية (نصوص علمية، فلسفية، تاريخية، دينية، تحليلات دراسات سلوكية...)[١٢].

نرى التعريفات المتنوعة والآراء المختلفة عن نشأة الرواية العربية ومرجعها ومنها ما يعترف مؤرخو الرواية العربية ونقادها أن الرواية العربية من حيث أنها نوع الأدب هي نوع سرد القصة مع رعاية الأساليب الداخلية الخاصة أو التقاليد وصارت عضوا في الثقافة العربية والأدبية بقدوم القرن العشرين[١٣]. وبعضهم يقولون إنها نتيجة واحدة لعمل التبادلات الثقافية في الفترة الاستعمارية، الفكشان العربي الحديث عموما والرواية العربية خصوصا طفق يتطور بعد قرن ترجمة الأعمال الأوربية وتقليدها فقط. يمكننا أن نقول إن الرواية العربية تمتد إلى التقاليد الأوروبية محضا أو إليها وحكم مسبق إلى العربية الحديثة.

والنقطة المهمة هنا بعض من المؤرخين القدماء كانوا يثبتون أن الرواية أصدرت من الغرب وتسير كأن ليست لها علاقة ما بأي نوع من سرد القصة العربية السابقة ومنهم ماتي موسى على سبيل المثال. ولكن المؤرخون الجدد يدعون بدعوة متضادة أن جذور الرواية العربية تستند إلى أنواع سرد القصة العربية القديمة ومنهم إبراهيم الصعافن مثلا، كما يختلف النقاد حول نشأة الرواية العربية الحديثة فالبعض يرى أن العرب قد كتبوا الأدب الروائي والقصصي منذ وقت مبكر ويستشهدون بملاحم عنترة وحكايات ألف ليلة وليلة ورسالة الغفران وقصة حي بن يقظان وغيرها. ومن الملحوظة الطريفة أن نشأة الرواية الغربية تدين إلى سرد القصة العربية التي رحلت إلى أوربا أولا بصورة القصص المغامرة والمقامات عن طريق إسبانيا في القرن الثالث عشر ثم عبر الترجمات لألف ليلة وليلة قبل القرن الثامن عشر[١٤]. في الجملة، الرواية العربية والأوروبية كلتاهما تنتميان إلى العائلة العربية لسرد القصص مما كانتا إلى الغرب فقط.

---

[١٢] آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ص:٢١

[13] P:2, poetics of love in the Arabic novel, Wen- chin Ouyang

[14] P:3, poetics of love in the Arabic novel, Wen- chin Ouyang

ويرى الناقد مصطفي عبد الغنى أن ظهور الرواية في الوطن العربي ارتبط بعاملين أيضا: "أحدهما أثر كل من مصر ولبنان في نشأة هذا الجنس الأدبي سواء في درجة التأثر بالغرب أو التأثير في الأقطار العربية أما العامل الآخر فهو أن تطور هذا الفن الروائي ارتبط في ظهوره بتطور الاتجاه القومي العربي ونضج أكثر من أي عامل آخر"[١٥].

المبحث الرابع: ارتقاء الرواية العربية المعاصرة ومساهمات الجائزات الأدبية فيه

إننا نعيش زمنا روائيا بامتياز حيث لا يشك أحد ولا يختلف اثنان في كون الرواية حاليا ديوان العرب، مسجل تاريخهم النابض، مرآة حالهم الراهن. نرى الرواية في المشهد الأدبي والثقافي في العالم العربي كفيلا بأن يجعلها الواسطة الملائمة لتعبير عن المواقع العربية من أزمات عميقة وانتكاسات متكررة في المستوى السياسي والاجتماعي والأخلاقي والثقافي. بناء على تقديرنا، السبب الرئيسي يرجع إلى أن الرواية فن لا يخضع لقوانين معينة أي يتسع فضائه لقضايا متعددة ولتيمات معقدة ولاتجاهات مختلفة حيث شكله محرر من أي انحصار في التقاليد وليس مشدودا إلى قوالب دقيقة، حيث يمنح للروائي حرية كاملة قد لا يجدها في الأجناس الأدبية الأخرى مثل الشعر والمسرح وغيرهما. والأمر المهم، أن الرواية قد أصبحت أدلة للمعرفة حتى القارئ يتعرف من خلالها على نفسه وعلى غيرها كما أضاف إليه عبد الرحمن منيف، روائي سعودي "الرواية كما أفهمها وكما أكتبها أدلة جميلة للمعرفة والمتعة، إنها تجعلنا أكثر إدراكا وأكثر إحساسا بكل ما حولنا، وقد تقول لنا في السياق، أشياء عديدة يجدر بنا معرفتها أو تذكرها"[١٦]. وفي هذا الإطار لا يمكن لمن له إطلاع واسع على تاريخ الأدب العربي أن يتجاهل عن دور الرواية الملموس في تأدية رسائلها إلى القراء العرب.

الرواية تحتوي على معلومات كاملة عن الإنسان والأشياء كما تعبر عن رؤية المجتمع للأحداث والوقائع وتعرف أسماء لشخوص معروفة ومجهولة وتدون تواريخ أحداث رئيسية وتسجلها بالدقة حيث رصد نجيب محفوظ في ثلاثيته الشهيرة رأي العوام من الناس بشكل دقيق. في الحقيقة، الروائي يستلهم مادته السردية

---

[١٥] مصطفى عبد الغني، الاتجاه القومي في الرواية، ص:٢٢

[١٦] عبد الرحمن منيف، الكاتب والمنفى، ص:٤٣

من صفحات التاريخ ويستقيها من الوقائع الحقيقة ويستوحيها من أشخاص عرفهم وعاشرهم. عندما يستخدم الروائي المادة التاريخية (الذاكرة، الوثائق، الشهادات، اليوميات، المذكرات، السير، التاريخ...) لا يطمح أن يصبح مؤرخا بل يريد مسائلة هذا التاريخ من زاوية مختلفة لأنه لا يكتب التاريخ أصلا بل يعيد كتابته برؤية نقدية، كما يذكرنا أمير تاج السر خلال رواياته "رعشات الجنوب" و "إبولا٧٦" و "مهر الصياح" وحمور زيادة عبر روايته الجديدة "شوق الدرويش" تاريخ السودان الماضي لم يطلع عليه كثير من الناس. وأيضا، أن عبد الرحمن منيف يحاول من خلال روايتيه الجميلتين "مدن الملح" و "أرض السواد" أن يعيد كتابة تاريخ بلدين عربيين، الحجاز والعراق من خلال متخيل غني وتقنيات سردية حداثية تزيح اللثام عن المسكوت والمنسي والمهمش في التاريخ الرسمي المزيف. ومما يجدر بالذكر والثناء هنا، أن الكاتب التونسي شكري المبخوت، صاحب الرواية "الطلياني" الفائزة بجائزة العالمية العربية سنة ٢٠١٥م في دورتها الثامنة، كتب فيها كتابة ضرورية حيث تعالج بضع قضايا وتبحث عن الوجع الإنساني لتلامس الحياة اليومية والواقع التونسي بكل تفاصيله مستلهما من الوقائع التونسية خاصة والأحداث الأخرى وقعت في بعض البلدان العربية عامة باسم الربيع العربي.

ومما لا شك فيه، أن فن الرواية قد احتل موقعا مرموقا ومكانا متميزا في الأدب العربي المعاصر حيث قام هذا الفن الأدبي الحديث بوقت قصير وزمن يسير فنا واسعا حيث طفق ينافس فن الشعر الذي ظن به الكثير بأنه لم يصل إلى حده ومرتبته أي نوع آخر. ويمكننا أن ندعي أن الروائيين العرب المعاصرين قد تفوقوا في مجال الأدب العربي بكل وضوح وصراحة على نظرائهم وقرنائهم من الشعراء حيث نعترف مكانتهم المتميزة وحضورهم الحيوي في الأدب العربي بكثرة الإنتاجات الأدبية الهائلة المطروحة بأيديهم بشكل شهري أو سنوي وقبولية القراء العرب ومتذوقي الأدب في العالم العربي. وكيف ننس اللحظة المحظوظة التي نال فيها الأديب العربي الفاضل نجيب محفوظ على جائزة "نوبل" للآداب في العالم من حيث أنه روائي بارع.

ومما لا مرية فيه أن الرواية العربية المعاصرة قد تفوقت تفوقا رفيعا وصعدت إلى المدارج العالية بأسباب مختلفة ومنها تعدد الجوائز الخاصة للرواية العربية حيث يفوز بها الكتاب البلغاء بإسهاماتهم الجلية في مجال الأدب

العربي عامة وبأعمالهم الروائية الممتعة خاصة بعد منافسة حارة بين الأعمال الأدبية. بل إننا إذا أخذنا بعين الاعتناء ملكة الروائيين العرب المعاصرين على الانطلاق من مستوي المحلي والعربي إلى المستوي العالمي نجد أن الجائزات العالمية أو دونها قد تكافلت هذه المسؤولية العظمى حيث لم نر من قبل ترويج الروايات العربية وتفوقها مثل ما نشاهده الآن في العالم العربي. هنا، على سبيل المثال، أود أن أسرد ثلاث جائزات عظمية تم قبولها في المستوى العالمي وساعدت الروايات العربية على حصولها المكانة المرموقة بين الفنون الأخرى.

الجائزة العالمية للرواية العربية:

هناك جوائز أدبية للروايات والقصص العربية على الصعيد الدولي، من أهمها الجائزة العالمية للرواية العربية، توزع سنويا بالشراكة مع مؤسسة جائزة بوكر البريطانية في لندن منذ سنة ٢٠٠٧م حيث تمولها هيئة أبي ظبي للسياحة والثقافة، الإمارات العربية المتحدة. هناك القائمتان الطويلة والصغيرة أو النهائية حيث الأولى تتضمن على ست عشرة رواية والثانية على ست روايات ومنها يجتبى فائز السنة حيث ينال كل واحد من المرشحين الستة في القائمة القصيرة على ١٠٠٠٠دولار أمريكي كما يحصل الفائز بالجائزة على ٥٠٠٠٠دولار أمريكي إضافيا.

تعد هذه الجائزة من بين الجوائز الأدبية المرموقة في العالم العربي وتهدف إلى مكافأة التميز في الأدب العربي المعاصر. ومن أبرز أغراضها السامية هو الترويج للرواية العربية على المستوى العالمي بالرغم أن مؤلفيها ينتمون إلى الأوطان العربية العديدة شرقا وغربا وإيصال رسائلها إلى القراء غير العرب حيث تقوم بنشر ترجمة الأعمال الفائزة إلى اللغة الإنجليزية وإلى اللغات الأخرى. وبالإضافة إلى ذلك فإن الروايات العربية المعاصرة بعدد كثير قد ترجمت إلى متنوع لغات العالم الحية ويمكننا أن نعد هذه المحاولة محاولة قيمة قد تعود إلى الميزات النوعية لفن الرواية التي تتيسر عملية نقله وترجمته إلى اللغات الأخرى بالنسبة إلى الشعر الذي لا يسعها إلا بعد أن يفقد كما عظيما من روحه وجماليته.

الروائيون الفائزون بها مع رواياتهم منذ بدايتها[١٧]

- واحة الغروب لبهاء طاهر المصري-٢٠٠٨م
- عزازيل ليوسف زيدان المصري-٢٠٠٩م
- ترمي بشرر لبعده خال السعودي-٢٠١٠م
- القوس والفراشة لمحمد الأشعري المغربي وطوق الحمام لرجاء العالم السعودية-٢٠١١م
- دروز بلغراد حكاية حنا يعقوب لربيع جابراللبناني-٢٠١٢م
- ساق البامبو لسعود السنوسي الكويتي-٢٠١٣م
- فرانكشتاين في بغداد لأحمد سعداوي العراقي-٢٠١٤م
- الطلياني لشكري المبخوت التونسي-٢٠١٥م

وأما الروايات الست المرشحة في القائمة القصيرة لنيل جائزة البوكر للرواية العربية لعام ٢٠١٥م، هي "حياة معلقة" لعاطف أبي سيف الفلسطيني و"طابق ٩٩" لجنى فواز الحسن اللبنانية و"ألماس ونساء" للينا هويان الحسن السورية و"شوق الدرويش" لحمور زيادة السوداني و"الطلياني" لشكري المبخوت التونسي و"ممر الصفصاف" لأحمد المديني المغربي حيث أنها تتجلى في استطاعتها تقديم عوالمها عبر تقنيات فعالة كالعثور على إيقاع كتابي هادئ لتاريخ بالغ الهول والصخب كما نرى في رواية "طابق ٩٩" أو تقديم بانوراما لحقبة تاريخية تموج بالأسئلة في إطار فني يستطيع أن يدهش القارئ ويحمله على تصديقه كما نرى في رواية "الطلياني" التي فازت بالجائزة سنة ٢٠١٥م[١٨].

جائزة نجيب محفوظ:

هي الجائزة الأدبية باسم نجيب محفوظ الذي قد يكون اسمه من الأسماء الشائعة في الأوساط العربية، سواء أكانت أوساط المثقفين، أم الناس العادين الذين لا شأن لهم بالأدب وشؤونه. وتقوم بإعلان الفائز بها دار نشر الجامعة الأمريكية بالقاهرة منذ منحها الأول سنة ١٩٩٦م حيث تمنح الجائزة لإحدى الروايات الحديثة

[١٧] مجلة جمال للبحوث الأكاديمية على التخصصات، ص:69-65

[١٨] منقولة من موقعhttp://www.aljazeera.net

في حفل يقام كل عام في ١١ ديسمبر موافقة ليوم مولد الكاتب البارع نجيب محفوظ، أول عربي حائز على جائزة نوبيل في الأدب، المولود ١١ ديسمبر ١٩١١م المتوفى ٣٠ أغسطس ٢٠٠٦م. قيمة هذه الجائزة تبلغ ألف دولار مع ترجمة الرواية الفائزة إلى الإنجليزية ونشرها.

قائمة الفائزين بها وأعمالهم الفائزة:

- البلدة الأخرى لإبراهيم عبد المجيد المصري والباب المفتوح للطيفة الزيات المصرية-١٩٩٦م
- رأيت رام الله لمريد البرغوثي الفلسطيني وقصة حب ليوسف إدريس المصري-١٩٩٧م
- ذاكرة الجسد لأحلام مستعاني الجزائرية-١٩٩٨م
- رامة والتنين لإدوار الخراط المصري-١٩٩٩م
- حارة المياه لهدى بركات اللبنانية-٢٠٠٠م
- أوراق النرجس لسمية رمضان المصرية-٢٠٠١م
- العلامة لبنسالم حميش المغربي المعروف في الشرق بسالم حميش-٢٠٠٢م
- وكالة عطية لخيري شبلي المصري-٢٠٠٣م
- المحبوبات لعالية ممدوح العراقية-٢٠٠٤م
- ليلة عرس ليوسف أبي رية المصري-٢٠٠٥م
- صورة وأيقونة وعهد قديم لسحر خليفة الفلسطينية-٢٠٠٦م
- نبيذ أحمر لأمينة زيدان-٢٠٠٧م
- الفاعل لحمدي أبي جليل-٢٠٠٨م
- وراق الحب لخليل صويلح سوري-٢٠٠٩م
- بروكلينهايتس لميرال الطحاوي المصرية-٢٠١٠م
- منحت الجائزة للشعب المصري لإثرائه الأدب بسبب ثورة ٢٥ يناير-٢٠١١م
- بيت الديب لعزت القمحاوي المصري-٢٠١٢م
- لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة لخالد خليفة السوري-٢٠١٣م

- شوق الدرويش لحمور زيادة السوداني-٢٠١٤م

فاز بها الكاتب السوداني حمور زيادة عن روايته "شوق الدرويش" لعام ٢٠١٤م. واشتهر بأنه أول سوداني ينال جائزة نجيب محفوظ للآداب ويمكنه الافتخار باستلامها لأنها تحمل اسم الأديب المتقن نجيب محفوظ. ومن الملاحظة، أن رواية "شوق الدرويش" لحمور زيادة عبرت عنها الروائية والناقدة المصرية سلوى بكر "إن شوق الدرويش عمل كبير ومهم وستكون علامة بارزة في تاريخ الأدب السوداني"[١٩].

جائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي:

لم تكن هذه الجائزة جائزة عالمية حتى تولت شركة زين للاتصالات بتمويلها، بل كانت محلية مستهدفة الارتقاء بالرواية السودانية فقط ، كان يرعاها مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي بمدينة أم درمان حيث أسسها الأستاذ محمود عثمان صالح الراحل باسم الطيب سنة ٢٠٠٣م كما قام بتأسيس المركز في الخامس عشر من مايو سنة ١٩٩٨م حتى صار منبر الثقافي الأهلي وقدم البرامج الثقافية والفعلات الأدبية وفقا لمعطيات الحياة المتغيرة والمتجددة، كما يمضى الأستاذ أمير تاج السر في تعضيد إعجابه بالمركز، يقول:" تبنى المركز أيضا جائزة دورية باسم مبدعنا الكبير الطيب صالح في مجال الرواية، ولعلها المرة الأولى التي تنشأ فيها مثل تلك الجائزة في بلادنا. إنه تحليق معنوي في عظمة الكتابة، وحافز كبير لأولئك الأصليين أن يكتبوا وأن يتنافسوا، أو يحصلوا على مكافأة باسم كاتب هو نفسه مكافأة للوطن. وقد صدرت أخيرا، بنفس الأناقة المتوقعة رواية الحسن بكري الفائزة بالجائزة" أحوال المحارب القديم"[٢٠].

ثم تمولت الشركة السودانية للهاتف السيار "زين" للجائزة ودرجت على إقامتها وصارت عالمية حيث تفتح فيها أبواب المنافسة لمشاركين من السودان وخارجه بالرغم من أن المركز كان يدرج على إقامة الاحتفال بجائزة الطيب صالح منذ عشرة أعوام ماضية. وتبلغ قيمة الجائزة للدرجة الأولى عشرة آلاف دولار وللدرجة الثانية سبعة آلاف دولار وللدرجة الثالثة خمسة آلاف دولار لكل نوع من الرواية والقصة والشعر.

---

[١٩] ناقدة كاتبة مصرية

[٢٠] مأخوذة من الموقع www.alrakoba.net

هذه الجائزة العالمية للإبداع الكتابي تهدف إلى توسيع نطاق مجالات الرواية والقصة القصيرة الشعر حيث في سنة ٢٠١٥م، أحرزت الكاتبة المغربية وثام حسن الجندي في الرواية الدرجة الأولى في دورتها الخامسة عن عملها "الغجرية" وفاز بالمركز الثاني الكاتب السوداني هشام آدم محمد عن روايته "كاجومي" وجاء في المركز الثالث عصام عمر إبراهيم عن روايته "أموشي".

وأما في مجال القصة القصيرة ففاز القاص العراقي راسم قاسم موسى بالجائزة الأولى عن مجموعته" دوي على إيقاع متزن" وجاء ثانيا القاص السوداني يوسف عبد الجليل العطا عن مجموعته" سيارة ومسروقات أخرى" وثالثا القاص المصري محمد عباس علي داود عن مجموعته" فاطمة تعيش الحلم".

وفي مسابقة الشعر حاز بالمركز الأول الشاعر السوري حسن إبراهيم الحسن عن مجموعته "خريف الأوسمة" وأحرز العراقي إسماعيل عبيد صياح المركز الثاني عن مجموعة" عندما يشهق البنفسج" بينما حصل على المركز الثالث فراس فرزت القطان من سوريا عن ديوانيه" فوانيس كفيفة". علينا أن ننتبه إلى ما قال الناقد السوداني محمد الجيلاني إن عدم فوز أي من شعراء السودان بأحد المراكز الثلاثة يعود إلى أنهم لا يحبون نقد الشعر ولا يقرؤونه بخلاف كتاب الرواية والقصة بالرغم أن ثقافة السودان كانت ثقافة شعرية كما سأقوم ببيانها في الفصل الثاني الآتي. ومما يجدر هنا بالذكر أن الخاتم عبد الله، كاتب ومسرحي، أحد الحكام المقيمين لمسابقة الرواية قال "إن الأعمال الروائية المتنافسة في المهرجان تناولت حرب التحرير الجزائرية والأحداث الجارية حاليا بسوريا وما بعد الثورة في تونس وما بعد حرب أكتوبر الأول ١٩٧٣م التي خاضتها مصر ضد إسرائيل. قال أمين الجائزة العام مجذوب عيدروس إن عدد الأعمال المشاركة هذا العام بلغ ٧٠٨ أعمال منها ٣٣٥عملا شعريا ١٢٠عملا روائيا و٢٥٣ مجموعة قصصية قصيرة. وأما في الدورة السابقة ففازت بها فوز السورية توفيقة خضور مع الدرجة الأولي في مجال الرواية عن روايتها "سأعيد إنجاب القمر" وفي مجال القصة القصيرة أحرز المركز الأول القاص المصري أشرف الشربيني عن مجموعته" الوفاة السعيدة لبعده الحلاق" كما فاز بجائزة الكتابة المسرحية المغربي زكريا أبو ماريا عبد الكريم عن مسرحيته" موسم العودة من الشمال"[٢١].

[٢١] مقطوعة من موقع http://www.aljazeera.net

الفصل الثاني

الرواية العربية في السودان

إذا حاولنا أن نقوم بسرد تاريخ الرواية العربية في السودان فقد كان تاريخها فيها وفق حديث الكثير من المتخصصين والمتبحرين مليئا بالصور التي قالوا إن من بينها ما هو جيد ومتقن بحرفية عالية وكثير منها مما هو مبهم ورديء. ومن المعلوم أن هناك قد جرت عوامل عديدة جعلت مسيرة الرواية مثمرة وناجحة في فترات معينة كما أدت إلى رديئة تحتاج إلى تطوير وتنقيح في كثير من الأوقات حيث أجمع المتضلعون والمهتمون بأن المراحل التي مرت بها الرواية في السودان منذ فترة نشأتها قد شهدت تحولا كبيرا في فنونها تمثل الظاهر منها ما بين الواقعية السردية والواقعية السحرية في نمط كتابتها وبرزت في سبيل ذلك مدارس كثيرة ومنها المدرسة الروائية لأمير تاج السر.

إذا استعرضنا عن الواقعية فيمكننا أن نعتبر محمد عبد الله ككاتب كبير في فترة بدايات السرد الروائي في السودان وأما بالنسبة إلى الواقعية السحرية كان الطيب صالح وعيسى الحلو وغيرهما من الروائيين الذين ساروا على نهج الواقعية السحرية في الرواية وعملوا على إضافة حسن أدبي جمالي فيها. إذا قمنا بتحليل صدور الروايات العربية في السودان فنعتنى رواية "تاجوج" لعثمان محمد هاشم أول رواية سودانية صدرت في السنة ١٩٤٨م وتابعته رواية "إنهم بشر" كتبها خليل عبد الله الحاج سنة ١٩٦٢م.

هكذا تواصلت مسيرة الإنتاج الروائي في السودان لتتجاوز بمراحل عديدة وصفت بدايتها بالرصانة والتجويد اللغوي لكن قيل إن تقنيات الكتابة فيها قد كانت ضعيفة جدا إلى حد كبير لأن المؤسسات التي تهتم بأمور النشر والتوزيع ليست حاضرة بصورتها الفنية كما قال مصطفى الصاوي" ليست هنالك مؤسسات رسمية تهتم بأمر النشر أو تتبناه أو حتى تشجع عليه وهنالك عنف موجه ضد الرواية السودانية" مع أن هناك بعض المنتديات تعمل على إعادة الوعي. ويوافق د. أمير تاج السر في إحدى مقابلته مع هذا الرأي الصادر من قبل مصطفى الصاوي قائلا" كان المشهد الروائي ضعيفا جدا وبعيدا جدا من مصاف العالمية حيث المشاكل العديدة والمعيقات المتنوعة واجهها تطور الرواية العربية في السودان". يهمني هنا أن أشير إلى أمر، أنه ثمة مدة زمنية كبيرة تفصل بين تاريخ كتابة الرواية وتاريخ نشرها بسبب عدم التسهيلات المتوافرة

الآن من الصحافة والطباعة لجمع تاريخي الكتابة والنشر، وكان الكتاب السودانيون ينتظرون يوما يكون فيه طريق ممهد لنشر إنتاجه. إذا قلنا على سبيل المثال فنجد أن رواية "إنهم بشر" للرائد خليل عبد الله الحاج قد صدرت في القاهرة عام١٩٦٠م مع أنها كتبت في العام ١٩٥٤م حيث كانت الروايات تكتب في السودان تحتاج إلى وقت طويل حتى تنشر وتصل إلى القراء. وفي هذا الموقع لدكتور أمير تاج السر رأي خاص بأن الكاتبين في السودان غير قليل ولكنهم يكتفون بعرض إنتاجهم العلمي والفكري والأدبي فيما لديهم من المتواصلات الاجتماعية مثل فيس بوك وواتس أب وغيرهما من الوسائل الاجتماعية الحديثة. يتحدث أمير تاج السر عن صعوبة النشر والتوزيع داخل السودان" طبيعة البلد، من حيث وجود دور نشر محدودة، أذكر في بداياتي أن حاولت نشر أحد كتبي داخل السودان، ورفض كل الناشرين أن يلقوا عليه نظرة، ثم عادوا بعد سنوات يلحون علي في النشر لديهم"[٢٢].

ويواصل الصاوي "من الإشكاليات أيضا عدم معرفة كاتب الرواية بما هو نظري، فهنالك كتب وروايات غير محكمة من حيث اللغة والترتيب والتناسق" والكاتب محمد المهدي البشرى يري أن هنالك مشاكل وعقبات أساسية تواجه الرواية والكتابة الإبداعية بصورة عامة في السودان والتي من أبرزها الأزمة الحادة للنشر مؤسساته في السودان إذ يقول "وجود تعقيدات على عملية نشر الأعمال الإبداعية في السودان ساهم بصورة كبيرة في عدم الارتقاء بالرواية والأعمال الكتابية إلى مصاف عالمية، وذلك الارتقاء والنهضة في الإبداع الكتابي لا يمكن أن يكون ما لم يتم تسهيل عملية النشر ورفع القيود من قبل الدولة" بل الدولة تساهم في خلق الركود في مسيرة الكتابة الإبداعية مع أنها لم تبد أي اهتمام عملي لتطويرها وتنميتها.

ومن أبرز الدواعي لانخفاض نمو الرواية العربية في السودان مصادرة الرواية لعبد العزيز بركة ساكن التي أثرت أثرا سلبيا في مجرى تطور الرواية السودانية حيث حجبت روايته التي فازت بجائزة الطيب صالح بتهم غريبة، ومنها عدم التشجيع بإقامة الجوائز والمسابقات التنافسية حول الأعمال الروائية وغيرها من الاستراتيجية التي تدعم الرواية العربية كتابة وقراءة حيث ما جاءت الجائزات إلا بعد الألفين كما أن فيها تقصير الحركة النقدية لأن النقد يعمل عمل المصلح حيث ستظهر الأعمال القيمة الروائية وتجد المكانة العالمية إن كانت

[٢٢] في إحدى المقابلة معه

الحركة النقدية قوية وفعالة. فقد أجمع الكثيرون بأن تطوير الرواية في السودان يرتبط ارتباطا مباشرا بوضع حلول جذرية لكافة الإشكاليات التي واجهت مسيرتها خلال طيلة الفترة الماضية حيث أكد البعض أن من أهمها ضرورة التشجيع على الكتابة باللغات المحلية إضافة إلى حل أزمة النشر في السودان عبر رفع القيود بحيث لا يلجأ الكاتب إلى ديار النشر والتوزيع في الخارج بسبب رداءة وسوء عملية النشر في السودان.

أحاول في هذا الصدد أو المدخل أن ألقي الضوء الخاطف على مسيرة الرواية العربية الحديثة في السودان منذ نشأتها إلى الآن. كانت الرواية العربية على إطلاقها قد نشأت أول ما نشأت في مصر والشام وبعد ذلك سعت في الأوطان العربية الأخرى نضجا وتطورا حتى في المغرب العربي وهنا أريد الحديث بنبذة وجيزة عن نشأتها في السودان لأن الرواية العربية فيها سارت مسيرتها كغيرها من الأقطار العربية منذ وقت مبكر كما أشار إليه د. حمدي السكوت "إن الرواية العربية السودانية بدأت تكتب بشكل مطرد منذ أوائل الستينات"[٢٣] ومن الذين ذاعت أسماءهم في مجال الرواية العربية السودانية "إبراهيم الحردلو" و "أبو بكر خالد" و "مكى محمد على" و "الطيب صالح" و "أمير تاج السر" وغيرهم. كانت الرواية السودانية حين تذكر يقفز إلى أذهان القراء مباشرة اسم الطيب صالح مع أنه كتب ثلاث روايات فقط هي "عرس الزين"(١٩٦٦)، و"موسم الهجرة إلى الشمال"(١٩٦٧)، و"ضوء البيت"(١٩٧١)، و "مريود" (١٩٧٧) كلاهما الأخيران الجزءان من "بندر شاه" المكونة من جزئين. ولكن انعكست حالات الرواية السودانية حاليا لما تقدم الأديب النبيل والروائي النابغ أمير تاج السر إلى منصة الكتابة حيث قدم للعالم العربي عشرين رواية وديوان شعر وكتابا في السيرة الأدبية ولا يزال يكتب الأعمال القيمة حتى سمي بـ "سيد الرواية العربية السودانية وأميرها". ومما يفهم من مهاراته اللغوية ومكانته الروائية أنه قد ترشحت روايتاه الجديدتان" صائد اليرقات"و"٣٦٦" ضمن القائمة القصيرة والطويلة لبوكر العربية في السنتين الماضيتين ٢٠١١م و٢٠١٤م متواليا، مع أنه يعالج المرضى كطبيب الأمراض الباطنية في مستشفى الدوحة، دولة قطر منذ ١٩٩٣م.

[٢٣]الدكتور حمدي السكوت، الرواية العربية الحديثة ببليوجرافيا ومدخل نقدي ١٨٦٥-١٩٩٥، الجزء الأول، ص: ١٩١

كان هناك روايات كثيرة تعالج القضايا السياسية، خير مثال لهذا النوع رواية "الدميرة" لكاتب شهير عبد الرحيم محمد صديق حيث يعتبر روايته من أفضل الروايات الجديدة حيث قال عنها الناقد مصطفى الصاوي "أنها تمثل نموذجا جيدا للرواية السياسية في السودان مع أنها تناولت صدام المثقفين مع السلطة السياسية بعمق". ومن الكتاب الذين بنوا بكتاباتهم تيارا حديثا ومنهجا جديدا للرواية السياسية يوسف نور عوض صاحب الرواية "زقلونة البركاتي" والحسن بكري صاحب "أهل البلاد الشاهقة" وعمرو عباس صاحب "الجنخانة" ومروان حامد بشير صاحب "الغنيمة والأرباب" وغيرهم من النجوم الذين سطعوا في الوطن.

ومما يعين الارتقاء والتطور للرواية العربية في السودان جائزة الطيب صالح حيث تأسست تحت رعاية مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي من وديعة مالية جمعتها نخبة من أصدقاء الطيب صالح عام ٢٠٠م لتكريمه إلا أنه طلب تخصيصها لجائزة سنوية هدفها الارتقاء بالرواية العربية في السودان، كما أن الشركة السودانية للهاتف السيار "زين" درجت الآن على إقامة جائزة عالمية باسمه حيث تفتح فيها المنافسة للمشاركين من السودان وخارجه.[٢٤]

المبحث الأول: الثقافة السودانية كانت ثقافة شعرية

إذا أردنا الولوج إلى جذور الثقافة السودانية حيث مرت بمراحل متعددة حتى اللحظة التاريخية الحديثة فنصل إلى أنها كانت ثقافة شعرية أكثر من أخرى وقام الناقد الباحث محمد المهدي بشرى بإقرار هذه الحقيقة التي تشير إلى أن الثقافة السودانية ثقافة شعرية والمزاج السوداني نفسه كان يغلب عليه الشعر منذ أيام دولة الفونج أو ما عرف بمملكة سنار الإسلامية ١٥٠٤-١٨٢١. ويرى بشرى أن الشعر ظل العنصر الغالب أو المهيمن على الثقافة ولكن التعليم الحديث والحياة المدنية أتاحا فيما بعد محاولات وإرهاصات لأجناس إبداعية أخرى مثل الرواية ويرى أن السبب الذي جعل الشعر عنصرا مهيمنا على الثقافة السودانية هو سيطرة الذهنية الصوفية على الثقافة السودانية والتي جعلت السودانيين أميل للشعر دون الأجناس الأخرى.

[٢٤] سودان تريبون، الصفحة الأولى، ٢٢، يوم الخميس، أكتوبر، ٢٠١٤م

ولا ننسى دور الشاعر التيجاني يوسف بشير[٢٥] الهائل في إثراء فن الشعر بأرض السودان حيث اشتهر بشاعر الرومنطيقية الأول في الأدب السوداني المعاصر[٢٦]ومن أبياته البديعة:

هذه الذرة كم تحمل في العالم سرا!

قف لديها وامتزج في ذاتها عمقا وغورا

وانطلق في جوها المملوء إيمانا وبرا

وتنقل بين كبرى في الذراري وصغرى

تر كل الكون لا يفتر تسبيحا وذكرا

يمكننا أن نرى القيم الدينية والقومية في أقوال الشاعر التيجاني يوسف بشير حيث يمجد الفقر ويعد أنه خير من يمثل هذا الاتجاه مع أنه كان من الطبيعي أن يتمرد على الفقر فهو مثلا في قصيدة" دنيا الفقير" يحسن الفقر ويزينه للناس، على نحو قوله:

وما يبتغي فقراء الحياة

خزائنها خشية أن تضيع

ولا تزدهيهم ملاهي الوجود

ولا يطبيهم خداع الصنيع

فيا آهة ملء دنيا الفقير

ويا أنه ملء دنيا الوجيع

لأنت لدى الله أسمى وأنبل

في الأرض من بسمات الخليع![٢٧]

---

[٢٥]هو ١٩١٢-١٩٣٧، شاعر كبير، من أسرة دينية تنتمي إلى الطريقة التيجانية الصوفية، خلف للعالم العربي ديوانا شعريا ضخما حيث سماه" إشراقة" برغم حياته القصيرة.

[٢٦]أحمد أبو سعد، الشعر والشعراء في السودان ١٩٠٠-١٩٥٨، ص: ٧٠

[٢٧]د. عبده بدوي، الشعر في السودان، ص: ١٦٧

ومن الشعراء الكبار في السودانيين الشاعر محمد مفتاح الفيتوري يعتبر أنه كان جزءا من الحركة الأدبية السودانية. من قوله:

يا أخي في الشرق، في كل سكن

يا أخي في الأرض، في كل وطن

أنا أدعوك... فهل تعرفني؟

يا أخا أعرفه...رغم المحن

إنني مزقت أكفان الدجى

إنني هدمت جدران الوهن

لم أعد مقبرة تحكي البلى

لم أعد ساقية تبكي الدمن[٢٨]

صحيح أن هناك من شاركوا في التعبير عن الحس الديني كالشعراء عبد الله محمد عمر البنا وعبد الله عبد الرحمن وعثمان هاشم وغيرهم حيث أن الخط الصوفي ما زال يحافظ على وجود في المسيرة السودانية. واندلعت ظاهرة الالتفات إلى الينابيع الإسلامية الأولى ولقد كانت تتمثل أساسا في عهد النبوة وكان ما يشغل الشعراء منها الحديث عن النبي. على نحو ما نعرف من الشاعر عبد الرحمن شوقي الذي بدأ قصيدته في المولد النبوي بقوله:

نديمي من سلاف الخمر هات

وشنفني بذكر الماضيات

أترضى أن أضام وأنت حر

وتسمح أن تلين لهم قناتي[٢٩]

---

[٢٨] أبيات من قصيدته" أغاني إفريقيا" ألفها عام ١٩٥٥م. وله كثير من الأشعار في اللغة العربية مثل "سقوط دبشليم"-١٩٦٨م، عصفور الدم – ١٩٨٣م وغيرها. ومن مسرحياته "تورة عمر المختار"-١٩٧٤م، و"سولارا"-مسرحية شعرية ١٩٧٠م

[٢٩] د. عبده بدوي، الشعر في السودان، ص: ٩٧

المبحث الثاني: المشهد الروائي في السودان عبر المراحل

من الصعب أن نحدد بشكل دقيق مسار الرواية السودانية، إذ كانت هناك مدة زمنية تفصل عادة بين تاريخ كتابة الرواية وتاريخ نشرها نسبة لمشكلات النشر المعقدة في السودان، ورفع الدولة يدها عن النشر الثقافي، وافتقار الكاتب السوداني إلى طريق ممهد لنشر إنتاجه حيث قد تقبع الروايات سنوات في حوزة صاحبها قبل أن تجد طريقها إلى القراء، وآية ذلك أن أغلب الباحثين درجوا على اعتبار رواية" إنهم بشر" للرائد خليل عبد الله الحاج رواية سادسة في تاريخ الروايات السودانية باعتبار تاريخ صدورها وهو العام ١٩٦٠م ولكن هذه الرواية كتبت سنة ١٩٥٤م ولم يستطع صاحبها نشرها سوى في العام ١٩٦٠م في القاهرة. فهي ثاني الروايات السودانية ريادة بالتزامن مع رواية" هائم على الأرض أو رسائل الحرمان" للأديب بدوي عبد القادر خليل الصادرة سنة ١٩٥٤م. نحن نرجح أن تكون أول رواية سودانية وهي "تاجوج" لعثمان هاشم والتي يؤرخ لها بالعام ١٩٤٨م وهو عام صدورها بالرغم من أنها قد كتبت قبل ذلك بسنوات. قد انطلق فيها الكاتب من التراث الشعبي السردي السوداني وكانت بيئة الرواية هي شرق السودان حيث تعيش قبيلة الحمران من قبائل البجة، وقبيلة الهدندوة المعروفة، وكانت تاجوج الحمرانية من أجمل النساء وبها يضرب المثل في الجمال وقد ذكرت بعض الروايات أنها عاشت في النصف الأول من القرن التاسع عشر وكان المحلق فارس قبيلته الحمران وقائد انتصاراتها على الهدندوة ومتيما بابنة عمه تاجوج، ويتزوجها لكن زواجه منها ينتهي نهاية مأساوية. وقد حاول محمد هاشم أن ينسج من هذه القصة الشعبية رواية حديثة اتضحت فيها براعته في حبك عقدة فراق "المحلق" من "تاجوج" بعد أن تزوجها كما اتضحت براعته في رسم النهاية المأساوية للعاشقين كما تجري قصص العشاق عادة. ويمكن القول بشكل عام أن بداية الرواية السودانية كانت مشابهة لبداية الرواية العربية عموما وذلك في اتخاذها المنحى العاطفي الرومانسي مسارا لها مثلما فعل محمد حسين هيكل مثلا في روايته "زينب" الصادرة سنة١٩١٤م حيث نلاحظ بعض التشبيهات بين "زينب" و "تاجوج" وأما "الموضوع الأساس في رواية زينب هو وصف الريف بطبيعته وعاداته وأخلاقه مع التركيز على موضوع الحب والزواج، وذلك من خلال الحديث عن إحدى العاملات في الفلاحة والتي تدعى زينب، هذه التي يتم تزويجها لحسن ولكنها لم تقتنع بهذه الزيجة، فقد

أحبت شخصا آخر هو إبراهيم الذي يسافر لأداء الخدمة الوطنية العسكرية. فتأزم وضعه واختفى من الحياة العامة، أما زينب فإنها تمرض بمرض السل، وتموت في نهاية الرواية"[٣٠].

ولكن الرواية السودانية ما لبثت أن اتخذت مسارا واقعيا ذا علاقة وثيقة بحوار الذات مع المجتمع وقضيا الصراع الاجتماعي ومشاكل الطبقات الاجتماعية المختلفة كما نجد عند خليل عبد الله الحاج في "إنهم بشر" الصادرة سنة ١٩٦٠م، وأبي بكر خالد في "بداية الربيع" سنة ١٩٥٨م و"النبع المر" سنة ١٩٦٦م وملكة الدار في "الفراغ العريض" حيث اتسعت الرواية الأخيرة لمناقشة قضايا المرأة وطبيعة نظرة المجتمع إليها في ذلك الوقت والدفاع عن حقها في اختيار الزوج والعمل وغيرها مما يعد بداية ناضجة للكتابة النسوية. يمكننا أن نعبر عبر المراحل المتنوعة مرت بها الرواية العربية السودانية لكي نطلع على مسارها في السودان منذ ظهورها إلى الآن.

مرحلة الستينيات:

شهدت الستينيات قفزة نوعية كبرى في الرواية السودانية بالرغم من أن ظهور الرواية الأولى "تاجوج" لعثمان هاشم عام ١٩٤٨م حيث كان الفتح الروائي الكبير الذي قاده الطيب صالح ١٩٢٨-٢٠٠٩ برواياته قد قفز بالرواية السودانية قفزة كبرى. وبسرعة احتلت مكانته كواحد من أفضل الروائيين في العالم العربي، حيث بدأ قطوف السياسة الثقافية الجماهيرية التي وضعت بذورها في الستينات وتأثروا بالتجربة الفنية التي حدثت في جمهورية مصر العربية الشقيقة الرائدة حيث د. تاج السر الحسن يقول عن ضرورة الاستفادة الجادة من التجربة المصرية "ألا ترون: أن من حق الثقافة والمثقفين في السودان أي يدرسوا تلك التجربة القيمة ليأخذ بنهجها في سودانا المترامي الأطراف"[٣١].

برزت فيه أسماء روائية أخرى مثل السر حسن فضل في روايته" من أجل ليلى" الصادرة عام١٩٦٠م وأمين محمد زين صاحب" لقاء عند الغروب" عام ١٩٦٣م ومحمد مختار محمد صاحب "سخرية الأقدار" عام ١٩٦٧م وعبد الفتاح خضر صاحب" صراع" عام ١٩٦٨م وحسن أمين صاحب" دغدغة الأمل" عام

[٣٠]د. صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية، ص: ٥١

[٣١]د. تاج السر الحسن، بين الأدب والسياسة، ص: ٥٢

١٩٦٨م. ولكن يمكن القول بشكل عام إن التيار الرومانسي بكل قصصه العاطفية الفاجعة ظل سائدا عند أولئك الكتاب ابتداء من العنوان حتى آخر كلمة في الرواية. ولم ينج منه سوى إبراهيم إسحق في "حدث في قرية" سنة ١٩٦٩م والطيب صالح في مجمل أعماله وأبي بكر خالد في "النبع المر" سنة ١٩٦٦م وعدد قليل من الروائيين.

مرحلة السبعينيات:

حقبة السبعينيات فقد شهدت بروز عدد من الأسماء ابتداء من الطيب صالح الذي واصل مشروعه الروائي "ضو البيت" و "مريود" ثم إبراهيم إسحق الذي أصدر "أعمال الليل والبلدة" سنة ١٩٧١م كما أصدر أبو بكر خالد "القفز فوق حائط قصير" عام ١٩٧٦م وعمر الحميدي" جزيرة العوض". يمكننا أن نرصد في هذه الفترة تراجع التيار الرومانسي الذي ظل يمارس سطوته على عدد من الروايات الستينية وأضحت الواقعية بتياراتها العديدة كالواقعية الاجتماعية والفنية والنقدية.

مرحلة الثمانينيات والتسعينيات وما بعدها:

برز في هذه المرحلة جيل جديد في الثمانينيات فبالإضافة إلى الذين واصلوا كتابة الرواية من الأجيال السابقة مثل إبراهيم بشير في "التراب والرحيل" سنة ١٩٨٩م وبابكر على ديومة في "الخرطوم وداعا" سنة ١٩٨٥م وبشرى هباني في "مسرة" سنة ١٩٨٦م وغيرهم.

أما التسعينيات وما بعدها فبالإضافة إلى إبراهيم إسحق الذي واصل فتوحاته الروائية فقد ظهر عدد كبير من الأسماء الجديدة على سبل المثال محمد الحسن البكري، أحمد حمد الملك، أمير تاج السر، عبد العزيز بركة ساكن، أبكر آدم إسماعيل، ليلى أبو العلا، محسن خالد، على الرفاعي، منصور الصويم، حمور زيادة وغيرهم. وتميزت روايات هذا الجيل بقوة في البنية الروائية والتحديث بالإضافة إلا الإطلالة على العالم الخارجي من خلال الترجمات المتعددة لأعمال الكثيرين من بينهم جمال محجوب وطارق الطيب وليلى أبو العلا وأمير تاج السر وحمد الملك وهذا ما لم يحدث في الجيل السابق لغير الطيب صالح وحده.

المبحث الثالث: الرواية العربية المعاصرة في السودان: واقعها وآفاقها

عندما نتحدث عن السودان أدبيا لا بد أن نذكر اسم الروائي الكبير الطيب صالح حيث صار حصنا رصينا أدبيا مؤثرا في الأدب العربي والعالمي ودخلت روايته" موسم الهجرة إلى الشمال" ضمن أفضل مائة رواية عالمية. إن الملاحظة المهمة الأخرى التي تبدو من خلال ما سبق من تاريخ تطور الرواية العربية ومراحلها الشتى في السودان، هي أن الرواية العربية فيها لم تترشح في الحيز الأهم والمرحلة الجميلة من مراحل تطورها وتعددها إلا بعد الستينيات من القرن الماضي، وتحديدا على إثر قدوم الروائي البارع الطيب صالح بروايته الممتعة" موسم الهجرة إلى الشمال" سنة ١٩٧٠م أو ١٩٦٥م. وكان قبله الروائي السوداني خالد أبو بكر، صاحب الروايات العديدة مثل أم درمان الجديدة(١٩٥٧)، بوابة الربيع(1958)، النبع المر(١٩٦٦) وغيرها وهاشم عثمان محمد صاحب الرواية الأولى في السودان "تاجوج"(١٩٤٦/1948) والحاج خليل عبد الله صاحب الرواية "إنهم بشر"(١٩٦٠) وغيرهم كانوا تنتمي إليهم الرواية العربية السودانية.

فعندما ننظر إلى الرواية العربية في السودان ونتأمل في مضامين الروايات فيها، نتوصل إلى الرؤية المتميزة تدور وتسير في خطين كما نراها في الروايات المؤلفة ما بين الحربين ١٩١٤-١٩٤٤ الأول الرواية الاجتماعية والثاني الرواية التاريخية حيث قال وادي "كانت الروايات الرومانسية في هذه المرحلة تسير في خطين: الأول الرواية الاجتماعية تستلهم أحداثها من المجتمع السوداني الذي يعيش فيه الكاتب كما نجد في روايات هيكل والمازني وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور وطه حسين وعباس العقاد والآخر الرواية التاريخية التي تستوحى موضوعها من التاريخ كما نجد في أعمال جرجي زيدان وفريد أبو حديد وعلى باكثير وسعيد العريان وعلى الجارم ونجيب محفوظ وعبد الحميد جودة السحار وغيرهم[٣٢].

ونرى اللمسات الواقعية في أعمال الطيب صالح حيث الرواية العربية تحولت عن الرومانسية إلى الواقعية بسبب ظروف الواقع العربي نفسه وكتاب الرواية في العالم العربي مالوا بقوة نحو الواقعية حيث كانت الواقعية محتضرة في بعض الآداب مثل الأدب الفرنسي والإنجليزي. هذا التحول الضروري يدعم الدعوة يعني أن

[٣٢]طه وادي، الرواية السياسية، ص: ٧٨

المذاهب والأشكال الأدبية لا تستورد ولا تنشأ في مجتمع من المجتمعات إلا إذا كانت هناك ظروف اجتماعية وفكرية وفنية تسمح بوجودها[٣٣] ولما بدت في الوطن العربي أصوات روائية كثيرة مثل نجيب محفوظ ويوسف إدريس وعبد الرحمن منيف وغيرهم وكان الطيب صالح بين ظهرانهم.

ومن خلال هذا العرض المختصر لمسيرة الرواية العربية في السودان تتضح لنا أن الرواية المعاصرة تنضوي تحت لواء الواقعية الجديدة. وهنا أود أن أختتم الكلام بتوضيحات قام بها الروائي السعودي عبد الرحمن منيف تتعلق بواقع الرواية العربية ومستقبلها الزاهر في العالم العربي، يقول: "من الحقائق البارزة والتي تتأكد يوما بعد آخر، أن العصر العربي الذي نعيشه الآن وربما الذي سيأتي غدا هو في الجانب الفني عصر الرواية. لا أقول هذا لأغيب الفنون الأخرى أو لأهضمها حقها، ولا لأعقد مقارنة بينها وبين هذه الفنون، وإنما لأبرز أن التعقيدات والهموم والمشاكل التي تواجه العرب الآن وفي المستقبل، ستكون الرواية الأداة الأقدر والمهيئة أكثر للتصدي لها. الرواية كما أفهمها، وكما أكتبها، أداة جميلة للمعرفة والمتعة. إنها تجعلنا أكثر إدراكا وأكثر إحساسا بكل ما حولنا، وقد تقول لنا، في السياق، أشياء عديدة يجدر بنا معرفتها أو تذكرها. ولهذا فالرواية ليست ضد الشعر، وليست ضد أي فن آخر. لا تزاحم أحدا ولا تطالب برأس أحد. تريد أن تتآخى مع الفنون الأخرى وأن تتفاعل معها...وإذا كان الشعر العربي نتيجة التاريخ والتراكم قد أغرى الشعراء وجعلهم يتنافسون، وبالتالي يطمح كل واحد منهم لإقامة إمارة لكي يصبح أميرا، فأن الرواية وليد حديث ولذلك فهي لا يحتاج إلى إمارة بقدر حاجتها إلى مظلة، وتطمح أن تكون سجلاً ومرآة يرى فيها الجميع أسمائهم وصورهم[٣٤].

اعتمادا على ما سبق، نفترض أن الرواية خلال الفترة الحالية والقادمة ستكون المرآة التي يرى فيها العرب أنفسهم وستكون سجلهم سجل الأفكار والأحلام وضباب الأمل أيضا. سوف تقول وبأساليب عديدة: أي عصر عشنا فيه، وأية مصاعب وجهناها، وأية تحديات انتصر فيها وعليها رجال ونساء هذا العصر. ستكون الرواية تاريخ الذين لا تاريخ لهم، تاريخ الفقراء والمسحوقين والذين يحلمون بعالم أفضل. ستكون

---

[٣٣] مأخوذة من فكرة المفكر الكاتب طه وادي

[٣٤] عبد الرحمن منيف، الكاتب والمنفى، ص:٤٣

الرواية حافلة بأسماء الذين لا أسماء كبيرة أو لامعة لهم وسوف تقول كيف عاشوا وكيف ماتوا وهم يحلمون. وسوف تتكلم الرواية أيضا وبجرأة عن الطغاة والذين باعوا أوطانهم وشعوبهم وتفضح الجلادين والقتلة والسماسرة والمخربة نفوسهم ولا بد أن تقرأ الأجيال القادمة التاريخ الذي نعيشه الآن وغدا ليس من كتب التاريخ المصقولة وإنما من روايات هذا الجيل والأجيال القادمة[٣٥].

ومما لا شك فيه أن الكتابة الروائية قد ازدهرت في السودان عن ثلاثة مؤثرات أولها وجود الناقد والمؤرخ الفلسطيني إحسان عباس[٣٦] في جامعة الخرطوم لاحقا حيث اتفق مع مطبعة مصرية طبعت فيما بعد أعمال الأدباء. والمؤثر الثاني هو الدور الذي لعبته مجلة "القصة السودانية" لعثمان على نور الذي باع بيته لإصدار المجلة فحسر بيته وخسر المجلة ولكنه خدم القصة. المؤثر الثالث هو ازدهار الرواية في مصر حيث كان ذلك مؤثرا مهما وحاسما في تطور الرواية العربية السودانية. لازم علينا أن نلفت انتباهنا إلى ضرورة التأصيل للأجناس الإبداعية السودانية حيث يعد كتاب "موت دنيا" لمؤلفيه محمد أحمد المحجوب وعبد الحليم محمد الصادر في منتصف أربعينيات القرن المادي، نوعا متقدما من البناء الروائي.

في بداية القرن العشرين والحادي وعشرين اتصف عدد من الروايات التي كتبت بمراعاة الذوق الشعبي إذ اتخذ عدد منها التاريخ مادة لكن بطريقة أكثر معرفة ورصانة كأمير تاج السر يتداول تاريخ السودان في روايتيه الشهيرتين رعشات الجنوب وإبولا ٧٦ وغيرهما من الروايات. وممن تضلعوا في هذا النوع التاريخي الكاتب والروائي حمور زيادة يعيد تاريخ السودان إلى نفوس القراء حيث أصدر روايته الجديدة "شوق الدرويش" التي تتألق في سردها لعالم الحب والاستبداد والعبودية للثورة المهدية في السودان في القرن التاسع عشر. ويحاول ليرسم صورة لزمان ومكان غير مألوف لمعظم القراء بلوحة متعددة الألوان وواسعة النطاق من الشخصيات والأحداث. وخطت الرواية العربية في السودان خطوة جديدة على يد هؤلاء الروائيين

---

[٣٥] عبد الرحمن منيف، الكاتب والمنفى، ص: ٤١-٤٤

[٣٦] هو العلامة إحسان عباس١٩٢٠-٢٠٠٣، ولد أستاذ الأجيال بقرية عين غزال بفلسطين، أحد المثالات العليا التي يرنو إليها الكثيرون في مجال الفكر والثقافة والأدب العربي، وأحد القامات الفكرية المرموقة التي أثرت الحركة الثقافية في السودان في حقبة الخمسينات ومطلع الستينات. واستهل مشواره الأكاديمي بالسودان حيث عمل محاضرا بقسم اللغة العربية بكلية غردون التذكارية(١٩٥٠م) التي أصبحت تمسى كلية الخرطوم الجامعية سنة ١٩٥٤م فجامعة الخرطوم سنة ١٩٥٦م. وله دور هائل في التعريف بالأدب والثقافة السودانية إبان فترة عمله المحددة.

الكبار ولمساهمات هؤلاء وغيرهم من الأدباء والروائيين أيضا أهمية كبرى في تطور الرواية العربية بأرض السودان. ومما لا مرية فيه أن السودان شيئا فشيئا طفقت روايتها العربية تكتسب ملامح متميزة إذ جاء جيل الرواد الجدد بعد جيل الطيب صالح وغيره من الروائيين بذلوا جهودهم الجبارة لإثراء الرواية العربية فيها ولترويجها خارج السودان حيث نالت الرواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح قبولا عالميا وترشحت في دائرة عالمية للروايات العربية البديعة. ولا نستطيع أن نبخس مساهماته في بناء الرواية العربية الجديدة والمتميزة لا يماثله أي جهد آخر بل مع هذا الأمر الحقيقي يمكننا أن نعثر على خصائص فنية أو تاريخية فيما كتبه السودانيون المعاصرون حيث جاءت الأسماء كأمير تاج السر وحمور زيادة غيرهما من الروائيين المعاصرين في خريطة الرواية العربية الحديثة بلغتهم الشعرية الممتازة وبأسلوبهم الخاص بين السرد والحوار.

ومما يسر القراء للروايات العربية في السودان ظهور كتاب" بحوث في الرواية السودانية"، ٢٠١٠م صادر عن مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي حيث صار أول مرجع حديث للنقد الروائي في السودان إذ لم تشهد السنوات العشرون الماضية أي مساهمة مماثلة. هذا الكتاب النقدي يتضمن على موضوعين رئيسين، الأول عن القصة ١٩٢٠-١٩٧٠ لقاسم عثمان نور والثاني عن الرواية ١٩٤٨-٢٠٠١ لمصطفى الصاوي. ونعثر في الكتاب على ٤١ بحثا ل ٢٥ باحثا حول خمسين رواية صدر معظمها بعد التسعينات حيث حضرت المرأة بأربعة أسماء هي بثينة خضر وملكة الفاضل وزينب بلبل وليلى أبو العلى. وأما المحاور العامة لهذه الأبحاث فجاءت تحت أربعة عناوين هي إشكالية الهوية وتجلياتها، واقع الرواية السودانية، الرواية السودانية في واقع متغير، رواية التسعينات وما بعدها. القضايا والتطلعات والاتجاهات. ومن الأديبات المتضلعات اللائي ظهرن في فضاء سماء الرواية السودانية، الكاتبة المتميزة سارة منصور، صاحبة الرواية "بنات الخرطوم" التي تتناول القصص الواقعية.

المبحث الرابع: مكانة الرواية السودانية في المستوي العالمي

كان مستوى الأدب العربي السوداني وسمعته عامة والرواية العربية السودانية خاصة ضئيلا جدا حيث لم يسمع صوت المؤلفين خارج السودان غير الطيب صالح المسمى بعبقري الرواية العربية والنقاد كانوا يكتفون

به من آرائه وشعوره ولا أحد لم يتوقع تفوق المؤلفين السودانيين وارتقائهم بعين الاعتبار حتى ظهور الطبيب الكاتب د. أمير تاج السر وحمور زيادة والأجيال الجديدة تأثروا بالإبداع العربي الحاضر في السودان. ومن الأمور المهمة التي لا غنى عنها أن الرواية العربية السودانية طفقت اشتهرت بقدوم المؤلفين الجدد الذين يبذلون جهودهم المضنية لإنعاش هذه اللغة العربية وآدابها ويقومون بتأليفاتهم القيمة في كل السنة. ولا غرابة لنا في أن نقول إن الجائزة العالمية للرواية العربية وغيرها من الجوائز الكريمة مثل جائزة نجيب محفوظ تلعب أدوارا ملموسة حيث نالت الرواية العربية ترويجا كبيرا.

ويجدر هنا أن نقول سمعة الدكتور أمير تاج السر وشهرة الكاتب القدير حمور زيادة ليست إلا من أدوار مهمة لعبتها الجائزة العالمية للرواية العربية حيث ترشحت رواية "صائد اليرقات" لأمير تاج السر في القائمة القصيرة سنة ٢٠١١م كما دخلت روايته الجديدة"٣٦٦" في القائمة الطويلة سنة ٢٠١٤م. وأما بالنسبة روايات حمور زيادة كلها ممتعة ومشوقة حيث ترشحت روايته الجميلة" شوق الدرويش" في القائمة القصيرة لدورة الجائزة الثامنة سنة ٢٠١٥م كما أنها فازت بجائزة نجيب محفوظ في السنة الماضية ٢٠١٤م. ومن الملحوظة العامة أن من يكتبون خارج السودان لم يمنع نشر إنتاجاتهم القيمة وتتشرف أعمالهم الأدبية برواج كبير بين القراء العرب بدون إمهال ولا إبطاء وتجد الاعتبار والاعتناء المستحقين. في الجملة، قد تطور الأدب العربي بأرض السودان إلى حد واسع حيث تقدر رغم كل الصعوبات والمشاكل والتحديات على إنجاب الأدباء والشعراء الكبار كما أشارت إليها الروائية السودانية ليلى أبو العلا "إننا نريد أن يأتي كل العالم إلى الخرطوم، لا أن تذهب الخرطوم إلى العالم"[٣٧].

[٣٧] مستلهم من أخبار الجزيرة. نت، يوم الأربعاء ١٨,٠٢,٢٠١٥

الفصل الثالث

خريطة السرديات الحديثة في السودان: بعض الشخصيات المتميزة فيها

يرى الكاتب عبد العزيز بركة ساكن "قد لا أكون مبالغا إذا قلت إن بالسودان اليوم ما يفوق من الروائيين الأحياء يمشون على الأرض يكتبون ويخاطبون الناس وينشرون أعمالهم في الوسائط المتعددة وأيضا في إصدارات ورقية من دور نشر أو على حسابهم الخاص تتراوح أعمارهم ما بين ١٨و٥٠ عاما". ولا يجب علينا أن نتحدث هنا عن جودة ما يكتبون ولا قيمته الفنية لأننا في الأصل نتبنى تعريفا مريحا وثوريا للرواية، وهو "الروي هي كل ما يظن المؤلف أن ما كتبه رواية".

الرواية العربية في السودان منذ ظهورها عام ١٩٤٨م كانت معبرة عن وجود اجتماعي وراصدة للحراك الاجتماعي والثقافي باعتبارها شكلا فنيا ومن المعروف أن هناك ربطا وثيقا واتصالا متينا بين النشأة المتوسطة وفنون كفن الرواية. ومما لا غرابة فيه أن هذا المسار الروائي بالسودان قد أنتج روايات متعددة بأشكال مختلفة وعناوين متنوعة.

وأما بعد سنة ١٩٥٤م، فكان ذاك العصر فجر النهضة السودانية حيث ظهر فيه تيار جديد وظهرت الرواية الواقعية أو الواقعية الاشتراكية على سبيل المثال روية "إنهم بشر" لخليل عبد الله محمد تعد رواية نسوية من الدرجة الأولى وعاصر معه الفراغ العريض وأبو بكر خالد مؤلف رواية "القفز فوق حائط قصير" ومن سواهما. هكذا استوطنت الرواية العربية وأصبحت جزءا من البيئة الثقافية الأدبية في السودان إلى أن وصلنا لنطلع على النموذج الأفضل أو النماذج ذات البناء الفني المتميز، الطيب صالح، عبد العزيز بركة ساكن، إبراهيم إسحق، محمود محمد مدني، أمير تاج السر، حمور زيادة وغيرهم من الأدباء المحترمين. إذا نظرنا إلى التراكم الكمي للنصوص الروائية السودانية بعين الاعتبار من نهاية التسعينيات إلى الآن فنصل إلى منتوجات الأدباء الأجلاء مثل محمد هارون، حسن البكري، عبد الرحيم محمد صديق، أمير تاج السر، سيف الدين، حسن بابكر، إبراهيم بشير، منصور الصويم، أبكر آدم إسماعيل، محمد حسين بهنس، عبد العزيز بركة ساكن، بثينة خضر مكي، حمور زيادة، إبراهيم سلول، عبد الفتاح حامد بدوي، زينب بليل، سارة منصور والأسماء الأخرى بعد سنة٢٠٠٠م. النصوص الروائية السودانية كانت من منتوجات المد

الرومانسي وحركات التحرر الوطني لان الرواية لا بد لها أن تنفعل بالواقع. وكانت هناك يعني في بداية الثمانينات شروق الرواية وصمتها فالثمانينات حتى الآن فترات بشعة من المستوي الاجتماعي، هجرات تفاقمت، مجاعة كممت الأفواه، شرائح اجتماعية تعتمد فقط على دخلها. الواقع لم يكن أكثر سعيدا في التسعينيات أيضا بسبب الخلفيات السياسية والاجتماعية التي أثرت كثيرا على الرواية. وهناك شرذمة أخرى من السودانيين هم يكتبون الروايات الكثيرة على الإنترنت خارج هذا السياق حيث صاروا أجزاء من السياق الداخلي ويكتفون بنشرها في الوسائل الاجتماعية فقط.

في السنوات الماضية تراكمت الروايات الشبابية حيث صدرت روايتان "أتبرأ. خاصرة النهار" لعادل سعد و"خيانتئذ" لسارة حمزة الجاك وغيرهما، كلتاهما الصادرتان عن مركز عبد الكريم ميرغني، تمنح جائزة الطيب صالح للإبداع الروائي ومادتهما مستندة إلى تغيير هائل في تاريخ السرد السوداني من أحداث التاريخ والحاضر. قد ظل السرد الروائي في السودان محافظا على خصائص يراها النقاد ملائمة للواقع السوداني حيث الرواية السودانية الشبابية تتشابك خيوط السرد الشبابي مع تشابكات الواقع الذي يعيشونه وتجعل من كتاباتهم صرخة تعبر عن أزمة ثقة في الحاضر والمستقبل وهروبا عن واقعهم بالكتابة عن الجنس والسياسة والدين.

ترتكز رواية "أتبرا خاصرة النهار" على جدلية الحرية والاستعباد آخذة بناصية تاريخ اجتماعي قديم برز فيه الرق عند كل الأمم وكانت بوابته الحروب القبلية والجشع الاستعماري. وفي تتابع سردي ترصد الرواية قدر الأرقاء وتجعل من الرق زاوية نظر إلى مجتمع المدينة العمالي الذي تمثله سكة الحديد في مدينة عطبرة (أدبية) مازجة بين قيد الرق وتقييد العمال بالعمل المضنى دون عائد مجز في صورة تقريرية لواقع الأرقاء والعمال معا. وتحاول الرواية أن ترسم تاريخ السودان من خلال تاريخ مدينة عطبرة إبان الاستعمار بروح تمزج بين الشعر والنثر للدخول إلى زوايا المسكوت عنه تاريخيا.

أما الرواية" خيانتئذ" لسارة الجاك فتتناول موضوع العنف الجسدي والروحي الممارس ضد المرأة في رؤية جندرية تتصف بقسوة شديدة في قراءة الواقع وترصد حروب المرأة ضد واقعها وضد المجتمع. ولا تتحدث

الرواية عن خيانة المرأة فحسب بل تتهم المجتمع بخيانة المرأة ومشاركتها هي أيضا في الخيانة خوفا أو بحثا عن مظلة دنيا الرجل.

في الحقيقة أن الروايتين حفرتا عميقا في اتجاه يميزهما في الكتابة فسارة استعملت الأسطورة والقصص الشعبي في معالجة" الجندر" بمنظورها الخاص وأدخلت عالمها القصصي في عالم الرواية قابضة على عالم يخصها. وأما عادل سعد فقدم رواية جيدة الصنع تعتمد على العناوين الفرعية والاقتباس وتكلم عن المسكوت عنه وعالج بذكاء. تتميز روايتها بكثافة في اللغة الشعرية ومخيلة فردية مدهشة والتقطت مجموعة من التيمات الحية لتشكل عالمها.

ومما لا شك فيه أن الرواية الجديدة" إيقاع العودة" التي ألفها الأستاذ عوض عثمان عوض سنة ٢٠١٣م تحتوي العديد من النصوص السردية حيث يظهر أن لديه ملكة أدبية معتبرة ومقدرة واسعة على السرد والتعبير والتصوير. فهيابنا نتعرف على بعض الشخصيات الروائية الفذة التي ساهمت مساهمة جلية لإعلاء مستوى السودان الروائي ولارتقاء الأدب العربي السوداني في العالم العربي بإنتاجاتهم البديعة.

المبحث الأول: الطيب صالح

هو أديب سوداني، عملاق الأدب السوداني وأحد أشهر الأدباء العرب، ذاع صيته في العالم كله بروايته الرائعة" موسم الهجرة إلى الشمال" لأنه نقل الأدب السوداني من المحلية إلى العالمية. ولد الأديب الطيب صالح سنة ١٩٢٩م بقرية الدبة في الشمال الأوسط من السودان، وتلقى تعليمه الأولي في قريته، والأوسط في مدرسة وادي سيدنا بأم درمان، والجامعي في كلية الخرطوم الجامعية (جامعة الخرطوم فيما بعد) عمل أستاذا لفترة قصيرة في مدرسة وسطى بمدينة رفاعة (وسط السودان) وفي معهد بخت الرضا. والتحق بهيئة الإذاعة البريطانية(BBC) عام ١٩٥٣م، ثم انتقل إلى اليونسكو، ثم إلى قطر حيث قضى سبع سنوات مديرا لوزارة الإعلام القطرية، ثم مستشارا لوزير الإعلام القطري[٣٨]. اسمه الكامل، الطيب محمد صالح أحمد، وأطلق عليه بعض النقاد "بعبقري الرواية العربية"[٣٩] لما تميزت قصصه وأعماله الروائية من بناء فني وتعدد في

[٣٨]مختارات الطيب صالح، ص: ١٩٧

[39]Ziad Elmarsafy, Sufism in the contemporary Arabic novel, Page no:52

الأساليب والصيغ إضافة إلى ثراء المضمون الفكري والإنساني، حيث تعتبر روايته موسم الهجرة إلى الشمال الأكثر قبولا وشهرة واختيرت من ضمن أفضل مائة كتاب في عالم الخيال عبر التاريخ. وفي عام ٢٠٠٥م فاز الأديب الطيب صالح بجائزة ملتقى الرواية إذ أنه فتح آفاقا جديدة لفن الرواية العربية. التجربة في الحياة بالترحال والتنقل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب ساعدته على أن يكتسب الخبرة الواسعة بأحوال العالم كله عامة والعالم العربي خاصة حتى يسلط الضوء على أحوال أمته وقضاياه المتعددة والاختلافات بين حضارتي الغربية والشرقية[٤٠].

كان الطيب صالح خال الدكتور أمير تاج السر ويذكره أنه يأتي إلى بيته ويجلس عند أمه ساعات كثيرة وأيام عديدة مع ذكريات البريطانيا والأخبار الطريفية. ويرى عنه د. أمير تاج السر أنه كان سفيرا لرعاية المستوى الإنساني وعبقريا في التواصل الإنساني بكل صراحة ووضوح. قد اتهم عليه تهمة لا بأس بها بأنه قد غطى على كثير من الأدباء السودانيين المحترمين كتابة حيث أصبح أنه من يذكر أدب السودان يركز على اسمه ويتجاهل أسماء الآخرين من المؤلفين المتضلعين والأدباء البارعين. إذا نظرنا إلى هذه التهمة بعين الاعتبار فنجد كان هناك زمن لم يعرف أحد غيره بسبب قلة التواصل مع العالم العربي وعدم التقنية الحديثة للاتصالات فالآن انعكست الأمور حيث تصل الأصوات الأدبية من داخل السودان إلى خارجه. وتوفي الأديب في إحدى مستشفيات العاصمة البريطانية لندن حيث كان يقيم فيها، في ١٨ فبراير ٢٠٠٩م بعد رحلته الطويلة في مجال الأدب والثقافة والصحافة.

من مؤلفاته "موسم الهجرة إلى الشمال(رواية)، وعرس الزين(رواية)، ضو البيت(رواية)، ومريدو(رواية)، نخلة على الجدول (قصته الأولى القصيرة) وغيرها.

المبحث الثاني: عبد العزيز بركة ساكن

عبد العزيز بركة ساكن روائي سوداني من مواليد مدينة كسلا بشرق السودان سنة ١٩٦٣م، حائز على جائزة الطيب صالح لروايته الرائعة "الجنقو مسامير الأرض" وعدة جوائز أخرى على المستوى العربي، يعيش حاليا في مدينة سالفلدن النمساوية لأن كتاباته في السودان مصادرة. تعرضت معظم مؤلفاته للمصادرة

[٤٠] أنظر موقع العربية www.alarabiya.net/articles/2009/02/18/6669.html

حتى لقب في الأوساط الفنية بالزبون الدائم للرقيب، برر المجلس الاتحادي للمصنفات الفنية والأدبية في الخرطوم قرارات الخطر لما تحتويه مؤلفاته من "مشاهد جنسية خادشه للحياء العام" لكن عبد العزيز يرد "يظن البعض أن في كتابتي ما يسيء لمشروعاتهم الأيدولوجية ويخرق خطاباتهم المستقرة، بالطبع لا أقصد ذلك، كلما أفعله هو إنني انحاز لمشروعي الإنساني أي أكتب عن طبقتي أحلامها وآلامها وطموحاتها المذبوحة وسكينتها أيضا التي تذبح بها الآخر، وحتى لا يلتبس الأمر مرة أخرى، أقصد بطبقتي المنسيين في المكان والزمان، الفقراء المرضى الشحاذين صانعات الخمور البلدية الداعرات المثليين، المجانين، العسكر المساقين إلى مذابح المعارك للدفاع عن سلطة لا يعرفون عنها خيرا، المتشردين، أولاد وبنات الحرام، الجنقو العمال الموسميين، الكتاب الفقراء، الطلبة المشاكسين، الأنبياء الكذبة، وقس على ذلك من الخيرين والخيرات من أبناء وطني، إذا أنا كاتب حسن النية وأخلاقي بل داعية للسلم والحرية، ولكن الرقيب لا يقرأني إلا بعكس ذلك"[٤١].

ومن الأسف الشديد، السلطات السودانية" الإخوانية" صادرت عدة رواياته بسبب ما اعتبرته ترويجا للفكر الشيوعي ومساسا بالسلطة السياسية ولكن أعاد طباعة خمس روايات له عن دار رؤية للنشر من مصر" الجنقو مسامير" و"زوج امرأة الرصاص وابنته الجميلة" و "الطواحين" و "رماد الماء" و"العاشق البدوي" حيث تتناول الروايات كلها تعريفا دقيقا للمجتمع السوداني وعاداته القبائلية وتقاليده وكيفية تعاطيه لفكرة الحرية وصراع السلطة والثقافة في ظل اتساع أزمة الفقر وسيادة الخرافات. وأما رواية "الجنقو. مسامير الأرض" تتحدث عن الحياة اليومية لعمال الزراعة السودانيين العاملين في المنطقة الحدودية بين السودان وإريتريا. ورواية "الطواحين" تتناول مجموعة من الطلبة الأصدقاء ذوي الميول اليسارية الذين يدخلون في نضال ثقافي ضد السلطة المستبدة ويتعرض بعض أفراد مجموعة القديسة للاضطهاد والمطاردات ويتم تعذيب أحدهم حتى الموت ويواصل أصدقاؤه رحلة البحث عن قبره طوال أحداث الرواية حتى يدلهم أحد حراس الأمن عليه مقابل مبلغ من المال[٤٢].

---

[٤١] أنظر www.sudarees.com

[٤٢] أنظر www.alrawnaq.net

وأما بالنسبة إلى روايته الجديدة" الرجل الخراب" تعتبر مسألة التعايش والاندماج بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية، خاصة بالنسبة للمهاجرين العرب الذين يعيشون في المجتمعات الغربية كما أنها تتحدث عن التعامل بين ثقافتين مختلفتين تماما. تدور أحداثها عبر شخصية حسن درويش المواطن السوداني المصري، الذي يهاجر هجرة غير شرعية إلى فيينا ويعيش هناك بوجهين، وجه ظاهر وهو التسامح والاندماج الكي وبين ما يبطنه في داخله من عنف وكراهية لهذه الثقافة المغايرة. هذه الرواية تعبر عن الوضع الدامي الذي تعيشه ثقافتنا العربية الإسلامية وتنامي موجة العنف والإرهاب نتيجة عدم قدرتنا على تجاوز الماضي والعيش في العصر الحديث بجهالة القرون الوسطى، وإن لم نستطع المجاهرة بهذا التناقض القائم في ذواتنا لا نستطيع أن نتقدم.

يعد عبد العزيز بركة ساكن من أصحاب الكتابات الواقعية وقليلا ما يلجأ إلى الفانتازيا ويستخدم العامية السودانية في كتاباته بكثرة في حوارات أبطاله. تتميز لغته بالخلط الواضح بين العربية الفصحى والعامية السودانية مع تبسيط الحوارات وتوصيف جيد للمكان والاستعانة بكم من الأمثال والمأثورات السودانية. يعتبر الروائي والقاص السوداني عبد العزيز بركة ساكن واحدا من العلامات المتميزة في الأدب السوداني الحديث، يعتمد الكاتب في مختلف تحققاته النصية شرط الحرية في التعاطي مع الموضوعات التي ترتبط عضويا بالسياق السوداني بمختلف تجلياته ونتمثل من خلال القراءة العميقة لأعماله والتي نذكر من بينها ثلاثية البلاد الكبيرة (الطحاحين، رماد الماء، زوج امرأة الرصاص وابنته الجميلة)، و"على هامش الأرصفة"(مجموعة قصصية)، و"امرأة من كمبو كديس"(مجموعة قصصية)، و"الجنقو مسامير الأرض"، و"مسيح دارفور"، و"العاشق البدوي"، و"مخيلة الخندريس"، و"موسيقي العظام"، و"الرجل الخراب" وغيرها.

المبحث الثالث: حمور زيادة

هو كاتب شاب سوداني، ولد حمور زيادة بمدينة أم درمان في السودان سنة ١٩٧٧م، ودرس المعلوماتية ثم عمل في مجال حقوق الإنسان والصحافة وانتقل إلى القاهرة في العام ٢٠٠٩م. واشتغل بالمجتمع المدني لفترة ثم اتجه للعمل العام والكتابة الصحفية فكتب بصحف" المستقلة" و"الجريدة" وأجراس الحرية" و"اليوم

التالي". وتولى حمور زيادة مسؤولية الملف الثقافي بصحيفة" الأخبار السودانية" كما أقام لفترة بالقاهرة حيث شارك بالكتابة في مجلة "روز اليوسف" و"وجريدة" الصباح".

ومما يظهر أن أعماله الأدبية قد طفقت تشتهر حيث أعلنت دار نشر الجامعة الأمريكية بالقاهرة عن منح جائزة نجيب محفوظ للأدب لعام ٢٠١٤ له عن روايته "شوق الدرويش" حتى صار أول سوداني يفوز بهذه الجائزة بالرغم أنها لا تزال تمنح منذ عام ١٩٩٦م، كما ترشحت في ضمن القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية في دورتها الثامنة سنة ٢٠١٥م. هي العمل الرابع للكاتب بعد روايته الأولى "الكونج" ومجموعتي قصص قصيرة بعنوان "سيرة أم درمانية" و"النوم عند قدمي الجبل" حيث تدور أحداث الرواية حول الثورة المهدية(١٨٨٥-١٨٩٩) التي قامت بزعامة محمد أحمد المهدي ردا على مظالم الحكم التركي المصري.

هذه الرواية تتألق في سردها لعالم الحب والاستبداد والعبودية والثورة المهدية في السودان في القرن التاسع عشر كما تتشابك مع علاقات القوى على المستويين الإقليمي والمحلي منذ اندلاع الثورة المهدية وحتى سقوط الخرطوم. وأظهر الكاتب ما عنده من الأفكار حول عذاب الإنسان في تلك الفترة في صورة حكاية ممتعة. واعتمدت هذه الرواية على مساحات واسعة من الوثائق بالإضافة إلى مرجعيات دينية وكذلك عمدت إلى تضفير الأشعار شعبية والعربية كلاسيكية بالنص ولكن من العجب والمبهر فيها هو الطرائق التعبيرية وطرق السرد التي استخدمها الكاتب حيث بدى كأنه كاتب مكرس ممسك بتقنياته السردية بامتياز. ومما يجدر بالذكر هنا، أنه قالت عنها الروائية المصرية والناقدة الحادة سلوى بكر "إن رواية" شوق الدرويش" عمل كبير ومهم وستكون علامة بارزة في تاريخ الأدب السوداني".[٤٣] وأكد حمور زيادة في تصريح لموقع فيتو المصري، أنه يشعر بالفخر لاستلام الجائزة تحمل اسم الأديب نجيب محفوظ من الجامعة الأمريكية بالقاهرة. الجائزة عبارة عن ميدالية تحمل صورة الروائي المصري الحائز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٨م، ومبلغ ألف دولار، والتزام ترجمة الرواية إلى اللغة الإنجليزية ونشرها في الخارج. وصارت أعظم

[٤٣] موقع سودان تريبون، الصفحة الأساسية،١١، يوم الخميس، ديسمبر، ٢٠١٤

مما كتب فيها موضحا أن ما كان في ذهنه وهو يكتبها أن يكتبه حكاية ممتعة عن عذاب الإنسان في تلك الفترة.

له عدة تأليفات أدبية، منها سيرة أم درمانية (مجموعة قصصية)، الكونج (رواية)، النوم عند قدمي الجبل (مجموعة قصصية)، شوق الدرويش(رواية).

المبحث الرابع: بعض الروايات السودانية مع أصحابها

أذكر هنا بعض الروائيين السودانيين الآخرين مع رواياتهم منذ ظهورها بأرض السودان حيث حاولت أن آتي بأعوام صدورها بين القوسين حسب طاقتي ولكن بسوء حظي، ما وجدت التاريخ لبعض الروايات فتجد مقابلها القوسين بدون السنوات. فتجد أسماء الروائيين أولا ثم رواياتهم تجاه أسمائهم ما عدا روايات الطيب صالح وعبد العزيز بركة ساكن وحمور زيادة وأمير تاج السر الذي سيأتي بيانه في الباب الثاني مفصلا.

- هاشم عثمان محمد: تاجوج(١٩٤٦\١٩٤٨)[٤٤]
- بدوي عبد القادر خليل: هائم على الأرض، أو رسائل الحرمان(١٩٥٤)
- خالد أبو بكر: أم درمان الجديدة(١٩٥٧)، بداية الربيع(١٩٥٨)، بوابة الربيع(١٩٥٨) النبع المر(١٩٦٦)، القفز فوق الحائط القصير(١٩٧٦)
- عبد العظيم فؤاد أحمد: البكاء على التابوت(١٩٥٩)
- مصطفى شاكر: حتى تعود(١٩٥٩)
- الحج خليل عبد الله: إنهم بشر(١٩٦٠)
- فضل السر حسن: من أجل ليلى(١٩٦٠)
- بابكر عبد الرحيم: شجرة السيسبان (١٩٦١)
- الطيب صالح: عرس الزين(١٩٦٢)، موسم الهجرة إلى الشمال(١٩٧٠)، بندر شاه (ضو البيت، ١٩٧١)، مريود(١٩٧٧)

[٤٤] الدكتور حمدي السكوت، الرواية العربية الحديثة ببليوجرافيا ومدخل نقدي ١٨٦٥-١٩٩٥، الجزء الخامس، ص:٢٤٥٦، ٢٤٥٥، ٢٤٥٧، ٢٤٥٨

- بلال محمد على: المعذبة(١٩٦٢)
- أمين محمد زين: لقاء عند الغروب(١٩٦٣)
- إسحق إبراهيم: حدث في القرية(١٩٦٨)، حدث في الليل(١٩٦٩)، أعمال الليل والنهار(١٩٧١) أعمال الليل والبلدة(١٩٧١)، مهرجان المدرسة القديمة(١٩٧٦)، وبال في كلمندو(٢٠٠١)، أخبار البنت مياكايا(٢٠٠١)
- صابر محمد عثمان على: سر الدموع(١٩٦٩)
- عبد الله مكلة الدار: الفراغ العريض(١٩٧٤)
- محمد صالح ضرار: تاجوج والمحلق(١٩٧٥)
- الحميري عمر: جزيرة العوض(١٩٨٠)
- عبد الوهاب الحميد عمر: الراية الزرقاء(١٩٨١)
- عباس عمرو محمد: الجنخانة(١٩٨١)
- علي مكي محمد: أحزان النهر والغابة(١٩٨١)، السيسبانة(١٩٨٣)، رحيل بلا عودة(١٩٩١)
- محمد مصطفى إبراهيم: بركات الشيخ(١٩٨٤)، لعبة الغيوم(١٩٩٣)
- محمود محمد مدني: جابر الطوربيد(١٩٨٦)
- النصراوي سامي: صدى الصمت(١٩٨٧)، الصعود إلى المنفى(١٩٨٨)، ما وراء السور(١٩٨٩)
- بشارة مصطفى عوض الله: قيثارة ودموع(١٩٨٧)، الحب على أجنحة الأشواق(١٩٨٨)
- عمر صادق مصطفى: الأفاق القومية(١٩٨٨)
- عباس عوض الله: طرقات الحياة(١٩٨٨)
- حبانى بشري: مسرة(١٩٨٩)
- يوسف خليل: نشيج الدغل(١٩٨٩)
- ابن أبو بكر طيب: الأمير الحافي(١٩٩٠)
- أبو غوش محمود: الجحيم ليس لنا(١٩٩٠)

- طارق الطيب: مدن بلا نخيل(١٩٩٢)
- فرنسيس دنيق: طائر الشؤم (بالإنكليزية،١٩٩٢، ترجمة د. عبد الله أحمد النعيم)، بذرة الخلاص (بالإنكليزية، ترجمة: إسماعيل عبد الله ،٢٠٠١)
- إدريس علي: دنقلة(١٩٩٣)
- إبراهيم بشير إبراهيم: التراب والرحيل(١٩٩٤)، الزندية(١٩٩٥)
- إدريس على: انفجار جمجمة (١٩٩٧)
- عيسى الحلو: صباح الخير أيها الوجه اللامرئي الجميل(١٩٩٧)
- محمود شعراني: سفر الخروج(١٩٩٨)
- بثينة خضر مكي: أغنية النار(١٩٩٨)، صهيل النهر(٢٠٠٠)، حجول من شوك(٢٠٠٤)
- أحمد عبد الله بري: ثمن الكتمان(١٩٩٩)
- محمود محمد مدني: الدم في نخاع الوردة(٢٠٠١)، خيول الزبد (دون تاريخ)
- أبكر آدم إسماعيل: أحلام في بلاد الشمس(٢٠٠١)
- عثمان الحوري: جبل الحسانية(٢٠٠١)
- الحسن البكري: أحوال المحارم القديم(٢٠٠٣)
- علي أحمد الرفاعي: حتى لا يستيقظ النمل(٢٠٠٥)
- طارق الطيب (سوداني الأصل، مصري المولد، نمساوي الجنسية) بيت النخيل(٢٠٠٥)
- إدريس علي: تحت خط الفقر (٢٠٠٦)
- محمد سعيد شلي: حوش حمد(٢٠٠٧)
- يحيى الفاضل أبو عرف: ثرثرة الصمت(٢٠٠٨)
- شامة ميرغني: زمن الموانع أو جوزيف ملاح لبنان(٢٠٠٨)
- ملكة الفاضل عمر: الجدران القاسية(د.ت)
- صادق مصطفى عطا الله: الجرب(د.ت)

- هندي عوض الكريم: حياة الدموع(د.ت)
- فضيلي جماع: دموع القرية(د.ت)
- منصور إدريس الصويم: ذاكرة الشرير(د.ت)
- علي أحمد إبراهيم: الذين دقوا الأبواب(د.ت)
- أبكر آدم إسماعيل: الطريق إلى المدن المستحيلة(د.ت)
- علي حمد إبراهيم: عشرون دستة من البشر(د.ت)
- رانيا مأمون: فلاش أخضر(د.ت)
- أحمد ضحية: ذاكرة الحرار(د.ت)
- جمال محجوب: منظار رشيد(د.ت)
- إدريس علي: النوبي(د.ت)
- جمال محجوب: النوبي الأزرق(د.ت)
- يحي فضل الله: تحولات من مملكة الأحلام(د.ت)
- منصور إدريس الصويم: تخوم الرماد(د.ت)[٤٥]

هذه الروايات كلها من تأليفات الروائيين السودانيين منذ نشأتها حتى في عصرنا الحاضر بأرض السودان ولم أستطع أن أستوعب تمام الروايات السودانية هنا بل اختصرت على ما ذكر لقلة المواد التي تدل على أسمائها. وهذا القدر يكفي لمن له إنصاف في التقييم أن يدرك كثرة منتوجات السودان الروائية ومكانتها في الأدب العربي من خلال مراحل الرواية السودانية المختلفة حتى صار مشهده الروائي الآن ملحوظا بتعدد الأعمال الروائية على مدار السنة.

[٤٥] د. سمر روحي الفيصل، الرواية العربية ومصادر دراستها ونقدها، ص: 214-9

الباب الثاني: د. أمير تاج السر: حياته وأعماله

الفصل الأول: د. أمير تاج السر: حياته الإبداعية

الفصل الثاني: د. أمير تاج السر كروائي

الفصل الثالث: اتجاهاته المتداولة في كتاباته وتأليفاته

الفصل الأول

د. أمير تاج السر: حياته الإبداعية

ولد أمير تاج السر سنة ١٩٦٠م بشمال السودان، تلقى الدراسة الابتدائية هناك، هو روائي سوداني وطبيب تخرج في كلية الطب، جامعة طنطا بمصر. هو ابن شقيقة الروائي السوداني الطيب الصالح، أحد أشهر المجددين في الرواية العربية الحديثة وأحد أعمدتنا الكتابية. بدأ حياته الأدبية بكتابة الشعر حيث كان شعره يأخذ شكل الرواية وله ديوان الشعر بعنوان " أحزان كبيرة " ثم جاءت طبعته الحديثة بـ "سيرة الجرح"، أصدرتها دار النسيم للنشر والتوزيع عام ٢٠١٤م. وله عدة مؤلفات روائية وأعمال أدبية، لكن أهمها على الإطلاق رواية "صائد اليرقات "و"٣٦٦" اللتان تمكنتا من الوصول للقائمة القصيرة والطويلة في مسابقة الجائزة العالمية للرواية العربية سنتي ٢٠١١م و٢٠١٤م المتواليتين. ويعد أنه من الذين يتابعون الإصدارات الجديدة ويجدون قبولية القراء حيث تزداد كتبهم والترويج لها في كل عام حتى يعرف بـ "سيد الرواية العربية السودانية وأميرها" كما يستلهم من اسمه وخلف للعالم العربي عشرين رواية وديوان الشعر وكتابين في الأدب والثقافة ولا يزال يكتب الأعمال الأدبية مع أنه يعالج المرضى بمستشفى الدوحة، دولة قطر بشكل يومي مذ ١٩٩٣م.

كانت السودان أو لا تزال إلى حد بعيد مرتبطة باسم روائي أوحد، هو الطيب صالح(1929-2009)، عبقري الرواية العربية، حيث لم يهتم أحد باسم الروائي السوداني أمير تاج السر قبل وصول روايته "صائد اليرقات" إلى القائمة القصيرة لجائزة البوكر العربية عام ٢٠١١م. ولم يطلع عليه أحد إلا بالمقدمات والتفصيلات بأن أسرته تنتمي إلى أسرة الطيب صالح، خاله لأن الرواية العربية السودانية منحصرة على أعماله الروائية. سمعة "صائد اليرقات" تعد أنها تقدير للأدب السوداني الذي ظل أدبا مغمورا لمدة سنوات طويلة بحيث لا يلتفت إليه أحد حق الالتفات بالرغم من أن في السودان عددا كبيرا من الكاتبين والأدباء ولكن إبداعاتهم الأدبية وإصداراتهم القيمة لم تخرج من عتمة المحلية، معظمهم يكتبون قليلا ويكتفون بالنشر المحلي.

المبحث الأول: ميزات أسلوبه الأدبي

الدكتور أمير تاج السر، كاتب معروف على مستوى الوطن العربي، له لغته الخاصة وطريقته المتنامية معه بل يتميز بلغته الشعرية الفاخرة وسرده الذي يغوص في أعماق الذات الإنسانية ويكتشف عوالمها برؤيته الثاقبة وبنظره الدقيق للأشياء والجواهر. وله تجربة متميزة وقدرة عظيمة وملكة راسخة في السرد لأن بعضا من النقاد يقارنها بتجربة الطيب صالح الروائي السوداني الشهير، وليست هذه المقارنة من جهة التشابه أو جهة قرابة الدم بين اثنين. الرواية السودانية لم تقفز خارج الأسوار بعد الرواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح وقبلها إلا ما ندر منها ولكن بحسن حظ القراء العرب، فتقدم الروائي والطبيب أمير تاج السر الذي كسر قاعدة الأطباء الذين دائما في رسم غلالة من الصمت والهدوء حول شخصياتهم من الخارج، ليشهر قلمه وتنثر آلاف الكلمات على مئات الصفحات.

وإن مما يميز أدبه اللغة المتآمرة مع واقع تتشكل فيها روح البيئة بطريقة خلابة تعيد تكييف الأحداث الواقعية والمتخيلة وتوزعها في ثنايا النص الروائي. ويعد أنه خير من يحسنون النثر الحي بالصور الصابرة على الألم والتحدي وبشخصيات تصور الواقع الحقيقي حيث لا يمكن نسيانها. ويملك أسلوب سلس في طرح الأحداث المتناولة للرواية وطريقة خاصة تبعد كل البعد عن التعقيدات. وفي نفس الوقت أن أسلوب الكاتب لم يتغير كثيرا ولكن ما زال يستمر بنفس المهارة التي كتب بها أول روايته.

المبحث الثاني: التجربة الطبية في حياة الكاتب

أعطاه مجال الطب كثير التجربة وأتاح له العمل في أماكن عدة والاحتكاك بآلاف الشخصيات حتى صار أمير تاج السر كاتبا وطبيبا يعرف تفاصيلهم الداخلية وبياناتهم الخارجية حيث يندر من يتاح لهم مثل هذه التجربة. هو لا يزال يعرف آلام المريض النفسية والجسدية، ومما لا شك فيه، أن هذا المضمار قد منحه خبرة كبيرة في حياته الإبداعية لأنه لايزال يستعير الشخصيات وأسمائها من لقاءاته اليومية مع المرضى ك "هدية" في رواية "أرض السودان" و"صاحب الشأن مولانا" الذي حصل على هذا الاسم من بين المرضى وكان يفكر عن الاسم المناسب لشخصية رجل متدين صوفي لروايته.

من أجل أن يعيش المبدع لا بد له من عمل، وهذا العمل رغم أنه لكسب الرزق أولا فإن له تأثيرا كبيرا في حياة هذا المبدع حتى لا يكتب إلا شخصيات وعلاقاتها الإنسانية من دون أن يتدخل كثيرا بمعرفته الطبية كما فعل في روايته المشهورة" إبولا ٧٦". كانت عياداته التي أنشئها في السودان تقربه إلى المهمشين والفقراء الذين عاش بينهم وعالجهم من الأمراض، أكثرها كان في قلوب الأحياء الفقيرة للغاية حيث أتى في رواياته بالأبطال المستوحاة من شخصيات حقيقية مثل شخصية على جرجار في رواية "العطر الفرنسي" وعبد الله فرفار في رواية "صائد اليرقات".

استطاع أن ينتج نتائج عديدة بالرغم أنه يقيم في الدوحة، قطر حيث يعبر عن إقامته وتجربته فيها " وأنا حقيقة أعيش في الدوحة كما أعيش في وطني ولا أحس بأنني منفى ومشرد، بالعكس أنا أعتقد أن استقراري في بلد عربي حقق لي أن أكتب". يؤكد الطبيب والروائي السوداني أمير تاج السر بعدم العلاقة المباشرة تجمع الطب الذي يمارسه بالأدب الذي ينتجه ولكن هناك علاقة استفادة فقط حيث نطلع على فيروس إيبولا المميت في أفريقيا عبر روايته "إيبولا ٧٦" فضلا عن توظيفه للكثير من الأمراض في رواياته "مهر الصياح" و" زحف النمل" و" توترات القبطي".

المبحث الثالث: تجرباته الشخصية في الكتابة

الدكتور أمير تاج السر، بدأ ممارسة الكتابة في مراحل مبكرة جدا من حياته. وفي المرحلة الابتدائية كان يكتب القصص البوليسية، وفي المرحلة المتوسطة بدأ يكتب الشعر بالعامية. كان يطبع نصوصه بنفسه ويوزعها على أصدقائه ممن أصابتهم لوثة الشعر واستمر معه الشعر بتمثيلاته المختلفة إلى حدود سنة ١٩٨٥م حيث نضجت نصوصه الشعرية وقصائده الفصحى وطفقت تنشر في مجلات عديدة ومزدهرة في ذلك الوقت مثل " القاهرة " و" إبداع " و" المجلة " و" الشرق الأوسط ". وتوج مساره الأدبي بديوان شعر "أحزان كبيرة" ولكنه انتقل من الشعر إلى الرواية بطريق الصدفة المحضة بعد روايته الأولى" كرمكول" سنة١٩٨٨م، أي لم يخطط لكي يصبح روائيا حيث لاحظ أصدقائه عن جمالية سرده العميق حتى ارتحل إلى بيت الرواية ويقيم فيه. كان يقول أمير تاج السر عن الكتابة "إنها معاناة مستمرة" ولكن قد ساعدته

إلى حد كبير في الكتابة الكتب التي قرأها وشحنته تجارب التي مر بها وعثر على شخصيات تستحق أن تكتب من البرامج التلفزيونية التي شاهدها.

والجدير بالذكر هنا، ليس الكاتب متأثرا بكتابات الطيب صالح كما يدعي البعض، حيث لا نجد في رواياته شيئا متقاربا لأعماله السابقة ولو شخصية واحدة تشبه بشخصياته السالفة حتى في الفكرة بالرغم من أن له صلة قرابة حميمة، يقول أمير تاج السر عن قربه معه" علاقتي به كانت ممتازة ولم تؤثر في بشكل مباشر في المسألة الكتابية، لأني منذ البداية رسمت لنفسي طريقا آخر من الكتابة". أمير تاج السر يقول عن تغيرات تيمات الرواية المعاصرة وتقنياتها بتغير العالم كله حيث يضيف إليه "إن الرواية باعتبارها جنسا إبداعيا لا بد أن تخضع للمتغيرات التي حدثت في العالم كله، وحدثت متغيرات حتى في الريف السوداني الذي كتب عنه الطيب صالح وإبراهيم اسحق، فلم يعد ذلك الريف، لقد أصبح العالم كله واحدا مكشوفا، لذلك لا بد أن تتغير الكتابة".

ارتبط أمير تاج السر بالبيئة السودانية من خلال إنتاجه الأدبي فكتب عن مدن وادي النيل بكل ما فيها حتى يعتبر نفسه كاتبا محليا يعتني بشكل أساسي بالبيئة التي خبرها وعاش فيها ورضعها منذ الطفولة. وله كثير من الممارسات في التعامل مع الأحياء السودانية كما أنه صاحب التجارب الواسعة حيث كتب سيره الروائية مستلهما من تجربة حياته السودانية، أما كتاباته في صورة السيرة الذاتية ثلاثة، "مرايا ساحلية" التي كتبها عن مدينة بورتسودان في أواخر السبعينيات من القرن الماضي و"قلم زينب" التي تتداول سيرته أيام عمله طبيبا لأمراض النساء والتوليد في مستشفى بورتسودان و"سيرة الوجع" التي تسلط الضوء على أيامه العملية مفتشا طبيا في الحدود السودانية الإريترية.

المبحث الرابع: الشعر عنده

بدأ أمير تاج السر حياته الإبداعية كشاعر يكتب بالعامية قصائد تغنى بها المغنون. وكان يحب الآداب كثيرا منذ نعومة أظفاره وعلمه والده القراءة مبكرا وبالتالي نشأ حب القراءة معه وما يزال يذكر الكتاب الأسبوعي الذي كان يحضره رفعت ضرار، صاحب مكتبة في مدينة بورتسودان وكان يتعامل معاملة حسنة مع والده. بدت شاعريته العذبة عبر ديوانه الضخم "أحزان كبيرة"، أصدرته وزارة الثقافة والفنون والتراث، دولة قطر

عام ٢٠٠٥م وجاءت طبعته الجديدة باسم" سيرة الجرح" التي قامت بإصدارها دار النسيم للنشر والتوزيع سنة ٢٠١٤م، حيث غادر إلى فضاءات السرد الأرحب، غير متهيب من اسم خاله الطيب صالح الذي حجب بعبقريته وفرادته على تميز التجربة السردية بالسودان. وترك الشعر الذي بدأ مساره الإبداعي بكتابته بحثا عن الثوب الأوسع منه حتى انتقل من عالم الشعر إلى فضاء الرواية حيث لا يزال يكتب مع أنه يشتغل في مجال الطب الذي تخصص فيه، ولم يمنعه وربما حفزه من نسج تجربة روائية مميزة تتناسل فيه الشخصيات والفضاءات والأطروحات في قوالب فنية وإطارات رائعة.

بدأ حياته الكتابية بكتابة الشعر ثم أخذت الكتابة الروائية طريقها إلى عالم السر حيث نالت رواياته حظا وافرا من النقاد السودانيين على وجه الخصوص والنقاد العرب على وجه العموم. دخل مجال الكتابة الإبداعية عبر الشعر وكان يكتب في أيام صغاره قصائد غنائية وبعد ذلك كتب الشعر العامي الفصيح ثم الشعر الحديث إلى أن وصل إلى مرحلة أصبحت كتابته الشعرية كالذي يكتب الآن عند الشعراء المحدثين. وهو يحب الشعر كثيرا مرة قال لمن قابل معه" الشعر أحترمه، وأنا شخصيا كما ذكرت لك بدأت شاعرا، وحتى الآن أستطيع أن أكتب الشعر، وأحب أن ألعب به، وحتى في رواياتي توجد مقاطع شعرية كاملة، فالشعر لا يمكن الاستغناء عنه".

كان مولعا في قرض الأشعار، غلب عليه الشعر في كتابة رواياته حيث طفق يحضر في نصوص روائية، على سبيل المثال، رواية "زحف النمل" التي عمد فيها إلى تكسير رتابة السرد بمقطوعات غنائية كأنه يصر أن يكون شاعر الرواية الذي يكتبها بذهنية شعرية، ولكن يقول نفسه عنه" كانت ذهنية الشعر سائدة في البدايات، بها كتبت كرمكول وسماء بلون الياقوت ونار الزغاريد وصيد الحضرمية لكني وصلت لتلك المصالحة الكبرى بين الشعر والسرد"[١]. الشعر عنده جزء أصيل من شخصيته وخبراته الروائية حيث يدخل في نسيج نصه السردي حتى يعطي نصوصه الروائية ميزة إضافية. يتحدث أمير تاج السر عن الشعر "أستفيد منه

[١] جريدة القدس العربي، العدد: ٧٣٨٦، ١٩مارس، ٢٠١٣م

كثيرا فهو إما في لحم السرد أو في تلك القصائد والأغاني التي أكتبها حين يتطلب الأمر ذلك مثل قصائد ذهب المغني في زحف النمل"[٢].

ومن ديوانه" أحزان كبيرة":

داخلي لغة
تتلون مثل الفراشات
صفراء...
حمراء...
خضراء...
مشنوقة اللون،
لي تعب،
يمسك اليد والقدمين،
وترنيمة الشعر،
ألمحه في المصارين حين
تشاجر،
في الطارقين يدي
حين تطرقهم،
في السعال، وفي ربطة العنق،
والعالقين بأدوية القلب،
والذائبين على مسمع من دمي.
لي عيون تسجل إطلالة
القيء،
والشجر المتكرر في المشي،
والانبهار بإيماءة الطفل
وهي تردد:
با...با...با[٣]

[٢]صحيفة الوطن، ١٣ أغسطس، ٢٠١٢م، ص:٢٩

[٣]د. أمير تاج السر، أحزان كبيرة، أنظر www.youm7.com

وله طريقة خاصة في صياغة الجملة الشعرية ومفردة خاصة في الاستخدام حين كان يكتب الشعر ولكن لم يكن يحس بتميز كبير مع أنه كان يكتب قصائد شبيهة بالسرد أو المواقف المحكية. وبدأ الشعر منذ تعلم القراءة والكتابة واستمر حتى نهاية دراسته الجامعية ثم جرت كتابة السرد في السنة الأخيرة في مصر حيث أنتج رواية صغيرة اسمها "كرمكول" وتمت كتابتها ونشرها فيها وكانت محتشدة بالصور الشعرية وناجحة بكل معناها. وبعد ذلك انقطع عن الكتابة واشتغل بتخصصه الطبي في الأماكن المتنوعة وعاد إليها عام ١٩٩٣م حين استقر به مقامه في دولة قطر حتى كتب روايات عديدة وأصبح له نهج مستقل في كتابتها وهو يؤمن بنهجه الخاص حيث يعجب البعض ولا يعجب الآخر وبتجربته متناسلة النصوص الروائية. وأما بالنسبة إلى الشعر فما تزال لغته الخاصة تمر بتمثلاته الفنية وإنتاجاته الروائية. في الجملة، قد أفاده الشعر وأثره كثيرا في تجربته النثرية وحياته الإبداعية.

الفصل الثاني

د. أمير تاج السر كروائي

أمير تاج السر، روائي سوداني، من أهم الفاعلين في الحدث الثقافي من بين الكتاب والمؤلفين حيث صار واحدا من أهم الكتاب العرب الذين أبدعوا محور الأدب العربي ووسعوا دائرته بعناوين الروائية الكثيرة المحترمة حيث استطاع أن يبهر القارئ في كل عمل له. ومن أبرز رواياته "صائد اليرقات" التى دخلت في القائمة القصيرة لمسابقة الجائزة العالمية للرواية العربية سنة ٢٠١١م، أعلت صوته إلى جماهير القراء العرب حيث يرى بعض المتابعين له والنقاد أن هذه الرواية قد ظلمت بحيث لم تحظ بالمرتبة الأولى لبوكر العربي مع أنها تستحقه. ومما يجدر بالذكر أنه يجمع الكل من الواقع والخيال في نسيج واحد بلغة سلسلة وأسلوب سهل حيث نحس أننا إزاء مبدع من طراز فريد. وقدم تاج السر للمكتبة العربية روايات كثيرة من الواقعية السحرية التي تجمع الواقع بتاريخ الأساطير كما نرى في روايتي "توترات القبطي" و"العطر الفرنسي" كما أنه يتميز بسرده الجميل يتكئ على موروثات الكتابة التاريخية والحداثية معا. لغته لغة راقية فعلا ويحتل الشعر جزءا كبيرا منها وهو من الذين اختاروا الكتابة بلغة الشعر وبالتالي يحيي كل إبداع يمد يدا للشعر.

المبحث الأول: أسلوبه الروائي

يعد الروائي السوداني أمير تاج السر من الروائيين المرموقين المعاصرين الذين وصلت رواياتهم إلى القائمة القصيرة في جائزة بوكر العربية العالمية حيث ترشحت روايتاه المشهورتان" صائد اليرقات" في ضمن القائمة القصيرة و"٣٦٦" في ضمن القائمة الطويلة لبوكر العربية عامي ٢٠١١م و٢٠١٤م على التوالي. وكان هذا الترشيح تقديرا جليا للأدب السوداني عامة وللروايات السودانية خاصة لأنه قد ظل أدبا مغمورا لمدة سنوات طويلة حيث لا يلتفت إليه أحد حق الالتفات بالرغم من أن السودانيين ينتجون ما يوازي الآداب العربية الأخرى كما ينتبهون إلى القضايا المصيرية الكبرى التي تحتل الأمتين العربية والإسلامية.

أكثر مما يميز كتاباته الروائية ويجعلها أقرب إلى القارئ العادي هو أسلوبه الذي ولد به وتوصل إليه منذ سنوات طويلة حيث نجد فيه الصور الشعرية الحاضرة كما أشرت إليه في الفصل السابق. هذا الأسلوب نوع من الكتابة تحمل البساطة مع شيء من التوابل كما نجح به أمير تاج السر في الوصول إلى التآخي بين

الشعر والرواية لأنه كانت اللغة الشعرية عليه مكثفة جدا بحيث تأكل كثيرا من الحكي ولكن بمر الدهور والعصور اتسعت تجربته إلى مزج الكتابة بين الشعر والنثر.

هو يميل إلى كتابة رواية موازية أي رواية تأخذ من الواقع وتستمر بالخيال كما نجد في رواياته التاريخية مثل " توترات القبطي" و"مهر الصياح" بحيث يأخذ الكاتب بعض المعطيات التاريخية ويبني عليها عوالم خيالية باستخدام الأساطير والميثلوجيا الشعبية وفي رواياته المعاصرة مثل " صائد اليرقات" و" العطر الفرنسي" أخذ من الواقع وبنى عالما شبيها به. هذا النوع من الكتابة يتماشى مع رغباته وطموحاته ويتطرق إلى الطرق المختلفة للكتابة بحيث يعد هذا أقرب للواقعية السحرية يقول أمير تاج السر عن هذه الطريقة التي ولدت مع كتابته واستمرت معها "ليس كل القراء يتفاعلون مع هذه الطريقة التي ربما يجد فيها البعض غرابة، خصوصا مع القارئ الذي تعود على نوع معين من الروايات مثل الروايات الواقعية الصرفة وتلك المكتوبة بلغة كلاسيكية".

بالرغم من أن أعماله مبهرة القراء وأسلوبه متين وسلس وخدماته قيمة وموازية لأي كاتب عربي آخر في العالم العربي، أحيانا يحس بعضا من البواعث التي تؤلمه وتؤسفه في حياته الأدبية حيث يشير عن التعسفية الموجودة في العالم العربي "هناك نوعان من الكتاب المخضرمين، نوع يحصل على الجوائز والتكريم أينما حل، ونوع يؤدي خدمات للآخرين بلا أي مقابل وأنا من النوع الثاني"[٤].

المبحث الثاني: مدرسة (أمير تاج السر) الروائية

ثبت أمير تاج السر نفسه كقامة روائية كبيرة على السودان والصعيد العربي، ولا يزال يكتب في مجال الرواية العربية والأدب العربي بالرغم من أعبائه الكثيرة ومشاغله الرسمية حتى يعد الآن من أفضل الأقلام في الرواية العربية الحديثة.

إذا نظرنا إلى روايات أمير تاج السر بعين النظر فنجد أنها تعود إلى مدرسة تعتمد على الواقع وتقدمه في صور ملونة بخيال خصب يغوص بالقارئ إلى مكامن الهدف الروائي بطريقة ذكية حيث أنه يتجول مع شخوص الرواية في الأمكنة ويعيش معهم في الأزمنة المحدودة. وقبل الخوض في الكتابة عن رواياته وتجرباته

[٤] الأهرام

الروائية واتجاهاتها المهمة، لا بد لنا من بيان العوامل المختصة لمدرسة (أمير تاج السر) الروائية التى يمكن إجمالها في العناصر التالية.

شاعريته العذبة:

أمير تاج السر صاحب الذوق الشعري الذي مزج حياته به، شاعريته المتميزة تجلب انتباه القارئين إلى إنتاجاته الأدبية حيث يتميز بهذه الميزة الإضافية عن الأدباء المعاصرين. ومما لا شك فيه، أن عبقريته لا تسحب عنه ما دام يحرك قلمه لينثر مكامن أسرار الكتابة حيث نؤكد أن بروز أمير تاج السر كشاعر ساهم في الأدب العربي كثيرا برشاقة عباراته وتناغمها اللطيف وتعبيره عن معنى كبير بجملة قصيرة.

تخصصه في الطب:

من العجب والغريب أن يكون الطبيب أديبا يطوف نتاجه الروائي العالم كله، بالرغم من أنه لا توجد علاقة مباشرة بين الدراسة الأكاديمية والكتابة الإبداعية لأن التخصصات العلمية تساعد صاحبها على نيل الشهادة بالصبر والاجتهاد ولا تحتاج إلى موهبة، صغيرة كانت كبيرة على عكس الإبداع الذي يولد به الإنسان حيث لا بد من موهبة تظهر في الصغر وتنمو بنمو الإنسان في مراحله المستقبلية. وأما أمير تاج السر كانت لديه ملكة كامنة منذ طفولته حيث نمى معه حب القراءة وعكف على القراءة المنهمكة من صفحات من القصص البوليسية وحاول أن يكتب القصص الموازية لما قرأها وسمعها حتى توطدت العلاقة بين القراءة والكتابة وأصبح أديبا بارعا في الأدب العربي الحديث بالرغم أنه مشغول بحياته الطبية.

تخصصه في مهنة الطب، يفيده تجربات كثيرة ويقوده إلى أماكن نائية في السودان وخارجها ويجعله في احتكاك دائم مع أنماط متعددة من البشر فيختلط بهم ويقوم بتعبير شامل عما يتعلق بهم في مواقف بعض الروايات البديعة. ويتميز أمير تاج السر بالبيان الدقيق عن مجتمعات السودان وتفصيلها الثاقبة لأنه تفاعل مع معظم الأجناس البشرية السودانية مع ثقافات أحيائها الكثيرة كما تذوق خيرها وشرها وتعرف على وعاداتها بواسطة مهنته الطبية.

شخصيته المتميزة:

لا تزال شخصيته المتميزة تستحق بالعلامات الغزيرة، هذا العامل مرتبط بشخصيته المشرقة حيث حظي بذاكرة حادة تجعله يختزن المواقف المختلفة لمدة طويلة حتى يمكن له أن يصف لنا مثلا رحلته بالقطار من بورتسودان إلى الخرطوم بتفاصيل دقيقة وهو في سن الدراسة. هذه الذاكرة القوية مكنت هذا المخزن الكبير لإنتاج غزير من الروايات الجميلة حيث يضع الأحداث المنصرمة في قوالب مزيجة بخيالاته الخصبة. وجهد جهدا كبيرا في تقدمه وتطوره حيث يذكر أنه رهن ساعته النفيسة الرولكس من أجل نشر روايته الأولى كرمكول حيث صدرت سنة ١٩٨٨م عن دار الغد التي كان يملكها الشاعر الراحل كمال عبد الحليم.

اطلاعه المستمر والقبول الكثير لرواياته:

ومن العامل الذي شكل مدرسة (أمير تاج السر) الروائية درايته التامة واطلاعه المستمر على الإنتاج الروائي العالمي. ومن المعلوم أنه وصل بالأدب العربي إلى العالمية حيث وجدت ترجمات رواياته للناطقين بالإنجليزية والفرنسية والإيطالية. ومن عبقريته أنه لا تمضي عليه سنة إلا له إنتاج أدبي حيث يضيف إلى مكتبة الأدب العربي كتبا قيمة بشكل سنوي. ومما يجدر بالذكر، أن أعماله الأدبية حظيت برواجها الكبير حيث تنشر في ديار النشر المختلفة التي تنتمي إلى القاهرة وقطر وأبي ظبي وغيرها.

المبحث الثالث: كتابته الروائية

في الحقيقة، الدكتور أمير تاج السر كان يكتب الشعر سنوات طويلة وينشر قصائده في صحف متنوعة ومجلات عديدة. ومع هذا، أنه كان مغرما بالحكي حتى داخل قصائده ثم انتقل الي كتابة الرواية صدفة بحتة حيث لم يخطط لكي يصبح روائيا وهوما زال يملك قصائد تصنع عدة مجموعات شعرية. حين لاحظ أصدقائه بأنه يكتب قصيدة مليئة بالحكي والسرد وشجعوه على طرق الرواية فانتبه إليها وقام بكتابة روايته الأولى "كرماكول" في السنة ١٩٨٨م وأحدثت أصداء كبيرة في القاهرة رغم كونها رواية صغيرة حيث كتبها حينما أنهي دراسته في جمهورية مصر العربية. يقول أمير تاج السر عن تحوله من عالم الشعر إلى الرواية "إنها بالفعل بيت شاسع المساحة يمكن أن يؤوي كل الفنون الكتابية"[٥].

[٥]صحيفة القدس العربي، العدد: ٧٣٨٦، ١٩مارس، ٢٠١٣م

بعد عودته إلى السودان بدأ ممارسته في الطب وعمل عدة أماكن نائية سودانية، في الجملة انقطع عن الكتابة لسنوات طويلة أي ست سنوات حتى استوطن في الدوحة لمهنته الطبية عام ١٩٩٣م ثم وجد نفسه طائعة للرواية تتيح مساحة شاسعة للبوح والتعبير. في السنة ١٩٩٦م كتب روايته الثانية " سماء بلون الياقوت " ثم تلتها رواية " نار الزغاريد " ثم " مرايا ساحلية " التي أحدثت نقلة في تجرباته الروائية وأضافت عبارة عن منطقة بورتسودان كما كتب "سيرة الوجع" التي نشرت على حلقات في جريدة "الوطن" القطرية ثم كتب "صيد الحضرمية" و"عيون المهاجر".

لكن البداية الحقيقية التي تمثل مرحلة الانطلاق والانتشار الواسع كانت في عام ٢٠٠٢م عندما كتب الدكتور أمير تاج السر روايته الشهيرة "مهر الصياح"، رواية ضخمة ذات طابع تاريخي. هذه الرواية قد حققت انتشارا كبيرا وأصداء بعيدة ويضيف بعض النقاد إن رواية "مهر الصياح" تؤرخ بدايته الفعلية على الرغم من أنه نشر قبلها كثيرا من الأعمال المتميزة لأنها كانت رواية مكتملة العناصر. بعد هذه الرواية كتب رواية أخرى "زحف النمل" التي انتشرت بشكل كبير وحققت أكبر شهرة وصادف صدورها مع افتتاح معرض القاهرة للكتاب وبيعت هذه الرواية كثيرا وانتشرت بشدة.

على كل حال، يستلذ أمير تاج السر برواياته كلها لأنها تناسب مزاجه الإبداعي واستطاع أن يصنع فيها عوالم خاصة لا يسعها الشعر وأحس كأنها ثوب واسع من الأشعار. الأعمال المهمة في نظره "مهر الصياح" و "تواترات القبطي" و"العطر الفرنسي" و"صائد اليرقات" لأن كلها خالية من سيرة شخصية، بل فيها تبسيط اللغة لأنه لجأ في أعماله الأخيرة إلى تبسيط اللغة إلى حد كبير وأعماله الأولى كانت أقرب وأدنى إلى اللغة الشعرية الفاخرة. لما بدأ كتابة "صيد الحضرمية" شرعت اللغة الشعرية تتوارى لتحل محلها لغة بين النثر والشعر وحين كتب "مهر الصياح" قد نجح في صناعة أسلوبه وما عاد إليه أحد يشكو من صعوبة الفهم أو يصف أعماله بأنها أشباح روايات وقد ساعدته التجارب الأولى في صناعة هذه الخصوصية وتمليكها. كتب الطبيب عن هموم وطنية معتمدا على الإشارات الكثيرة أكثر من اعتماده على الشرح الموسع كما يرى في "تعاطف" و"رعشات الجنوب". كل تلك المتوالية من الروايات تحمل قيمة أدبية وتستحق

القراءة والدراسة حيث أصبح أمير تاج السر أحد رموز الإبداع الروائي العربي ومن أكبر الروائيين العرب قربا للقراء بل أكثر حضورا وتأثيرا.

ومن ميزاته الكبرى أنه يتوقع الشخصيات الملائمة لفكرته الروائية ونصه السردي إذا احتيج إليها حتى يتفاعل معهم ويتعارف عليهم من الواقع يعنى من المجتمع المعاصر حيث يطلع على أسمائهم بإحدى السبل للتعارف وهذا شأن يسير لديه لأن المرضى العديدة يتجهون إليه للعلاج بشكل يومي. أمير تاج السر يقول عن العثور على شخصيات لرواياته "حين كنت أكتب روايتي "أرض السودان–الحلو والمر"، كنت أبحث عن اسم نسائي إسباني لإحدى الشخصيات العابرة في النص. هذه ليست معضلة ويمكن الحصول على أي شيء من داخل الإنترنت بسهولة، لكني بالرغم من ذلك لم أستسغ الأسماء التي جاءتني من البحث، ثم لتحل المشكلة تلقائيا حين راسلتني إسبانية اسمها هيلينا دا سيلفا على الفيس بوك، طالبة ضمها إلى قائمة الأصدقاء"[٦].

ومن السمات المميزة لرواياته صياغته البارعة لشخصيات أبطالها الذين ينتمون إلي غمار الناس وعوامهم في أغلب الأحيان، لكنهم يعبرون عن سمات مميزة في سياقهم الاجتماعي ويعبرون بشكل ساحر عن تفاصيله الحميمة وأسراره الاجتماعية مثل عبد الله حرفش في صائد اليرقات وعلي جرجار في العطر الفرنسي وآدم نظر في مهر الصياح. أبطاله غالبا من عامة الناس حيث ينتقي بعضهم من أشخاص التقى بهم فعلا وفكرة رواياته غالبا تنطلق من حدث حقيقي أو شيء صادفه أو شيء قرأ عنه في الصحف حيث كان عبد الله فرفار شخصا يعرفه وصادفه أثناء مناوبة عمله في قسم الجراحة بمستشفى بورتسودان.

ومن النصوص الجديرة بالاهتمام "مهر الصياح وزحف النمل والعطر الفرنسي وتوترات القبطي وارض السودان حيث كانت منصة انطلاقه الكبرى إلى المشهد الروائي العربي والعالمي بالرغم أن بعض الأعمال مثل صيد الحضرمية وعواء المهاجر ونار الزغاريد وسماء بلون الياقوت لم تصل إلى القارئ في الوطن العربي والعالم العربي بسبب النشر المحدود. ويقول تاج السر عن تجربته المبكرة" نعم تلك روايات من تجاربي المبكرة، وأنا أعتز بها، وأعترف بأنها لم تصل ربما بسبب صعوبة تلقيها أو بسبب النشر المحدود كما ذكرت، سماء

[٦] د. أمير تاج السر، ضغط الكتابة وسكرها...كتابات في الثقافة والحياة، ص: ١٢

بلون الياقوت كانت عن الريف في شمال السودان، وكنت منبهرا بها ساعة أن كتبته ونشرتها، ولم أعد إليها مرة أخرى لأعرف تأثيرها الحالي"[٧] ورواياته كلها غنية ومتنوعة في شكلها الجمالي ونسقها البنائي.

بالإضافة إلى روايات في مجال السيرة فله "مرايا ساحلية" و"سيرة الوجع" و"قلم زينب" حيث يصرح بأنها متشابهات بسيرة ذاتية ولكنها سيرة مخصوصة بأسلوب مغاير لما عرفه عنه القراء[٨]. وهو يحب كتابة السيرة حتى قال مرة "ولو كان عندي وقت لكتبت سيرا كثيرة عن تجارب عشتها وعن أشخاص التقيتهم وتأثرت بهم"[٩]. وأما في مضمار الثقافة والأدب له "ضغط الكتابة وسكرها" في تجربته الجميلة وحياته الإبداعية كما أصدر منتوجا حديثا " ذاكرة الحكائين" في فلك الكتابة والثقافة. في الجملة، قد حقق من خلال الرواية الإبداعية وكتاباته الأدبية طموحاته الشديدة بالكتابة المغايرة من خلال أسلوب واحد وبأفكار واقعية. لا يزال يتقطر إبداع سوداني خالص من خيالات الأديب السوداني د. أمير تاج السر الذي لم تشغله ممارسة مهنة الطب ولم يمنعه التخصص في الباطنية ونيل زمالة هذا التخصص من كبرى الجامعات البريطانية في أن يقدم سنويا إنتاجا جديدا رائعا بأسلوبه المتميز.

---

[٧] صحيفة الوطن، ١٣ أغسطس، ٢٠١٢م، ص: ٢٩

[٨] صحيفة العرب، ١٣ مايو، ٢٠١٤م، ص: ١٤

[٩] في إحدى مقابلته

الفصل الثالث

اتجاهاته المتداولة في كتاباته وتأليفاته

يعد أمير تاج السر، روائي سوداني من الأصوات الروائية المتميزة واللافتة في المشهد الإبداعي السوداني وأحد أبرز الروائيين العرب بالرغم من أنه بدأ مشواره في الكتابة الأدبية بكتابة الشعر. كتابة الرواية أنها موهبة أولا ثم ثقافة خاصة وأخيرا تجربة حيث قد حظي الكاتب بالثلاثة المذكورة كما أن تطور ملكة الإبداع الفني لا يحقق إلا من خلال القراءة الواسعة لأنها تعد طريقة للمعرفة والتي يمسك الإنسان خلالها بعصب الحياة. ومن محاضرته المهمة حول القراءة "قانون القراءة" وفيها تناول سيرته الكتابية وقراءته المختلفة حيث قال "مادام هناك ذهن يستوعب ومعرفة تكتسب فلا شك أن القراءة نشاط إنساني إبداعي لن يختلف عن أي من تلك الأنشطة الإنسانية الأخرى" ثم قال عن تجربته الشخصية "شخصيا أقرأ الكتب بيقظة وانتباه شديدين وأنا جالس على المكتب أوفي ركن هادئ، أخاف أن يفوتني شيء من صفحات الكتب أو أسطره"[١٠].

وأما بالنسبة إلى تقييم أعمال كاتب أو أديب، لا بد لنا أن نتعرف على كاتب وأن ننقب أعماله الأدبية مباشرا بناء على الوجهات الفنية والمسارات القيمية وألا نكتفي بما يقول القراء حيث يكتبون عما قرأوا في مواقع منتديات القراءة على الإنترنت لأن هذه مسألة خطرة حيث الآراء ليست واحدة بالطبع وقال أمير تاج السر في هذا الصدد" ولا تخضع لتقييم علمي أو فني للأعمال المطروحة في تلك المنديات، إنما للتذوق الشخصي"[١١]. وفي اختيار التأليفات الجيدة عن رديئها يجري عموما اختلاف كبير وباعث غير مبرر حول مفهوم الأفضل والأوسع انتشارا والأعلى مبيعا حيث قام أمير تاج السر بالتعبير عنه" كلها دعائية في رأيي أكثر منها مفاهيم نقدية أو علمية وإن أردنا أن نضع قائمة لأفضل مئة رواية عربية علينا اختيار الروايات بناء على قيمتها الفنية وليس على شهرتها"[١٢].

---

[١٠] جريدة الشرق الأوسط، رقم العدد:١٣٠٧٦، ١٦سمتمبر، ٢٠١٤م

[١١] مجلة الدوحة، العدد ٧٩، مايو، ٢٠١٤م

[١٢] مجلة الدوحة، العدد ٧٩، مايو، ٢٠١٤م

المبحث الأول: اتجاهان مهمان في الكتابة

لو تعمقنا قليلا في رواياته كلها لنجد فيها اتجاهين مهمين اتسم بهما الكاتب لترسيم مجمعات السودان وأريافها المتنوعة وعاداتها الغريبة كما التفت إلى تاريخها الجميل بحبكاته الفنية وسردياته الأنيقة حيث صار واحدا من أفضل سفراء الأدب السوداني اليوم. يمكننا أن نقسم اتجاهه في الكتابة إلى قسمين رئيسين، أولهما اتجاه تاريخي أي يكتب عن الأحداث التي وقعت في فترة معينة بمساعدة الشخصيات التاريخية وإنما يستلهم مناخ المجتمع وشكله في فترة تاريخية ما ويكتب عنها راصدا ما هو إنساني ومتخيلا حياة الأفراد في تلك الفترة من أفراحهم وأتراحهم. رواية "مهر الصياح" و "تواترات القبطي" و"رعشات الجنوب" و"أرض السودان" من هذا الاتجاه التاريخي.

الاتجاه الثاني هو الاتجاه المعاصر أي يعالج فيه الواقع ويكتب ما هو واقع فعلا أو ما يمكن تخيل أنه وقع أو سيقع في المجتمع المعاصر، حيث يتناول الحادثة التي شاهدها أو سمع عنها كحادثة سيقع في المجتمع الراهن. ومن هذا الاتجاه المهم رواية "زحف النمل" و "العطر الفرنسي" و"صائد اليرقات" وغيرها.

الاتجاه التاريخي:

كتابة الرواية التاريخية يعشقها أمير تاج السر كثيرا ولكنه لا يكتب تاريخا يحتاج إلى أدلة ووثائق بل يكتب تاريخا متخيلا بمعنى أنه يدرس فترة ما من التاريخ بكل ما فيها مثلا الحكم الذي كان موجودا والمجتمع وشكل العمران والأكل والشرب والمواصلات ثم يقوم بزرع الشخصيات في تلك الفترة. ويوظف الكاتب في أعماله الروائية، التاريخ باعتباره متخيلا والمعرفة الشعبية والطبية وغيرها من المعارف كما يلون الأحداث بأبعاد شعرية تزيد من قوة درامية العمل الروائي كما أنه يعزف في أعماله الروائية على قيثارة التاريخ كما هو الحال في رواية "توترات القبطي" أو يلعب على إيقاع الحكاية الشعبية وموروثها كما في رواية "مهر الصباح" أو على المعرفة الطبية كما في رواية "إيبولا ٧٦" حيث نلمس فيها وغيرها اشتغالا قويا على العواطف والمشاعر ونحس أننا في حقول معرفية متنوعة.

في الحقيقة، الروائي يستلهم مادته السردية من التاريخ ويستقيها من الوقائع الحقيقية ويستوحيها من شخوص عرفهم وعاشرهم ولكن لا يطمح الروائي أن يصبح مؤرخا عندما يستعمل المادة التاريخية (الذاكرة، الوثائق،

الشهادات، اليوميات، المذكرات، السير، التاريخ) بل يريد أن يؤدي مسائلته التاريخية من زاوية مختلفة. ومما يجدر بالذكر هنا أنه لا يكتب التاريخ بل يعيد كتابته برؤية نقدية حيث يؤول الأحداث التي شهدها الماضي بعيدا عن النسخة الرسمية بل يقول فيه قولا مغايرا عن أقوال المؤرخين ليعيد اكتشافه من جديد. قد يعتقد البعض أن الرجوع إلى الماضي واستعمال التاريخ كمادة روائية هو من باب الانغماس المقصود في العجائب كما يعتقد البعض أن الرجوع إلى الذاكرة والأزمنة القديمة بمثابة الهروب من الحاضر والدخول في عوالم النوستالجية حيث الروائي يستعيد مرحلة من التاريخ مستهدفا قراءة الحاضر على ضوء الماضي. الرواية التاريخية لا تنغمس في تربة بالية وباردة بل هي تتحول إلى أدلة مهمة للمعرفة حيث يقرأها القراء ويفهم بها الأشياء بطريقة إبداعية. ولها أدوار ملموسة في تبادل الثقافات المتنوعة حيث يمكن للقارئ أن يتعرف عن قرب على أشياء شاهدتها مرحلة من الماضي البعيد أو القريب مثل معمار المدن ولباس الناس وآليات الاتصال وطرق التطبيب وصناعة الأشياء وطقوس التعبد وأنواع الطبخ وعادات الشعوب وأساليب الحياة وغيرها رغم بعدها التخيلي.

هناك طريقتان معروفتان في تناول التاريخ، الطريقة الأولى تقوم على كتابة التاريخ بوثائقه ومعطياته ومستنداته أو كما حدث والثانية تستهدف إلى اختراع تاريخ مواز للحقيقي عبر أشخاص آخرين يستريحون في خيال المبدع. يحاول أمير تاج السر العودة إلى الماضي دوما من خلال أحداث سردياته حيث يؤكد أنه من أنصار ومرتادي الطريقة الثانية التي تحث على تخيل التاريخ كما نرى في أعماله الروائية "مهر الصياح" و"توترات القبطي" و"أرض السودان: الحلو والمر". هذه الطريقة تفرض على الروائي باكتشاف آلية جديدة في إنتاج النص الإبداعي حيث يطلع عليها من خلال القراءات المكثفة المركزة وانتباه ضرورة الإلمام التام بالفترة التي تتشابك فيها أحداث الرواية.

الاتجاه المعاصر أو الاجتماعي:

تناول الدكتور أمير تاج السر الموضوعات المهمة في أعماله الأدبية حيث كتبها من ذاكرته الثاقبة وتجرباته الطبية والشخصية. يمكنا أن نقول عنه أنه قد نجح في اختيار الشخصيات البارزة لرواياته من بين المرضى والزائرين حيث يستعيد طبيعتهم المختلفة من تجربته السابقة، لم تنته هذه المتعاملة الشاسعة لأنه لا يزال

يشتغل بمعالجة الأمراض في مستشفاه بالدوحة، قطر. القضايا الاجتماعية والأوضاع الراهنة تميز أدبه عن الآخر حيث أن روايته الممتعة "مهر الصياح" يمتزج فيها الواقع بالخرافة والسحر وتحكي دور السلطة وتأثيرها في الفرد واقتياتها الدائم على الحروب المفتعلة لتبرير اضطهادها لأبنائها.

أما روايته الأخرى" العطر الفرنسي" جديرة بالذكر في هذا المضمار الاجتماعي لأن في مجملها احتفاء الإنسان السوداني بالضيف وتعبيرا شاملا من التقدير للإنسان الأوروبي بأرض السودان. ومن جهة ثانية تبرز قيما عالية تقبل الآخرين في ساحة الثقافة السودانية حتى ولو اختلف الدين واللون واللغة عبر نجمة فرنسية وصلت إلى حي "غائب" الشعبي في إحدى المدن السودانية النائية للإقامة فيه لكتابة بحث عالمي.

ولكن يعبر أمير تاج السر عن موقف الأدب والأديب في ظل كل ما يحدث حولنا من مآس في الواقع العربي الحاضر" أن الكاتب ليس بالضرورة أن يكون أحد المتظاهرين أو الشهداء وليس بالضرورة ناصحا أو حكيما"[١٣] بل يعتقد أن التنوير يأتي من توظيف الكتابة على نحو جيد، بحيث تكون موضع اهتمام الناس في ظل ما نعاني منه من أزمة قراء حقيقية في الوطن العربي. هو ينقد بعض الكتابات التجارية التي تحظى بالشهرة الواسعة والتي لا تقدم شيئا في الشوارع العربية بينما يظل الأدب الحقيقي المرتبط بحياة الناس مغمورا وأحيانا مضطهدا كما يرى تاج السر.

عنده اهتمام كبير ليتناول الأماكن المتعددة خلال سردياته الجميلة حيث نلمس تركيزه على المكان أو القرية منذ روايته الأولى كرمكول، مكان ولادته ونشأته حيث يمر برواية سماء بلون الياقوت التي تحكي قصة قرية مهمشة هي قرية "الشيكينات" شمال السودان. أما الرواية" إيبولا ٧٦" تحتفي بجروح حي كرتوني في منطقة" أنزارا" جنوب السودان وصولا إلى "رعشات الجنوب" حيث تتنوع فيها حكاية المكان أي الصراع بين شمال السودان وجنوبها لأن له خبرة خاصة بشمال السودان دون جنوبها حيث لا يكتب عنها إلا بعد أبحاث مضنية. للأمكنة دور ملموس في حياة الكاتب، يعتمد عليها كجزء مهم في كتابته حيث قال" المكان هنا هو بيت الرواية، والأمكنة تسكن الكاتب ما دام قد عشقها"[١٤]. هو مولع في أن يتحدث عن وطنه عبر

[١٣]صحيفة العرب، العدد: ٩٨٥٥، ١٣ مايو، ٢٠١٥م، ص:١٥

[١٤]صحيفة القدس العربي، العدد:٧٣٨٦، ١٩مارس، ٢٠١٣م

كتاباته الأدبية وأعماله الروائية، مما لا شك فيه أن الأوطان هي ملح الكتابة لأنها تعالج مشكلات سياسية وأزمات اقتصادية وانحرافات اجتماعية وغيرها من المعضلات التي تحتاج إلى مجهود كبير من الشعوب كي يحاول حلها. إذا أخذنا أي كتابة من الوطن فتكون هي كتابة طاعمة وواعية لأن الكاتب يأخذ تجاربه من وطنه بلا تردد.

المبحث الثاني: مساهماته الأدبية

حاول أمير تاج السر أن يكتب كل ما يعرفه عن الإبداع لأنه ذو تجارب كبيرة حيث قضى خمسة وعشرين عاما في سكة الكتابة، له مكانة مرموقة في الأدب العربي الحديث حيث لا يسوغ لباحث في تاريخ الأدب العربي وعاشقه أن يغظ البصر عن جهوده المبذولة في مجال الرواية العربية المعاصرة ولارتقاء رايتها حيث ترفرف في فضاء الخيال. هذا الروائي الكبير أصدر سبعة عشر رواية وثلاث سير روائية وديوان شعر وكتابين في الكتابة والثقافة والحياة بالرغم من أنه توج مساره الأدبي بالشعر وخاض في مناهله. وتعد مرحلة استقراره في الدوحة سنة ١٩٩٣م إلى الآن مرحلة الأكثر عطاء وإنتاجا حيث لا يزال يحوم في جو عوالم الرواية الشاسعة، منتجا الروايات الغنية والمتنوعة في أشكالها الجميلة ونسقها البنائي على شكل سنوي على الأقل. مؤلفاته البديعة حتى الآن كما تلي مع تفاصيل النشر والإصدار.

❖ **أعماله الأدبية الإبداعية:**

- كرمكول والحصانة القروية (رواية)، دار الغد، القاهرة، ١٩٨٨م
- سماء بلون الياقوت (رواية)، أزمنة للنشر، عمان، ١٩٩٦م
- نار الزغاريد (رواية)، شرقيات، القاهرة (طبعة أولى)، ١٩٩٨م: دار عزة الخرطوم (طبعة ثانية)،٢٠٠١م
- مرايا ساحلية (سيرة مبكرة)، المركز الثقافي العربي، بيروت (طبعة أولى)، ٢٠٠٠م: الدار العالمية للنشر، الخرطوم (طبعة ثانية)، ٢٠٠٣م
- صيد الحضرمية (رواية)، مركز الدراسات السودانية، القاهرة (طبعة أولى)، ٢٠٠٢م: مركز الحضارة العربية، القاهرة (طبعة ثانية)،٢٠٠٤م

- عواء المهاجر (رواية)، الدار العالمية للنشر، الخرطوم، ٢٠٠٣م
- سيرة الوجع (رواية)، وزارة الثقافة والفنون والتراث، دولة قطر، ٢٠٠٣م
- مهر الصياح (رواية)، دار ورد، دمشق (طبعة أولى)، ٢٠٠٤م: الدار العربية للعلوم ببيروت ودار الاختلاف بالجزائر (طبعة ثانية)، ٢٠٠٩م
- أحزان كبيرة (ديوان الشعر، طبعة قديمة)، وزارة الثقافة والفنون والتراث، دولة قطر، ٢٠٠٥م
- زحف النمل (رواية)، دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م
- توترات القبطي (رواية)، ثقافة للنشر، أبو ظبي، ٢٠٠٩م
- العطر الفرنسي (رواية)، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٩م
- صائد اليرقات (رواية)، ثقافة للنشر بأبي ظبي ودار الاختلاف بالجزائر، ٢٠١٠م
- رعشات الجنوب (رواية)، دار الثقافة للنشر والتوزيع بالاشتراك مع الدار العربية للعلوم، ٢٠١٠م
- قلم زينب (سيرة روائية)، وزارة الثقافة والفنون والتراث، دولة قطر، ٢٠١١م
- تعاطف (رواية)، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠١١م
- أرض السودان: الحلو والمر (رواية)، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠١١م
- إيبولا ٧٦ (رواية)، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢م
- اشتهاء (رواية)، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٣م
- ٣٦٦ (رواية)، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠١٤م
- ضغط الكتابة وسكرها (كتابات في الثقافة والحياة)، دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠١٤م
- سيرة الجرح (ديوان الشعر، طبعة جديدة)، دار النسيم للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م
- طقس (رواية)، دار بلومزبري، ٢٠١٥م
- ذاكرة الحكائين (في فلك الكتابة والثقافة)، دار الربيع العربي للطبع والنشر، القاهرة، ٢٠١٥م

الباب الثالث:

تصوير المجتمع في روايتي أمير تاج السر "صائد اليرقات" و "٣٦٦"

الفصل الأول: عتبات الرواية "صائد اليرقات"

الفصل الثاني: عتبات النص لرواية "٣٦٦"

الفصل الثالث: تصوير المجتمع في روايتي أمير تاج السر "صائد اليرقات" و"٣٦٦"

الفصل الرابع: القضايا الاجتماعية والمجتمع السوداني

الفصل الخامس: القضايا السياسية والاقتصادية في المجتمع السوداني

الفصل السادس: المواقف الثقافية والأخلاقية والدينية في روايتيه "صائد اليرقات" و"٣٦٦"

الفصل الأول

عتبات الرواية "صائد اليرقات"

"صائد اليرقات" رواية للكاتب السوداني أمير تاج السر، تتحدث عن طقوس كتابة رواية حيث يوضح الروائي الكبير (أمير تاج السر) عن الطقوس الروائية والتجربة الكتابية لعبد الله حرفش، بطل الرواية وكاتب التقارير الأمنية سابقا ويقرّر يوما أن يكتب رواية ولكنه كان عديم موهبة القراءة والكتابة لأنه كان يعمل في مراقبة الناس ورصد حركاتهم. رغم هذه الحدود والقيود، ينجح أخيرا في كتابة الفصل الأول مستمدا من شخصيات وأحداث جرّبها في إحدى القضايا السابقة التي حدثت خلال عمله السابق ثم يأخذ ما كتبه إلى الروائي الكبير(أ.ت) أي مقترحه ومرشده في الكتابة حيث يقرأه ويلاحظ أن طريقة كتابته متساوية لمنهج كتابة تقرير أمني ويستمر في توجيهه وحثه على تغيير أسلوب كتابة التقارير الأمنية حتى شبه كتابته الابتدائية باليرقات.

ولنبدأ بعتبات النص، فعتبته الأولى هي العنوان (صائد اليرقات) هو عنوان تناقضي يفتح الباب مع التناقض كمدخل للقراءة. ويحسن لي في هذا الصدد أن أقوم بتفصيل موجز عن مسألة العنوان الذي يخرج به النص إلى النشر حيث يعد أنه مفتاح الدخول إليه وأحد جوانب الترويج له ودافع في الحفاظ على إيقاعه. أما بالنسبة إلى اختيار العناوين المذهلة للأعمال الأدبية قد يساند على أن يشد القراء بسهولة ويدفعهم لاقتنائها. فهناك كتاب وأدباء ينتمون إلى مراحل متعددة في اصطفاء العناوين لأعمالهم لأن لكل كاتب طريقته الفريدة وطرازه الأنيق في تسمية نصوصه، معظم هؤلاء يتعمدون على اختيار أسماء مثيرة حيث تدخل في خلخلة الثوابت المستقرة في الأذهان بغرض جذب أكبر عدد من القراء كما أشار إليه أمير تاج السر "هناك من يغيرون الاسم عدة مرات، حتى يتوصلوا إلى اسم يرضيهم، ثم يطلقون الكتاب، وهناك من يكتبون الاسم قبل البداية في الكتابة، ويظلون أوفياء له حتى النهاية، من دون أي نية في التغيير"[١]. ولكننا إذا لاحظنا تجربة أمير تاج السر الروائية، فلم يقم في حياته الروائية بتغيير عناوين رواياته إلا مرة حيث يقول عن منهجه وعادته في اجتبائها وتبديلها "وفي تجربتي الخاصة، فإنني لا أبحث عن اسم أبدا،

[١] د. أمير تاج السر، ضغط الكتابة وسكرها. كتابات في الثقافة الحياة، ص: ١٦

ولكن أجد الاسم يأتي وحده، ويمكن أن يأتي في أي وقت، في بداية الكتابة، أو منتصفها أو نهايتها، ولم يحدث أن قمت بتغيير اسم لعمل ما، إلا مرة واحدة، في رواية زحف النمل التي كانت تحمل اسما آخر وتنبهت إلى أنه لا يصلح، في الوقت المناسب"[٢]. علينا أن ندرك الروابط والصلات بين اسم الرواية ومادتها لأن القراء الأذكياء لا يزالون يتساءلونه عن هذه الصلة بعد القراءة ويبحثون عنها إن لم يجدوا على صلة ما حيث ينخدعون حين يقتنون كتبا لا توجد صلة فيها بين اسمها وما فيها من النصوص.

وعلى هذا الضوء، عليّ أن أقنع بأن عنوان رواية صائد اليرقات ليس مجرد اسم رنان بلا معنى بل هو مفتاح يدور في قفل النص وفتحه. الصائد عادة يصطاد الفراشات دون اليرقات التي لم تشرنق بعد ولم تخرج من شرنقاتها الفراشات، لذلك يثير عنوانها القارئ بغرابته. وهي غرابة سرعان ما تتبدد حينما نعرف أن البطل رجل أمن عليه أن يقتنص فراشات وهي تظل يرقات لم تشرنق بعد ولم تتطور إلى الحشرات الكاملة حتى نسميها بالفراشات، وأن يجهز على الزهور قبل أن تتبرعم أو تتفتح للحياة وأن يزرع الموت في قلب الحياة. إذا استعرضنا وقائع الرواية وأحداثها من الألف إلى الياء فتدفعنا إلى أن ننتبه إلى مشكلتي الثقافة والاجتماعية، الأولى تتولد من شخصية عبد الله حرفش، وهو على يرقته أو روايته قبل أن تشرنق حقا، أو تتحول إلى فراشة حيث يستخف عبره أمير تاج السر جماعة من الكتاب الجدد يمتحنون الكتابة لطرد إزعاجات أوقاتهم الفارغة ويتلفون جماليتها وإيقاعها وتناغمها بقلة تجاربهم الكتابية والثقافية مع أنهم الحافّون من الخيال الواسع. والمشكلة الثانية تنتمي إلى الإدارات الأمنية في السودان خاصة والبلدان الأخرى عامة حيث تطرح إلى بعض أبناء الوطن سهام التهمة الافترائية والجريمة التطرفية وتراقبهم دواما لئلا يثيروا الناس ضد الأجهزة الأمنية الوطنية حتى يقبضوا عليهم ويسجنوا في عنفوان شبابهم بدون المام طبيعة جرائمهم المسلطة عليهم. فهذه هي مهمة الأمن في عصرنا الحاضر حيث يقنع الكاتب هذه الفكرة عبر بطل الرواية الحزبي الراحل(أ.س) وسيأتي بيانه بالتفصيل في الفصل الثالث.

[٢]د. أمير تاج السر، ضغط الكتابة وسكرها. كتابات في الثقافة الحياة، ص: ١٦

والعتبة الثانية، هي إهداء الكاتب روايته "إلى فيصل تاج السر وأساطيره وعوالمه الملونة"[٣] حتى نستشعر بأن الرواية تريد أن تربط عوالمها الملونة بالواقع المحسوس كما أنها توحي إلى قارئها بأن الكاتب استقاها من عوالم واقعية ممزوجة بخيالاته المتشوقة. انطلاقا من هذا يمكن أن نحدد موقفه ومما أجاب لسؤال عبد الله فرفار عن الأحداث في الروايات من حيث أنها حقيقة أم لا؟ "ليس كل ما يكتب حقيقة بالطبع أخي فرفار...توجد حقيقة ويوجد خيال، والعمل الناجح هو الذي يوهم القارئ بأن الخيال حقيقة"[٤].

أما العتبة الثالثة فهي براعة الاستهلال حيث أتى بالمقطع الأسباني كما يلي مستهدفا إلى معايير حسابية تبدو بها الشخصية الحقيقية من خلال تعامل المجتمع وتبعد بها الأنانية الوهمية تزودها المرايا الاصطناعية.

" فإن شئت أن تسأل صورتك،

في ليلة دافئة،

بعينين غامضتين، والسؤال على الشفتين،

فلا تبحث عن ذاتك في المرآة:

إنه حوار مخنوق، لا تسمع منه شيئا.

بل انزل إلى الشارع في بطء، وابحث عن ذاتك

بين الآخرين.

هنا تجد الجميع، وأنت بينهم (مقطع أسباني)[٥]

هذا المقتطف الاستهلالي الذي لا يعزوه المؤلف لأي كاتب محدد وإنما يكفله باسم مقطع أسباني يؤكد التناقض الذي طرحه العنوان، فالإنسان لا يتعرف ذاته في المرآة كما نفعل جميعا وهناك نظرية تحليلية (Analytical Theory) لمحلل نفسي فرنسي جاكس لاكان (Jacques Lacan) يقول بأن بداية وعينا بذواتنا وتكوين لاشعورنا الواعي بأنفسنا، تبدأ بما يدعوه بمرحلة المرآة أو طورها، حينما يرى الطفل ذاته لأول مرة في المرآة كآخر يستغربه ويحاوره ويتماهى معه حتى يجد الاستعراف الخاطئ (Erroneous

[٣] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص:٥

[٤] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص:٧٤

[٥] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ٧

Cognition). ولكن هذا المقتطف الاستهلالي الأسباني يطرح نظيرا للمقولة اللاكانية ونقيضا لها في آن، حينما يؤكد أن السؤال عن الذات لا جواب عنه إلا في البحث بين الآخرين، حيث يتجاوز هذا الاستهلال الأسباني تبسيطات الأنا والآخر المعروفة ليطرح الأنا كجزء أساسي من النحن "هناك تجد الجميع وأنت بينهم".

وجه تسمية الرواية بصائد اليرقات يبدو عندما يبين الروائي لعبد الله حرفش عن أطوار نمو الحشرة التي كانت مدروسة في درس العلوم في المدرسة الابتدائية حيث قال "البيضة[٦] تتحول إلى يرقة[٧] وهي مخلوق دقيق، ثم إلى شرنقة[٨] داخل غشاء ثم تخرج من الغشاء لتصبح حشرة[٩] كاملة"[١٠]. وهو لا يزال يضيف إلى هذا الموضوع بعض تحقيقاته وتدقيقاته مستمرا "اليرقة قد تنمو وقد تموت قبل ذلك...الحشرة في الواقع لا تستطيع أن تحافظ على يرقاتها من الموت باكرا إذا كان سيحدث". يمكن لنا أن نجد رابطا بين كتابة الروايات وأطوار النمو عند الحشرات حيث يشبه الروائي الكتابة بأطوار نمو الحشرة، وأما بالنسبة إلى ما كتبه عبد الله فرفار، هو كيرقة لن تنمو إلى شرنقة وتكمل دورتها فحق عليه أن ينتبه إلى أن تتطور إلى بقية الأطوار.

هنا عبد الله حرفش أو عبد الله فرفار هو صائد اليرقات كما ندرك من حواره مع الكاتب الروائي(أ.ت) مفصلا الفروق الواسعة بينه والكاتب حيث قال" الفرق بيننا شاسع جدا...أنت محترف وأنا مبتدئ، صائد الحشرات الكاملة وصائد يرقاتها. لكنني لن أن أنهزم أبدا...[١١]. هكذا نجد العبارات العديدة التي يمكننا أن نستدل بها على أن صائد اليرقات هو عبد الله حرفش عينه ومنها، قول عبد الله حرفش "وكتابتي ما تزال

---

[6] Egg

[7] Larva

[8] Cocoon

[9] Insect

[١٠] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ٨٥

[١١] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١١٠

يرقات حتى الآن لا أعرف هل ستتطور أم لا؟[١٢] وقول الروائي "كاتب اليرقات الذي بدأ يبتعد قليلا عن كاتب التقارير"[١٣].

المبحث الأول: تلخيص "صائد اليرقات"

تدور قصة الرواية من حوار الروائي الكبير(أ.ت) يعني هو أمير تاج السر ذاته، مع عبد الله حرفش أو عبد الله فرفار، بطلها الرئيسي، رجل أمن متقاعد من جهاز الأمن الوطني وقد لجأ إليه ليساعده في تعلم أصول كتابة الرواية حيث جاءت إليه فكرة الكتابة بالرغم من أنه ليس صاحب القراءة وواسع الخيال ولا يجيد إلا كتابة التقارير الأمنية المنوطة بمجال عمله فقط. عبد الله حرفش ليس شابا من أولئك الشبان الذين يحيطون بالروائي(أ.ت) في مقهى قصر الجميز، أقدم مقهى العاصمة، ويستمعون إليه ويتعلمون منه ويحاولون أن يقرؤوا أمامه نتاجاتهم الأدبية الجديدة بل هو على العكس تماما رجل مسن وكاتب تقارير سابق للأجهزة الأمنية مع أنه فقد رجله اليمنى أثناء شغله الرسمي حتى استبدلت حياته المضغوطة بحياة فارغة وساقه اليمنى بساق خشبية بذيئة. عزم البطل أن يتقدم بفكرته الغريبة كي يتحقق هدفه المنشود مع أنه يعترف حقيقة قائلا " لا بد أن الكتابة أصعب مما تصورتها حين ألحت علي فكرة أن أكتب رواية، أو لعلها مرض من الأمراض المزمنة غير القابلة للشفاء"[١٤] حيث يلازم الاستشراف من الروائي(أ.ت) وقراءة روايته على سريري ماتت إيفا ليقفز فكرة كتابة الرواية بساقه الخشبية ويبدأ مشواره الروائي بكتابة فصل من رواية تستعيد أحداثها من قضية من القضايا التي عمل عليها ولكن العمل الروائي لكاتب التقارير يتحول إلى إطار تقرير أمني وشبه كتابة الروائي(أ.ت) في مرحلة يرقة ميتة خرجت من ذهنه ويبين عن أطوار نمو الحشرة كناية عن مراحل الكتابة المتوقعة التي يتجاوز بها أي كاتب خلال التأليف "البيضة تتحول إلى يرقة وهي مخلوق دقيق، ثم إلى شرنقة داخل غشاء ثم تخرج من الغشاء لتصبح حشرة كاملة"[١٥]. طفق يبحث عن شخصية أدبية ليتبنى حولها روايته كما يلجأ إلى قراءة المزيد من الروايات والكتب المتنوعة ولم يجد شخصية روايته أفضل

---

[١٢] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ٩٩

[١٣] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١٢٤

[١٤] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١٨

[١٥] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ٨٥

من زوج عمته الوحيدة، مدلك أحد الفرق الرياضية مع أن له دورا تافها في مسرحية كممثل ثانوي حيث يؤديه بطريقة مميزة حتى أخبر الروائي عن بطل روايته المستقبلي ويريد أن يعمل عليه ولكنه يحاول الحصول من زوج العمة على تفاصيل عن ماضيه وحياته بهدف تدعيم روايته الجديدة. هكذا، اختفى الروائي عن الجماهير العامة كعادته، إن عزم على الكتابة. وبدأ العمل على رواية جديدة بمساعدة فكرة عبد الله حرفش عن المدلك كما دفع إلى الشك بأن الروائي سرق منه فكرته أو يرقته. ولكن خلال هذه الأحداث، يتم استدعاء حرفش إلى عمله السابق ويفاجئ برغبة مديره في إعادته إلى العمل والاستفادة من علاقاته الطارئة في الوسط الأدبي حيث ينتهي مشواره الأدبي. ثم تأتي الخاتمة الجميلة عندما يلتقي حرفش بالروائي بعدما يبدو من جديد حيث ينجز روايته الجديدة المسماة بـ ''صائد اليرقات"، توضح حياة فرفار الغريبة وتصنع له ماضيا وحاضرا ومستقبلا ولم ينس الروائي أن يهديها إليه قائلا "...ستجد نفسك فرفارا آخر في روايتي، فيه أشياء منك وأشياء ليست منك، أشكرك يا فرفار–حرفش...أشكرك بشدة وأهدي إليك تلك الرواية رغم أنني لا أكتب إهداء لأحد"[١٦].

المبحث الثاني: أسلوب الرواية "صائد اليرقات"

ومن الواضح، أن روايات أمير تاج السر كلها تجمع شهرة واسعة وشعبية واسعة وقبولية حسنة بموضوعاتها المتنوعة وتيماتها المذهلة ومضامينها الجذابة لدى قرائها كما أن لكل واحدة منها عوالمها الشاسعة ومناخاتها المتفردة، منها صائد اليرقات التي تعد من أهم الروايات العربية ظهرت في ساحة الأدب العربي السوداني خلال السنوات الأخيرة من حيث أنها كانت تلميحا مهما إلى حالة الواقع الأدبي السوداني وإلى عبقرية صاحبها حتى التفت إليها الأنظار من أرجاء العالم العربي.

هذه الرواية رائعة ومشوقة بكل ما فيها من المعاني والوقائع، أسلوب الروائي فريد من نوعه خاصة في خلق أجواء وبيئة روايته كما لديه نكهة خاصة وتفاصيل دقيقة وتذكير القارئ بصفات بعض الشخصيات مع تكرارها أكثر من مرة ليجعل للشخصية حضورا لديه. الرواية تعتمد على أسلوب اللغة السهلة وبنفس الوقت تفتح آفاقا كانت مغلقة حيث تنطق مرارا عن عالم الكتابة وفضاء الواقع الممزوج بالخيالات والمشاعر.

[١٦] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١٤٨

ويرى أمير تاج السر أن كتابة الرواية صعبة جدا حيث قال في إحدى المقابلة مع جريدة القدس العربي "إن كتابة الرواية ليست عملا سهلا، إنه عمل مضن للغاية"[١٧].

الرواية تتناول أكثر من قضية شائكة بأسلوب ساحر، نجحت وتسلقت قائمة أكثر الكتب مبيعا ونالت إعجاب القراء في ترسيم صورة دقيقة عن أبطالها وبالأخص عبد الله فرفار، رجل الأمن السابق الذي كانت وظيفته كتابة التقارير السرية عن الناس حيث يجد نفسه بعد التقاعد الطبي بحاجة لاهتمام الآخرين والعودة لدائرة التأثير. يقدم لنا تاج السر من خلال بطلها عوالم فرفار القديمة في العمل وأوراقه الصفراء وشكوكه في الكل والنظر بريبة، ومما يجدر به الذكر لكل كاتب عالمه الحالي المقارب على التشكل بصحبة الأمل وأجواء المثقفين وطقوسهم في الكتابة. أما وجود الروائي(أ.ت) الذي قدم له النصائح التي لم ينتبه إليها بأن الكتابة أصعب من وجود الرغبة فقط في أن يكون كاتبا.

له تجربة خاصة في الكتابة لأنه يقول عن روايته الجميلة "طقس" التي عكف عليها وقطع شوطا طويلا في كتابتها واستوحى لمحتواها جزءا من سيرته الذاتية حيث قال عنها "هي رواية عن الكتابة ويرويها كاتب يحكي عن طقوسها ومآزقها وكيفية صياغة العوالم وتستوحى أحداثها من الحاضر بكل تقنياته الحديثة كما تتعرض إلى التشريح النفسي للشخوص"[١٨] مع أن صائد اليرقات ينتقد بها الكاتب كل واحد ممن يحاولون أن يصبحوا روائيين مبدعين بوقت يسير بدون التخيلات الشاسعة والقراءات العميقة والمواهب الراسخة والثقافات العريقة.

استطاع كاتب رواية "صائد اليرقات" أن يدق فيها نواقيس الخطر عن الواقع المشوه لفن الكتابة عبر شخصية رجل أمن متقاعد، عبد الله حرفش يتحول إلى كاتب ويتحدى الجميع مع أنه يحذر القراء أن لا ينخدعوا بمثله أبدا في حياتهم لأن مثله لم يقدم جديدا في الساحة الأدبية الثقافية بسبب قلة ممارسته وتجربته. إذا استعرضنا عن ساحة هذه الرواية التي يبدأ فصلها الأول" سأكتب رواية، نعم سأكتب"[١٩] وينتهي فصلها الأخير أي الفصل العشرون بعبارة "كان قد فتح المغلف الأبيض، أخرج مجموعة من الأوراق البيضاء

---

[١٧]صحيفة القدس العربي، العدد:٧٣٨٦، ١٩مارس، ٢٠١٣م

[١٨]صحيفة العرب، العدد:٩٥٥٧، ١٣ مايو، ٢٠١٤م

[١٩]د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص:٩

مكتوبة بخط أسود أنيق... واستطعت وأنا على حافة الانهيار أن ألمح على الصفحة الأولى: صائد اليرقات، رواية"[٢٠] فنجد حينما نصل إلى هذه النهاية الجميلة أن تناقض العتبات كان مفتاحيا.

ومن هنا لا بد من الإشارة إلى أن هذه الرواية تستند على شيئين رئيسين أولهما هو تفكيك عملية الكتابة بدءا من طقوسها مرورا بالعلاقة المعقدة بين الكتابة والتجربة فهذا النص الروائي هو أكثر نصوص أمير تاج السر وعيا بنصيته بالرغم من انشغال عدد من نصوصه بدرجة أو أخرى بنصيتها. وثانيهما هو اللعبة الأزلية بين الصياد والطريدة –السلطة والكاتب–المخبر والمثقف–الفن والواقع. فإذا ما بدأنا بالأمر الأول سنجد أنه يمكن قراءة الفصول التالية من الرواية على أنها فصول عملية تفكيك الكتابة المزدوجة على صعيدين صعيد كتابة فرفار وصعيد كتابة أمير تاج السر (أ.ت) وهو فصل المواجهة بين الإثنين واستعادة كل منهما لدوره القديم.

هذه رواية التلاعب بالشخصيات حيث يبدو عديد من الأشخاص خلال سرد القصة من بدايتها إلى نهايتها أي أكثر من عشرين شخصية من النساء والرجال على سبيل المثال روائية(س) والمسيحي(ر.م) والخياط(خ.ر) والمشجع(خ.د) وغيرهم ممن لهم أدوار ثقيلة أم ضئيلة في الرواية ومن المستغرب أن تغيب أسماء الشخصيات في الرواية ويظهر مكانها الرمز بالحروف الأولى من أسمائها الحقيقية.

المفارقة الشاسعة في الشخصيات باستخدامها بحروف أسمائها الحقيقية، أولها إن كان اسمها مجردا مثل (س) مشيرة إلى روائية أو أولها وأول الاسم الثاني إن كان مركبا باسمين مثل(ع.ف) الذي يدل على عبد الله فرفار. ومما يجدر بالذكر هنا، أن الكاتب الكبير(أ.ت) يحمل نفس الحروف الأولى لكاتب الرواية الأصلي أمير تاج السر مع أنه لم يذكر هذا الأمر بشكل صريح في الرواية حيث نشعر باختصارات الأسماء كأننا نقرأ لغزا. في الجملة، كانت الشخصيات فيها مرسومة ومصورة بدقة على الورق بطريقة مذهلة وبآلية حديثة لأنها أعمدة الرواية وأعصاب حياتها المهمة إن انهدمت أو انقطعت فلا مجال لجماليتها ورشاقتها. يكشف الروائي السوداني مفاتيح كتابته كلها وطريقة قدومها وآلية نضجها في كتابيه" ضغط الكتابة وسكرها" و"

[٢٠]د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١٤٨

ذاكرة الحكائين" الصادرين حديثا لينير للقارئ الطريق الذي تمشي فيه العملية الإبداعية عنده وكأنه يعيش في ثوب الطبيب الذي يشخص حالة أمام الآخرين.

ولابد أخيرا من الإشارة إلى بعض خصائص الكتابة السردية في هذه الرواية الجميلة وأهمها: تعدد اللغات السردية، والولع بالصور أو ما يمكن تسميته الكتابة بالصورة، وهي خاصية احتفظ بها الكاتب من بداياته الشعرية، والنزعة التهكمية الساخرة التي تبلغ أحيانا حد السخرية المرة من الذات. وهي نزعة كاشفة تثري وتساهم بتعدد الدلالات والرؤى فيه. وهناك أيضا منطق تناسل الحكايات الشهرزادي الذي تتسم به جل روايات أمير تاج السر، حيث تتوالد الحكايات من بعضها البعض وتتناسل في انسيابية عفوية، ولكنها منسوجة بقدر كبير من المهارة والإحكام كما رأينا في تناولنا لمحتوى البنية السردية عنده. وهناك أيضا ازدواجية الاسم وازدواجية الشخصية. فكل الشخصيات تقريبا لها أكثر من اسم، وازدواج التسمية هو أحد تجليات تراكب الشخصيات وطبيعتها التناقضية وثرائها اللامحدود.

الفصل الثاني

عتبات النص لرواية "٣٦٦"

حازت رواية "٣٦٦" لأمير تاج السر على إحدى الجوائز من كترا في دورتها الأولى كما أنها كانت ترشحت ضمن القائمة الطويلة لبوكر العربية عام ٢٠١٤.هذه رواية رومانسية بثوب جديد في الطرح بعيدا عن السرد الشائع في كثير من روايات هذه الأيام حيث نجد فيها المعشوقة الافتراضية التي سال لها الحبر الأخضر الأنيق للمرحوم الكيميائي، كاتب الرسائل التي وجدها أمير تاج السر تحت عنوان "رسائل المرحوم إلى أسماء" ثم قام بسردها بلغة مشوقة وتعبيرات سلسة مع أنه يدلفها إلى مناخات جديدة لفن الرسائل.

وأما إذا ألقينا أنظارنا على عتبات النص فلنبدأ بعنوان الرواية أي عتبة أولى من عتبات النص. كان عنوان الرواية "٣٦٦" الذي أراده الراوي كناية عن سنة كبيسة من العشق كما وصفها، حيث كان اسمها في البداية "رسائل المرحوم" ثم غير الكاتب التكنيك الكتابي حتى أصبحت رسالة واحدة وليس رسائل كما خطط في البداية. إضافة إلى ذلك، يحاول بالدوام على التجديد في عناوين رواياته وشخصيا يرى أن يكون العنوان جاذبا حتى يحفز القارئ على اكتشاف ما وراء هذا الرقم"٣٦٦". ولقد ذكر في بداية الرواية أنه عثر على الرسائل في نهاية السبعينيات عندما كان تلميذا في المدرسة الثانوية وكتب بالطبع في تلك الفترة.

بالبداهة يبدو أن داعية أدت الكاتب إلى تسمية روايته ب"٣٦٦" هي المرحوم، بطل الرواية المركزي، قد كتب الرسائل الغرامية العديدة إلى عاشقته أسماء كل يوم من أيام السنة ولكن بسوء حظه لم تصل إليها ولو واحدة منها، يقول هو نفسه عنه "رسالتي إليك عادية، وأعرف أنها لن تصلك في أي يوم من الأيام، ولكني كتبتها. سميتها ٣٦٦، كناية عن سنة لاهثة مؤلمة، مريضة، قضيتها في حبك"[٢١]. لا بد لنا أن نشير إلى عشق المرحوم الخالص من الأوضاع الرذيلة والسلوك المخادع حتى نراها في عاشقي هذا العصر بل مع حساسية زائدة حيث يعبر عما في ذهنه من الأفكار المتعلقة بمعشوقه أسماء يكتب عنها مزيدا من الأرق في لياليه التي لا تنتهي وفي دفاتره المكتنزة بالأوراق بالحبر الأخضر كما قام بتوضيح حالته "٣٦٦، رسالتي التي لن تصل إليك يوما، وفقط أكتبها، لأن واجبي كعاشق نقي في زمان غير نقي، يحتم علي أن أكتبها،

[٢١]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ٩

ولأن الكتابة في حد ذاتها، تمنحني دروسا في الصبر، احتاجها بشدة، لأكون العاشق المثالي في كل الأزمان، الموظف المعنوي عندك، إضافة إلى وظيفتي الجديدة، مدرسا لشقاوة ولد الوزير"[٢٢].

فالعتبة الثانية هي إهداء الكتاب حيث يهدي هذه الرواية "إلى سوسن إبراهيم دائما"[٢٣] وهي الأستاذة من مواليد محافظة الإسماعيلية بجمهورية مصر العربية، تخرجت من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة عام ١٩٧٧م. ساهمت في تأسيس جمعية "آمنة بنت وهب" النسائية الخيرية لخدمة المجتمع ومساعدة الأسر الفقيرة كما اعتادت الأستاذة سوسن على تقديم دروس متنوعة في شهر رمضان من كل عام وإلقاء بعض المحاضرات في مناسبات مختلفة وقامت بتنظيم حلقات تحفيظ القرآن الكريم للأطفال وتعريفهم ببعض العلوم الشرعية مثل الحديث والسيرة والأخلاق وقصص الأنبياء وفقه العبادات وغيرها.

براعة الاستهلال هي تعد أنها عتبة ثالثة من نصوص رواية ٣٦٦ حيث يقول الروائي أمير تاج السر في بداية الرواية "٣٦٦" عن العاشق الذي يغرم بالشمس ويغازلها حين تشرق وتغرب وكانت الشمس أيضا تذرف الدموع وتبكي لعاشقها حيث تبدأ أصلا بنص شعري ثم تدخل عالم السرد بروح شاعرة ممتزجة بلغتي الشعر والنثر.

في الزمان القديم كان ثمة عاشق.

كان مغرما بالشمس،

يغازلها حين تشرق،

وحين تغرب، يبكي غروبها

يناديها لتشرق من جديد.

سألوه عن سر ذلك العشق،

فالتقط رمحه وأصاب قلبه.

لم يسقط المطر ساعتها،

---

[٢٢]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ١٥٢

[٢٣]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ٥

تلك كانت دموع الشمس

تبكي عاشقها.[٢٤]

هذه توطئة لما سيسرد فيها عن العاشق أي المرحوم والعاشقة أي أسماء لأنه قد بدأ روايته ناديا "أسماء، أيتها الومضة...الزهرة...السحابة"[٢٥]حصل الكاتب على فكرة هذه الرواية من الرسائل المعنونة برسائل المرحوم إلى أسماء ولاتزال ترن أصداء أحداثها في ذاكرته بعد ما ضاعت تلك الرسائل المكتوبة بحبر أخضر أنيق.

المبحث الأول: تلخيص قصة "٣٦٦"

"٣٦٦" رواية تسرد فيها قصة عشق لمن سمى نفسه المرحوم لحبيبته أسماء حيث يكتب لها عدة رسائل غرامية بدون جدوى، يصف حالة عشقه وهواجسه وما يصادفه في حياته اليومية ومعاناته ومعضلاته من قهر المجتمع وغيرها. أمير تاج السر كتب هذه الرواية موازية لتلك الرسائل.

أحداث الرواية تدور بين عامي ١٩٧٨م و١٩٧٩م وهي مبنية على وقائع حقيقية، قد ذكر أمير تاج السر في مقدمة الرواية "أنه عثر ذات يوم على حزمة من الرسائل مكتوبة بحبر أخضر أنيق، ومعنونة برسائل المرحوم إلى أسماء"[٢٦]. تصور الرواية حالة البائس أعني بطل الرواية وحظه التعس حيث تسير قصتها عبر محب أي المرحوم يأتي إليه الحب على كبر، المرحوم ليس اسمه الحقيقي كما يقول نفسه عن التسمية به "وليس هذا إسمي بالطبع، ولكنه الاسم الذي اقترحته المحنة حين اقتربت من النهاية، وارتديته عن قناعة"[٢٧]، هو في الأربعين من عمره ومدرس الكيمياء في المدرسة ولم يدخل الحب قلبه أي قبل تلك ليلة زفاف أحد أقاربه ويرى أسماء صدفة للمرة الأولى والأخيرة ولم يستطع أن ينسى تلك النظرة المصادفة حيث تنقلب حياة هذا العاشق الولهان تماما وبدأ يكتب رسائل مضمخة بلوعة الحب اليتيم ويسميها الكاتب ٣٦٦ إشارة إلى أيام السنة الكاملة قضاها في نار عشقه الموقدة. وعلى الرغم كله كان الحب عذريا خالصا حتى

---

[٢٤]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ٧

[٢٥]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ٩

[٢٦]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ٦

[٢٧]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ٩

أنه لم ير حبيبته إلا مرة، ولا يعرف منها إلا اسمها إلا أن ذلك الحب قد قلب عليه كيانه وشتت أركانه، كانت هذه المحاولات كلها لأجلها حتى يتحول مرحومنا من معلم كيمياء لرهين للعشق العمي وينتظر سرابه بين كل الأماكن المتوقعة لاصطياد معشوقته من حي المساكن وحي البستان ومن الأحياء المتباينة كما يقول القدماء العشق له رنة كرنة الخلخال ولم يجدها ثم يصل بالعاشق حد التخلي عن عمله في المدرسة وينهي تدريس الكيمياء للتفرغ النهائي للبحث عن محبوبته فكثرت معاناته ومأساته حيث لم تجد الفرصة المتوقعة للعثور عليها مرة ثانية. فطفق يخاطب أسماء ويحدثها بتجربته المؤلمة ومشاعره وطموحاته تجاهها ويروي كل تفاصيل حياته ويتأسف بحظه اليائس. ولكن لن يشكو إليها ويتهكم من مساوي بيئته بشكل مباشر.

خلال رحلة بحثها في الأحياء المتنوعة والأماكن المتعددة تعترض حياة المرحوم أحداث كثيرة ووقائع عديدة مع جيرانه البسطاء ويعرض التحولات الاجتماعية والظروف السياسية التي يعيش فيها والصراعات النفسية والقلقات الجسدية التي يعاني منها أبطال الرواية. ومما يدهشنا أن المرحوم يقوم باستقالة مهنته من مدرسته التي كان يعمل بها مدرسا للكيمياء، وبعد ذلك بحسن حظه يحصل على فرصة لاحقة لتدريس ابن الوزير من الطبقة الثرية في الحي الذي يعتقد أن أسماء تسكن فيه. ولكن بعد فترة قصيرة يسمع أن أحد الأثرياء سيعقد قرانه على فتاة من الطبقة الراقية تدعى أسماء حيث تتم دعوته لذلك الزفاف ولكنه يقرر أن يفتك نفسه وينهي حياته قبل أن يشاهد العروس لأنه لا يقدر أن يتحمل حزنه إن كان العروس حبيبته أسماء نفسها التي أغرم بها منذ عام حيث يتخذ المرحوم قرارا بأن يحرق أوراق ذاكرته العائلية ويدفع إلى فمه ستين قرصا من المادة المنومة وأتبعها بقليل من الماء ثم تضيف تحت الدفتر بأصابعه الجثة الهامدة توقيعه: المرحوم. هكذا تنتهي القصة بنهاية يائسة لشخص يائس هو "المرحوم".

المبحث الثاني: لمسات الحب في "٣٦٦"

نلتقي في هذا الصدد برواية "٣٦٦" للروائي الكاتب أمير تاج السر، التي يقوم نظامها على صيغة الرسالة حيث يكتب بطل الرواية "المرحوم" الرسائل بشكل يومي من أيام السنة الكبيسة إلى معشوقته الغائبة أسماء بعد رؤيتها في إحدى حفلات الزفاف فتعلق في قلبه وعقله ثم يبحث عنها. يسرد السارد في الرسالة أو

الرواية تاريخ عشقه لها ويوثق زمن بحثه عنها ويدون الأمكنة التي سافر فيها بحثا عن مسكنها ويستحضر مختلف الحالات التي مر منها حتى يبحث عنها في الأحاديث والصور والأمكنة والأخبار. تعتمد الكتابة السردية في الرواية على صيغة الرسالة التي تحولت بقوة حضورها إلى تقنية في الكتابة الروائية، وانعكست على هيمنة ضميري المتكلم المفرد أي السارد المرسل المرحوم والمخاطب أي المعشوقة المرسل إليها أسماء كما استعانت تقنيتها بصيغتي المذكرات واليوميات التين تظهران في توثيق اليوم حيث تنتهي القصة بقوله "اليوم، هو الذكرى الأولى والأخيرة، تعلقي بك"[٢٨].

وأما الحب هو أرجوحة الحياة والأوكسجين الداعم لحياة متجددة وتنفس مستمر حتى كتابتنا عنه بلا حب فتصير حروفها قاسية جامدة وكلماتها يابسة لا إحساس فيها. الحب وحكاياته اللانهائية مادة أساسية في الفنون جميعا لكنه في الآداب يأخذ شكلا مختلفا مغايرا وأساسيا في الوقت ذاته. "الحب يهب السعادة وتارة يهب التعاسة... وتارة يكون الحب لعنة تتبع صاحبها... وتارة يكون جنة يغمر صاحبها بسعادة أزلية... وتارة يمتزج هذا بذاك ومزيج البياض والسواد"[٢٩]. كانت الرواية"٣٦٦" تحتوي جرعة عالية من الحزن، معبرة عن الحب الخالص لعاشقة المرحوم "أسماء" حيث تصلح رسائله الغرامية إليها للجميع مهما اختلفت أسمائهن وأوطانهن. نشاهد فيها حالة العاشق الذي يغيب عقله تماما بسبب غرامه إياها وتتحول حياته العادية إلى الحياة الرومانسية حتى أنها مهنته المدرسية لأجلها بدون جدوى لأن النفس طوعت له أن يفعل كذا وكذا.

وإذا لاحظنا عن مستويات العاشقين ومراتب عشقهم فنصل إلى أن عشق رجل بمرحلة الشباب الثاني يختلف عن عشق رجل بالشباب الأول وعشق طرف واحد يتغير عن عشق من طرفين وعشق رجل لفتاة لا يعرفها سوى اسمها الذي التقطه ممن تنادي عليها بالعرس ولا تعرفه، تختلف عن عشق رجل لامرأة يعرفها وتعرفه. مهما كان الأمر يكون المحب دائما غارقا في الخيال والوحدة وله المشاعر السامية والجرعة العالية في

---

[٢٨] د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ٢٠٤

[٢٩] النسخة الإلكترونية من صحيفة الرياض اليومية، العدد:١٦١٣٨، ٣٠ أغسطس، ٢٠١٢م

العواطف وليس الحب لا يعني به صاحبه الأشواق الجسدية المحضة فقط ولكنه متسم بالإحساس الرقيق الممتزج بالحزن والقلق النفسي بل الحب هو مصدر الحزن والألم.

الحب وحده.

هو مرح الحياة الباردة

إنه وحده الذي يهدينا لحظة الفرح القصيرة.

بينما الأحزان، لا نهاية لحدودها.[٣٠]

وكان المرحوم مغرما بعشق أسماء حيث قال "نعم أحس الآن بأنني قبيلة عشاق موءودة، وأدتها معشوقة، دخلتني من دون إذن ولم تخرج، لأنني من أوصد باب الخروج، وألقى بمفاتيحه حيث لن يعثر عليها أحد"[٣١]. يقول المرحوم لم يختر الحب والعشق بل اختاره "فقد اختارني عشقك الذي لم أختره حقيقة. هو الذي اختارني، جرجرني من حبال القلب، ومرغني في الوحل، وحولني بين ليلة وضحاها إلى متسول غريب الأطوار"[٣٢]. ولكنه جن بعشقه معها حيث يتحمل المشكلات والمصائب في طريق يتجه إلى غرامه معها ويعبر عما في ذهنه مخاطبا إياها" أتعذب في صمت، لدرجة أنني أحببت العذاب بشدة، سميته عطر أسماء، صنعت منه نكهات متعددة، رششتها في قلبي، وأصبح على مر الأيام، عطرا مفضلا، بديعا، شمته الدنيا كلها، إلا أنت"[٣٣].

ومما يدل على حبه الشديد معها قوله وسؤاله في بداية الأمر عن الحواس" البصر، كيف يبصر وجها آخر غير وجهك يا أسماء؟، الشم كيف يشم عطرا آخر غير عطرك؟، اللمس، كيف يوظف في مفردات ليس لك توقيع فيها؟، السمع، كيف يعود شعبيا، محتفيا بخرافات فاروق وغيره من سكان حي المساكن المعاصرين؟، أو صارما يستقبل أسئلة الأغبياء في الدرس؟، التذوق، كيف يحب أشياءه الأولى التي نشأ

---

[٣٠]د. تاج السر الحسن، بين الأدب والسياسة، ص: ١٤٤

[٣١]د. أمير تاج السر، رواية٣٦٦، ص: ١٢

[٣٢]د. أمير تاج السر، رواية٣٦٦، ص: ١٢

[٣٣]د. أمير تاج السر، رواية٣٦٦، ص: ١٤

عليها، بلا تكبر ولا طموح؟[٣٤] وهو ينتظر منصب عاشق خالص حيث يفضله من منصب التعليم ويخسر وظيفته المدرسية طائعا ليطارد سراب أسماء بكل إخلاص حتى الصفحة الأخيرة من الرواية حيث يقول" أنا أيضا أود أن أتقلد منصبا ما، منصبا أهم من كوني معلما في مدرسة متوسطة أو حتى مديرا للمدرسة، أو رئيس الإدارة التعليمية في المدينة كلها، إنه منصب لا أريد أن يشاركني فيه أحد: منصب عاشق أسماء[٣٥].وصار في حالة مجنونة حيث لا يحب أن يقوم بدروس خاصة لأي واحد من تلاميذه في مادة الكيمياء بل يتوقع واحدا يلتمس منه درس العشق والمحبة حيث أعلن ما عنده من الآراء في الموضوع "لم أكن بالطبع مؤهلا في تلك الفترة لإعطاء درس، إلا إن كان طلبا لدرس عشق أو درس عذاب، أو درس أرق طويل، لا ينتهي حتى بعد أن يرحل الليل....وخفت أن أموت قبل أن أعيش العشق بشكل متكامل، كما أعرف من قصص أسلافي العاشقين"[٣٦].هو يقول مخاطبا لحبيبته أسماء عن وظيفته الجديدة وراتبه المعني حيث قال" أنا الآن موظف عندك، راتبي المعنوي كعاشق معذب"[٣٧].

استخرج المرحوم حياته الكاملة لأسماء حتى صار مجنونا بحبها حيث يخاطبها "قد أصبحت عاشقا مجنونا لحي البستان، الذي هو حيك، وصديقا له حتى يومي المعنوي الأخير. سأفاجئك كثيرا، وللأسف لن تصلك مفاجآتي، لأنك كما أخبرتك سابقا، لا تعرفين أصلا، أنك ردمت معلما منضبطا بمقرر جبار في مادة العشق، وصيرته ممتحنا أزليا في اختبارات ما ظن أبدا، أنه سيخوضها في يوم من الأيام[٣٨]. ولا يستطيع أن ينام أيضا في لياله المظلمة لئلا تفوت منه المتعة الحقة حيث قال" لم أكن أود النوم، لأن النوم قد يفسد متعة تخيلك في واحد من بيوت حي البستان"[٣٩]. كان يرجو أن يرى صورتها حيث فتش صورتها في ألبوم الصور التي التقطت في عرس قريبه عبد القادر ولكنه فشل في أن يعثر على صورتها فيه كما يعبر عن

---

[٣٤]د. أمير تاج السر، رواية٣٦٦، ص: ٢٦

[٣٥]د. أمير تاج السر، رواية٣٦٦، ص: ٥٢

[٣٦]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ١١٤

[٣٧]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ١٢٧

[٣٨]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ٧٧

[٣٩]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ٧٨

محاولتك الدائمة "واكتشفت خلوه من أي صورة لك، ومزقت صورتين اللتين عثرت عليهما، بحقد وألقيتهما في الطريق"[٤٠].

وعنده آراء عديدة وأفكار متعددة عن العشق والعاشق ومراتبه حتى يقول عن ضرورات مرحلة العشق وما يعاني من المعضلات والتحديات التي واجهها في سبيل بحث أسماء حيث يخرج ما عنده من البضائع" من ضرورات مرحلة العشق التي أعيشها في تلك الأيام، وأردت بأنانية مفرطة، أن أبقي العشق بداخلي، لي وحدي، وكوني صرحت باسمك أمام مدير المدرسة، صاحب اليد المنشغلة، وأنا أنتظر توقيعه على اسقالي، فلن يحدث شيء على الإطلاق، ولن يعرف أحد أنني كنت أصرح باسم كوكب مضيء، سيعتبر الأمر جنونا، بلا أي تفسير آخر"[٤١]، كما أنه يعبر آراءه عن العاشق وعشقه مخاطبا إياها "لقد فكرت كثيرا في مسألة عشقك المتشعبة بصورة مؤسفة يا أسماء، فكرت أن العشاق ليسوا أنماطا رزيلة، متعطلة عن العمل، كما يتصور الناس العاديون، هم موظفون في جهة ما، الجهة التي لن تمنحهم مرتبات شهرية بالطبع، ولكن قد تمنحهم رتبا في الشعور لا يحلم بها الجنرلات العسكريون أنفسهم"[٤٢]. ومما يبدو بالبداهة أن "العشاق لا يحبون أن يسمعوا سوى أخبار العشق" حيث وقع المرحوم في حبها وكل في حيه يعرفون حبه وهو يظهر عما عرف مجتمعه عن غرامه الشديد "عرفت أن معظم سكان حي المساكن، والأحياء المجاورة، يعرفون سقوط معلم رصين في الحب"[٤٣]، ومع هذا يواجه المرحوم كثيرا من اللؤم والاستخفاف لأنه لم يتزوج حيث يقول عنه "أنا أكثر الناس لؤما فيما يختص بالمرأة، بدليل أنني لم أتزوج حتى الآن"[٤٤].

المرحوم كان في حالة العاشق الذي وصل إلى الموت المعنوي عندما سمع عن أسماء سيتزوجها والي وتروح معه إلى كينيا حيث يقول المرحوم عما في ذهنه في هذه الحالة المحزنة " تلك كانت حالة العشق الأخيرة التي قرأت عنها كثيرا، أن يصل العاشق إلى مرحلة الموت المعنوي، أن ينتهي ككائن حي، ويعيش ما يتبقى من

---

[٤٠]د. أمير تاج السر، رواية٣٦٦، ص: ٦٦

[٤١]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ١٣٦

[٤٢]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ٨٤

[٤٣]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ١٤٨

[٤٤]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ١٤٩

عمره ميتا"[٤٥] وحاول أن يترك عمله في بيت الوزير حيث أخبره بصوت الجثة المعنوية" إنني أعتذر عن العمل في بيته، وأتمنى أن يعفيني ويبحث عن بديل"[٤٦] ولكن لم يبد الوزير متحمسا أن يغادر بيته حيث يصر على الاستمرار في الاستيضاح ولم يكن للجثة مبرر.

وصار حزينا جدا لا يستطيع أن ينهض من حالته المؤلمة يصور الكاتب حالته المؤسفة "على صعيد الكآبة والموت، والجثة التي ترتديني وأشم رائحة تحلل أعضاء الشعور فيها، جنبا إلى جنب مع روح العشق التى تقاوم لتظل حية، كان الأمر مختلفا، توقفت عن الأكل والشرب إلا بالقدر الذي يبقيني ضائعا"[٤٧] ثم تتجه أفكاره إلى استخدام السم والحبل المدلى والنار وأسلاك الكهرباء العارية وغيرها من الدواعي إلى الموت حيث قال الكاتب عن المرحوم" فكرت في السم، وفي الحبل المدلى من سقف الغرفة، وفي النار التي تأكل الأخضر واليابس، وأسلاك الكهرباء العارية"[٤٨] ثم اشترى حبلا مجدولا بعدة طبقات، من متخصص في نسج الأسرة، وستين حبة من عقار" الديازبام" الذي يعرف تركيبه الكيميائي جيدا حيث قد أنهي حياة عشاق كثيرين.

وهو لا يزال يقضي أيامه المتبقية في الموت المعنوي حيث يزور مقبرة المدينة الواقعة في طرف بعيد، وفيها يرقد أبوه وترقد أمه ويذهب إلى سينما الشعب ولم يذهب إليها منذ سنوات طويلة. إذا قلنا عن حاله باختصار شديد أصبح بهذا الموت المعنوي، واحدا من أخلص أصدقاء الموت الفيزيائي في الدنيا. وهو يقول أخيرا "أنا لي موضتي الخاصة جدا، وهي أن أقص جناح الحياة، بقدر ما أستطيع، وأذهب عاشقا لن تصل رسالته إلى من عشق في يوم من الأيام ٣٦٦. وكان يردد دائما "أجمل رقصة في الدنيا على الإطلاق، تلك التى تؤديها الدجاجة حين تذبح"[٤٩]. أخيرا يموت المرحوم حيث يبين الكاتب حالته الأخيرة "وحين اقترب المساء، وبدأت رائحة الموت، تستقطف جثتي بضراوة، كان القرار قد اتخذ. وبيد ثابتة إلى أقصى حد،

---

[٤٥]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ١٩٦

[٤٦]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ١٩٨

[٤٧]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ١٩٩

[٤٨]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ١٩٩

[٤٩]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ٢٠١،٢٠٢

أفرغت الستين قرصا من المادة المنومة في حلقي، وابتلعتها بقليل من الماء، فتحت الدفتر، أضفت بأصابع الجثة الهامدة توقيعي: المرحوم.

في الجملة، كانت الرواية مملوءة بالتصرفات المصاحبة للحب من ألفها إلى يائها حيث يطارد السراب المرحوم الذي وقع في غرام فتاة من النظرة الأولى ولم يخاتل الحب قلبه قبل تلك الليلة التي التقطها كما أنه ترك ماله وأهمل كل شيئ للركض ورائها. ولكن الحب جعله جثة تسير على قدمين.

المبحث الثالث: ميزات الرواية "٣٦٦"

"٣٦٦" رواية غنية بأسلوبها المترابط واللغة السهلة الجميلة رغم كثرة الشخصيات والأحداث، ومما يميزها عن غيرها هو طبيعتها في نمو السرد الذي لا يعتمد على سير الأحداث ونضجها وتحولها بل على نمو حالة العشق ومسار البحث عن المعشوقة فجعلت اللغة ذاتية تشخص الحالة أكثر من الحدث وتأتي مشبعة بإيقاع الحالة أكثر من إيقاع الأحداث. اللغة تأتي بأربعة مستويات في مساق الكتابة: الحقيقة، المجاز، الصحة، والإبداع وليس شرطا للكاتب أن يغرق في المجاز ليبرهن تفوقه الأدبي وإبداعه الكتابي حتى ألزمتنا بالكتابة على مستوى الحقيقة أولا والسرد يندرج تحت مستوى الحقيقة والصحة حيث اللغة البسيطة والوضوح.

وامتلأت الرواية بالشخصيات أكثر من أربعين شخصية غير أن حضورها وبدورها خضع للسارد المرسل حيث يعتبر أسماء معشوقته كشخصية روائية لا تحضر فعلا وملفوظا ولكن إنما حالة ينمو بها السرد ويتحقق. ويمكننا أن نعد شخصيات الرواية مجرد وسائط وصول السارد إلى حلمه أسماء، تلك الشخصيات الرهيبة التي يصنعها أمير تاج السر تستطيع فعلا أن تعبر عن الشعب السوداني بشكل أنيق هادئ بينما يختبئ النقد السياسي والتاريخي والاجتماعي والثقافي. وأما تقنية الرسالة تتم بين المرسل أي المرحوم وبين المرسل إليه أي الذات الأخرى، أسماء التي لا تدرك من الأمر شيئا ولا تحضر إلا باعتبارها حالة وفكرة ورغبة لدى المرسل. ومما يجدر الإشارة هنا إلى دور ضمير المتكلم يتحقق بشكل كبير وتظهر علاماته ومظاهره بشكل ملموس وتهيمن حياته بكل تفاصيلها في الرسالة وتصوراته وطموحاته أكثر من ضمير المخاطب مما يحول

الرسالة إلى حوار ذاتي أو مونولوج داخلي لكن بمستوى فني مختلف عن الصيغ المتعارف عليها في تقنية الحوار الداخلي في حين يبقي ضمير المخاطب حاضرا من أجل خلق التوازن الممكن في الرسالة.

واستطاع الكاتب بأسلوبه السردي الجميل وإبداعه في رسم الشخصيات الثانوية حيث يجعلنا نتبعها في هذه الرحلة المتعبة ثم تختفي الأحداث مع توالي الفصول ولا يبقى سوى من خيالات العاشق المجنون "المرحوم" وتذكاره الأليمة عن معشوقته الافتراضية "أسماء". بالرغم من أن انتهاءها نهاية مأساوية لكنها منطقية ومتوقعة من مثل شخصية هذا العاشق الوحيد الحالم اليائس. ولا يخفي على أحد ما فيه من تجريد فهو يساوي الحياة مع الموت ويمكن أن نصل لهذه النتيجة نفسها مع أمير تاج السر في هذه الرواية التي تبدأ وتنتهي برسالة من شخص اسمه المرحوم والتي تختار لنفسها مجالا تحده مرايا متعاكسة لأن موضوع الفصل الأول هو اليأس واختيار الموت عن طريق الانتحار، يعني بتدخل مباشر يلغي الدورة الطبيعية للنفس، وموضوع الفصل الأخير هو الكلام عن عشق يبلغ درجة التبتل ولا يوجد حل له غير الموت. ولذلك إن ما يهمنا هنا هو المرسل وليس المرسل إليه وبالأخص أن المرحوم موجود ولدينا دليل إثبات أنه من بقايا من الجيل اللامنتمي، وأنه يوزع حياته بالتساوي على شرطه الإنساني ثم على تصوراته وعالمه النفسي. صارت "٣٦٦" رواية مشوقة رغم نهايتها الباعثة على الأسى والكآبة.

الفصل الثالث

تصوير المجتمع في روايتي أمير تاج السر "صائد اليرقات" و "٣٦٦"

أمير تاج السر، ليس له خيبة الأمل أبدا لأن ملامحه الكتابية استطاعت أن تستوعب آماله وأحلامه وطموحاته كلها إلى حد كبير عبر الرواية والشعر والسيرة الذاتية ولكنني أفضل أن أعرفه كروائي يقتنص أن تكون كتاباته موازية للواقع وقريبة منه كما أنه يحاول أن تكون شخصياته الروائية وملامحها من الواقع المحسوس. أما صائد اليرقات أهم أعماله الروائية على الإطلاق بما أنها تمكنت من الوصول للقائمة القصيرة في مسابقة الجائزة العالمية للرواية العربية سنة ٢٠١١م حيث يعرض علينا حكاية رجل أمن متقاعد يرغب أن يصبح روائيا على الرغم من سذاجة رغبته وبساطة أدواته وضعف ثقافته. الكاتب يقدم نموذجا من نماذج الرواية الأمنية التي تكشف عن أسباب تخلف المجتمع الإفريقي وتطالب بالتغيير كما أنه يركز على دور الغرب في اغتيال العقل والثقافة الإفريقية في معاناة لا تنتهي وسط عالم فاسد ويبحث في الإرث الذي خلفه الاستعمار الأوروبي في أرجاء اللؤلؤة السمراء منذ القرن السادس عشر بعد نهب ثروتها الغنية واستعباد سكانها وينقد الكتاب الموهومين بعد انتشار شبكة الإنترنت أدت إلى ظهور كتابات موهومة والكل يتوهم شاعريته وأنه يكتب شيئا ذا جدوى[٥٠].

أما رواية "٣٦٦" فتظهر مظاهر الاختلاف في هيمنة الوصف الذي يحيل بشكل كبير على حركية المرسل أي المرحوم بطلها، وانتقالاته المستمرة بين الأمكنة بحثا عن الذات المرسل إليها أي أسماء، المعشوقة الخيالية لبطلها. الكتابة الروائية في "٣٦٦" تجعل عنصرا سرديا بنائيا من الوصف حيث السارد يعتمد في السير نحو معشوقته بحثا عنها على وصف أمكنة العبور إليها. أمير تاج السر يتبنى في هذه الرواية وصف الأمكنة والأزمنة والأمزجة والتقاليد والأعراف من خلال السلوك الاجتماعي حتى نلتقي في هذا المستوى بما يسمى بـ "اجتماعية المكان" كما أننا نلتقي بالتدقيق أوصافا جميلة في تشخيص السارد الغارم بأسماء والذي يبحث عن حبيبته في الأمكنة العديدة وفي علاقات الناس مع بعضهم وفي الأحياء والبيوت وفي الذهنيات

---

[٥٠] تم استيرادها من "الوحدة"، يومية سياسية تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، العدد: ٨٠٩٠، ٢٨ أغسطس، ٢٠١٣م

الاجتماعية والتصورات السياسية والمعتقدات الدينية. تبدو وتحدث علاقات اصطدام بين الأمكنة والفئات الاجتماعية والخطابات السياسية من خلال عملية انتقال السارد بحثا عن معشوقته من فضائه أي حيه الاجتماعي الفقير إلى ساحة الحي الراقي الذي من المفترض أنه محل إقامة أسماء حيث تتخلل منطق السخرية مشاهد الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية المسرودة حتى يصبح هذا المنطق لغة تقرأ بها الرواية هذه المشاهد المختلطة بالمجتمع. ومما يميز هذه الرواية عن الأخرى مستواها الفني في الترميز الذي ساهم في تحويل حكاية رسالة العشق وفكرة البحث عن المعشوقة إلى وسيط لحكاية رسائل أخرى عن التفاوت الطبقي الاجتماعي والتسلط الطبقي والفساد السياسي وتناقض الخطاب الديني مما جعل من رواية ٣٦٦ محكيا ذاتيا بتناغم روائي. في الجملة الرواية حكي الذات للذات من خلال حالة العشق عبر وسيط الآخر أي المرأة. أما قدرتها التعبيرية الروائية على احتواء الأشكال التعبيرية والتصرف فيها يجعل من الرواية معرفة أدبية تجدد حياتها الأسلوبية والبنائية من مرافقة التحولات الاجتماعية.

المبحث الأول: مفهوم المجتمع

عرفت الرواية بالشكل المتسامح مع باقي الأشكال لكونها تسمح باحتواء مختلف الخطابات والتعبيرات مع أنها ظلت من أكثر الأجناس الأدبية قدرة على تشخيص التحولات الاجتماعية والمفاهيمية بفعل حريتها في استثمار الخطابات والأساليب وأشكال التبليغ الرمزي.

نلتقي في هذا الصدد، المجتمع هو المجتمع السوداني بشكل خاص والمجتمعات العربية بشكل عام لأن أمير تاج السر لم يكتب الروايات إلا أن موضوعاته المتداولة فيها منوطة بمجتمعه السوداني حيث تشرف بالتجربة الواسعة التي اكتسبها وتمرن عليها من مهنته الطبية منذ خمسة وعشرين عاما. والمهم هنا أنه حدد مرة موقفه عن السودان ومجتمعه "السودان حاضر في كل أعمالي فلم أكتب عن مكان آخر، ذلك نابع من خبرتي بذلك المكان، سواء من ناحية الجغرافيا أو التاريخ أو المجتمع...فهناك وقائع لا يمكن أن تحدث إلا في السودان ودروب لا يمكن أن تطرق إلا فيه[٥١]. في ضوء ما سبق من موقفه ندرك أن الشخصيات في رواياته كانت شخصية سودانية أو شخصيات غريبة سكنت السودان واكتست ملامحه مثل شخصية عثمان

[٥١] أنظر موقع سودارس www.sudarees.com/alahram/30556

الإنجليزي في روايته "أرض السودان: الحلو والمر" والشخصيات التركية والكردية والهندية وغيرها في رواية "توترات القبطي"، أيضا المهاجر عباد عبد الرب اليمني الذي أسس مدرسة لتعليم الصبيان في رواية مهر الصياح.

كيف يتجاهل الروائي السوداني أمير تاج السر مجتمعه السوداني الذي تنبثق منه رواياته كلها؟ كلا، لا يكون أبدا لأن من عوامل الرواية وبواعثها التحدث والتكلم عن المجتمع وما يتعلق به من القضايا والتحديات والأزمات حيث تتناولها وتحاول أن تحللها كما حدد طاهر الزهراني[٥٢] هذا الجانب الأساسي بشكل وجيز "الأدب حالة إنسانية، تتحدث عن قضايا الإنسان الكبرى، عن قلقه وحبه، واحتجاجه، وأسئلته التي لا تنتهي، والإنسان كائن يسعى للألفة، وهذه لا تكون إلا من خلال التماس المباشر مع المجتمع، والرواية لا تعزل هذا الشيء أبدا إذ أن الرواية هي ابنة المدينة"[٥٣]. ومن شؤون الرواية ومهام الروائي النابض أن يسير وينطلق مع الذات والمجتمع في آن واحد حيث يتعرض للحديث عنه ومشكلاته عرضا وتشريحا. ومن المعلوم أن الروايات لا تكتب محضة خاوية من الأفكار والمشاعر بل من أجل تكريس فكرة ما اجتماعية كانت دينية أو غيرها كما أن الشخصيات تكون من صميم المجتمع وعمقه في أغلب الأحيان.

لقد وضع أمير تاج السر أمامنا على هذه المنصة شخصيات فنية ولكن لها رصيد محسوس في الواقع كما أنها تستكمل نواقص الواقع من خلال المبالغة. وفي الروايتين اللتين اخترتهما للتحليل والتدقيق في هذا البحث، تعبير عن الوظيفة الراكدة والجيران المزعجين والمضطربين والمتطرفين والقتلة ومحدثي النعمة وغيرهم من الأنماط التي يعج بها المجتمع.

المبحث الثاني: المجتمع السوداني: ملامحه وصوره

د. أمير تاج السر، روائي سوداني، من الروائيين المرموقين الذين تطرقوا إلى القضايا الاجتماعية والسياسية والفكرية حيث صار مسلحا بموهبته الكبيرة على السرديات الروائية وبإلمامه التام بتيارات الثقافة السودانية.

---

[٥٢] هو طاهر أحمد الزهراني، روائي سعودي، ولد في مدينة جدة عام ١٩٧٨م، خريج من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة. له روايات منها" إيفه(٢٠٠٤م)، الصراع الدامي(٢٠٠٥م)، جانجي(٢٠٠٧م)

[٥٣] النسخة الإلكترونية من صحيفة الرياض اليومية، العدد:١٦٦٦٥، ٨ فبراير، ٢٠١٤م

موضوعات رواياته تدور حول قضايا ومشكلات المجتمع السوداني المعاصر في الريف أو في المدينة ومن خلال اختلاطه بالمرضى في مختلف الأماكن ومن خلال عمله في عدة مستشفيات حتى يعرف مشكلات الجسد ومشكلات الحياة وتعقيداتها حيث هذه الأشياء لا تزال تنطلق لعدة موضوعات في رواياته.

تسعى هذه الدراسة إلى رصد التغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والدينية والأخلاقية وغيرها في روايتي أمير تاج السر "صائد اليرقات" و"٣٦٦". أمير تاج السر من الروائيين الذين انشغلوا بتصوير المجتمع بصفة واضحة وشكل دقيق كما أننا نجد هذا التصوير الضروري في روايتيه السابقتين حيث يعالج القضايا الاجتماعية الراهنة والسياسية المعاصرة وغيرها من المشاكل العديدة سأبحثها فيما بعد بشكل مفصل إن شاء الله. عاديا، كتاب الرواية يعتمدون على تفاصيل الأحداث كبيرة كانت صغيرة في بنيتها السردية مع تسليط الضوء عليها بمنظور روائي فقط وليس من خلال رؤية المجتمع ولكن أمير تاج السر يشمر أن يخلط الواقع بخياله الواسع لإحداث الاهتزازات الاجتماعية تسود المجتمع من عالم الواقع إلى فضاء الخيال كما هو شأنه في أعماله الروائية. الرواية هي قادرة على استيعاب ما يتعلق بالمجتمع من زوايا مختلفة ثقافية، اقتصادية، سياسية، دينية، أخلاقية وغيرها كما تعد أنها "وسيلة لإعادة رسم الواقع بطريقتها الخاصة، إذ أن المبدع حين يتناول قضية اجتماعية فإنه يقوم بالتعبير عبر وسيط اللغة عن رؤيته هو تجاه مجتمعه"[٥٤] لأنه مستحق بترسيمه وتصويره من الآخرين حتى يصير ابن بيئته ومجتمعه.

الأحياء والقرى وصورتها الشاملة توجد في كتابات أمير تاج السر بكثافة لأنه يرصد ويراقب حال المجتمع القروي في منطقته حيث يمكننا القول بأن رواياته قد حظيت بمحاولات جادة لقراءة مجتمعها. رواياته بدت أكثر التصاقا بالواقع وبالوصف الشمولي على الظواهر الحياتية وبالتنقلات الاجتماعية والتحولات من الثقافة القروية إلى الثقافة المدنية لأنه جمع تجربتي الحياة القروية والمدنية كما أنه قد جمل حياته بمرحلتي الأدبية والطبية معا.

[٥٤] النسخة الإلكترونية من صحيفة الرياض اليومية، العدد:١٦٦٦٥، ٨ فبراير، ٢٠١٤م

الفصل الرابع

القضايا الاجتماعية والمجتمع السوداني

حياة حافلة بالإنتاج الروائي والأدبي والثقافي تميز بها د. أمير تاج السر ما بين الشعر والروايات والكتب الثقافية، رغم انتمائه إلى الأطباء المتخصصين إلا أنه شق طرقا مختلفة في تمثيل مجتمعه السوداني من دون الابتعاد والفرار عن مشكلات الواقع الاجتماعي والسياسي حتى جاء أغلب أعماله تنتمي إلى تيار الواقعية. من ناحية أخرى نجد فيها نغمة عالية من انتقاد ذلك الواقع وهي السمة التي تستمر وتتطور خلال رحلته الروائية كما أنها تحول إلى التفلسف والسخرية حيث كانت الرواية عنده هي كتابة عن المجتمع ومنه وفيه. تنتمي الدراسة التي أنا بصددها إلى تحليل الوظائف الاجتماعية للرواية العربية بشكل عام والرواية السودانية بشكل خاص، أما على الصعيد الأدبي فيمكننا أن نرصد الرواية ونعتبرها كأحد الأجناس الأدبية التي تصور الواقع الاجتماعي في مختلف مراحل تطوره وكل حالاته وتضع الفروع في مواجهة إشكالياته. فقد ارتبط الأدب السوداني بالتغيرات التي تطرأ على الواقع حيث يعبر المبدعون السودانيون من خلال أعمالهم الروائية عن واقع مجتمعاتهم بجلب الأحداث والتحولات الاجتماعية والسياسية والدينية وغيرها كما تعد الرواية ترمومترا يقيس ويزن حرارة المجتمع لأنها تتشرب بملامح التيارات الفكرية التي يعج بها المجتمع وتتكيف مع كل المواقف، وتتعقب الظروف التي تحيط بالناس، لذا فهي تعد أهم الوسائل التي يمكن من خلالها قراءة الأحوال الاجتماعية بجميع تفاصيلها وألوانها، كما أن النص الأدبي يعد امتدادا للواقع الذي يعيشه الأديب ويتأثر بطبيعة القضايا السياسية والاجتماعية التي تطرح وقت إنتاجه. والعلاقة بين الكاتب وعصره ظاهرة لا تخطئها النظرة السريعة فصور التاريخ كفيلة بأن تمدنا بعدد من الأمثلة التي تؤكد الرابطة الوثيقة بين تلك الآثار وروح العصر الذي كتبت فيه. فهناك عدة عناصر منها الخاص الذي يتعلق بحياة الأديب الشخصية ومنها العام الذي يمثل هموما عامة تمس قطاعات عريضة من البشر ويتفاعل معها الأديب سلبيا وإيجابيا وينتج هذا التفاعل القوي نصوصا أدبية مختلف النظريات والمنظورات. والعامل الأساسي الذي يميز عملا أدبيا دون غيره هو مدى تعبيره عن أحداث العصر الذي تم تأليفه فيه وبقدر مشاركة الأديب في تلك الأحداث والوقائع يتحدد عمق إنتاجه. فإنه من الصعب علينا أن ندرك الأدب وخاصة الرواية دون ربطها

بالقضايا التي فرضت نفسها على الواقع المعاش. فقد اصطفيت هنا روايتي أمير تاج السر وثيقا بالصورة والرموز والتخيل لحركة الحياة البشرية في المجتمع سياسية واجتماعية وثقافية لأن رواياته تعالج تغيرات المجتمع المختلفة أكثر من يكتفي بمجرد الرصد والتشخيص.

أما روايته "صائد اليرقات" فهو يسلط الضوء خلالها على الحياة الاجتماعية وإن لم يبرز فيها المشهد السوداني بوضوح وكذلك الجانب السياسي والأمني دون الدخول بكثير من التفاصيل والجانب الثقافي الذي يعاني ما يعانيه من ضعف وارتقاء لمن لا يستحق من باب مؤازرة الجمال، فأحداثها لا تكتسب خصوصية مكانية أو ثقافية مرتبطة بالمجتمع السوداني بل يمكن لها أن تدور في أي بلد عربي آخر. يحاول أمير تاج السر أن يلقي الضوء على مرحلة الانتقال من رتابة الوظيفة الحكومية إلى حرية الحياة المدنية عبر مراحل من حياة عبد الله حرفش، رجل الأمن المتقاعد الوطني. والجدير بالذكر هنا، أن الرواية عنده لا تجرج من دائرة المجتمع الشاسعة حيث قال عنها "هي كتابة عن المجتمع، لأن الكاتب لا يملك حقلا يربي فيه الشخصيات ثم يقوم بصياغة سردية تناسبها، الرواية من المجتمع وفيه"[٥٥].

أما رواية "٣٦٦" رصدت التغيرات الاجتماعية في الأسرة السودانية في العصور الجارية من خلال أسرة سودانية حيث أوضحت الرواية طبيعة العلاقة بين الزوج والزوجة في هذه الطبقة وتحريض العروس على عريسها على تغيير اسمه لأجل الزواج وغيرها من الأمور التافهة. أخرج أمير تاج السر ما عنده من البضاعة عن روايته "٣٦٦" حيث أضاف إليها "هي رواية عاطفية بالفعل، لكنها تشتمل على نواح أخرى لا علاقة لها بالعاطفة إلا في توليدها للألم. هي رواية متخيلة بالطبع، والواقعي فيها، هي عثوري مع عدد من زملائي الطلاب في المرحلة الثانوية بمدينة بورتسودان على حزمة من الرسائل مكتوبة بحبر أخضر، ومعنونة برسائل المرحوم إلى حبيبته أسماء، كان ذلك منذ وقت طويل، قرأنا تلك الرسائل وعشقنا أسماء، وتعاطفنا مع كاتبها كثيرا، وبعد ذلك ضاعت الرسائل، ثم فجأة تذكرتها منذ عدة شهور وكتبت ذلك في الفيس بوك لأفاجئ بضغط كبير من الأصدقاء يصرون على كتابتها رواية. في الحقيقة أنا لا أكتب تحت الضغط، ولا قسريا، ولكن عندما تأتيني فكرة أكتبها، وحين جاءت بداية ملائمة للكتابة، كتبتها، وأيضا بعد أن قرأت كثيرا

[٥٥]صحيفة العرب، العدد: ٩٨٥٥، ١٣ مارس، ٢٠١٥م، ص: ١٥

عن العشق"[٥٦]. هكذا قال في بداية هذه الرواية "تدور أحداث هذه الرواية، بين عامي ١٩٧٨و ١٩٧٩، وقد بنيت على وقائع حقيقية، حيث عثرت ذات يوم على حزمة من الرسائل مكتوبة بحبر أخضر أنيق، ومعنونة برسائل المرحوم إلى أسماء، وكانت مشحونة بشدة كما أذكر. ضاعت تلك الرسائل، لكن بقيت أصداؤها ترن في الذاكرة، ليأتي هذا النص"[٥٧].

ما هي التغيرات الاجتماعية التي عبرت عنها روايتاه خاصة؟

أمير تاج السر يكشف لنا عبر روايته "صائد اليرقات" حكاية مؤلمة مؤطرة ملصوقة بحياة السودانيين حيث يلفت انتباهنا إلى أن نتعرف على بطلها الرئيسي عبد الله حرفش، رجل أمن متقاعد من جهاز الأمن الوطني، وحياته الفقيرة في بيته الصغير المكون من غرفة واحدة كامدة، يقع في واحد من أحياء العاصمة متوسطة الحال حتى عبر البطل عن حالته المسكينة "كان البيت مكونا من غرفة واحدة مطلية باللون الرصاصي، وصالة ضيقة بلا لون، وحمام، وركن صغير أستخدمه مطبخا"[٥٨]. فهو من أحد المهمشين من ضحايا السلطة التي يتفاني في خدماتها، بالرغم من أن وضعه الزري بساقه الخشبية لا يستدر غير الشفقة إلى الحد الذي نفحه معه أحد المارة عشرة قروش حيث يبين ذاك السياق "أن أحد المارة توقف برهة أمامي ملقيا نظراته على ساقي الخشبية، ثم مادا يده إلى جيبه، ليخرج منه قطعة نقد معدنية من فئة العشرة قروش، حشرها في يدي وانصرف وهو يردد: دعواتك... دعواتك يا حاج"[٥٩]. هذا هو تصوير صحيح عن حياة الموظف الحكومي السوداني أصيب بمصيبة من مصائب الدنيا ونوائبها وكيف تتعامل معه الحكومة وكيف تتماس معه وتمد إليه أيدي المساعدة والمساندة عندما كانت الحاجة مست إليها فيمكننا أن نتصور حياة عوام الناس فتكون أخس منه وأذل.

ولا يزال أمير تاج السر يعرف لنا مزيدا من الشخصيات المهمشين في المجتمع السوداني كما أشار إلى بعض جيرانه المهمشين مثل جاره اللصيق المشجع(ع.د) وهو كبير مشجعي فريق اللبلاب لكرة القدم ويعمل

---

[٥٦]صحيفة القدس العربي، العدد: ٧٣٨٦، ١٩ مارس، ٢٠١٣م

[٥٧]د. أمير تاج السر، رواية٣٦٦، ص: ٦

[٥٨]د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ٢٤

[٥٩]د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ٣١

أيضا حفارا للقبور فهو رمز واضح للفقراء الذين يطاردهم الفقر والإملاق حيث لا يستطيعون أن يتجاوزوا عقبات الحياة اليومية وعتباتها ولا يقدرون على مواجهة أعبائها بعمل واحد، فيسارعون إلى أكثر من عمل لتوفيق حياتهم بضرورياتها فيمكننا أن نقول ان حال فقراء السودان كحال الكثير من البلاد العربية الفقيرة. وهناك شخصيات كثيرة على هذا المستوى الرزي كبطلة عمة (ث) وزوجها المدلك الرياضي أو الممثل المسرحي الفاشل الذي يطارد أدوارا لا تجيء، وزميل عبد الله حرفش (ص.ج) الذي أصيب بالشلل الرعاش وفقدان الذاكرة من جراء الحادث وقع بين مراقبته الرسمية وبعد هذه الحادثة فر الجميع من حوله ولم يجد من يمد يده حتى حين احتاج إلى نقل للدم بسبب الأنيميا بالرغم من أنه أفنى عمره وحياته في الخدمة الوطنية. مرة قال البطل عبد الله حرفش عن يأسه وحزنه عند التقاعد من العمل ويشير إلى تغير فجائي لأصدقائه القدماء " لكن زملائي أنفسهم للأسف ما عادوا زملاء ولا متوافرين من حولي، وما عادوا حتى يردون على هاتفي حين يظهر رقمه ملحا على شاشات هواتفهم المحمولة"[٦٠].

أمير تاج السر يهتم بتفكيك وإعادة تركيب التاريخ الاجتماعي والحضاري للسودان في أعماله الروائية حيث أنه يحاول أن يعيد نظره على بعض الجوانب الاجتماعية والثقافية ويقدم رؤيته النقدية تجاه العادات الغريبة كما ينقد عادات الزواج التي نرى صورها الفاخرة في مجتمعنا الحاضر ويعبر عن موقفه البسيط فيه بكل جراءة وشجاعة. ومما كرس نظره وفكره في الروايتين التحدث عن القلقات الأسروية وسعادات الحياة الزواجية وشقاوتها وتأثيرات الوسائل الاجتماعية في الحياة الفردية والجماعية ونبضات الحياة الريفية والمدنية حتى التسهيلات النقلية ومدارس المدينة وغيرها من الأمور العامة.

المبحث الأول: موقفه تجاه عادات الزواج

أمير تاج السر يمكننا أن نعده من مصلحي المجتمع، وعلى هذا الضوء، يتضح لنا من حواراته الروائية أنه كان ينقد المجتمع ويستخفه بكل السخرية ومن يقومون بجعل الزواج مثلا أكثر ضجيجا متهورين حيث يقنع موقفه تجاه نظرياتهم المدمرة مقدسات الزواج كما أنه من ضمن الاحتياجات النفسية أو الأولية للإنسان وضرورة الحياة لأنها غير محتملة بدون شخص آخر حيث قال د. عادل صادق تأييدا لما سبق

[٦٠] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ٣٥

"وليس الزواج شكلا اجتماعيا فحسب...ولكن على ما يبدو أنه ضرورة حياة ... بمعنى أن الحياة لا تستقيم أو لا تأخذ الشكل الطبيعي لها إلا عن طريق الزواج"[٦١]. هنا الكاتب عبر روايته "٣٦٦" يأتي الكلام الذي يمر بمراحل عديدة من تخاطب المرأة حتى الحياة الزوجية مع أفراحها وأتراحها.

وله تجربة كبيرة عن عادات الزواج في العالم، يأتي البيان هنا بالعادة الغريبة المتعلقة بالزواج التي كانت تجري وتسير في إحدى القبائل الأفريقية، هي كان طلب الزواج من الفتاة التي سيتزوجها الشخص برفع فستانها فجأة إلى ما فوق ركبتيها يقول الكاتب عن هذه العادة الفاحشة التي كانت سائدة في بعض القبائل الإفريقية "خاصة طلب الزواج من الفتاة برفع فستانها فجأة إلى ما فوق ركبتيها، الذي كان سائدا لدى إحدى القبائل الإفريقية"[٦٢]. وهو يشير عبر هذه العادة البالية إلى ما يجري وينطلق في أرض السودان، قبائلها غير المثقفة حتى في عصرنا المعاصر.

مع هذا، ينبه الكاتب القراء عن القضية الخطيرة تسير بمناسبة حفلة الزواج في مجتمعنا الحاضر مستدلا بما فعل به عبد القادر علي، بطل الرواية "٣٦٦" وواحد من أقارب المرحوم حيث أنه لا يوافق معه في الإسراف الذي قام به جاره ولكن لا بد من مشاركته في حفل زواجه لأنه كان من أقاربه اللصيقين. فأما موقف الروائي يمكننا أن نقرأ ونفهم مما قال عن هذه القضية الاجتماعية الحرجة "لم أكن أيضا من هواة حفلات الزفاف الصاخبة على الإطلاق، أعتبرها مناسبات حرفاء يمكن اختصارها إلى أدنى حد، وإقامتها داخل بيت صغير بلا ترف ولا ضجيج، بحضور من يعنيهم أمرها، من أهل العروسين وجيرانهم، لكن المجتمع ليس في صفي على الإطلاق، وكنت أذهب مضطرا لمشاركة من أعرفهم وكان عبد القادر من أقاربي اللصيقين، ومن ثم لا بد من مشاركته حتى النهاية"[٦٣].

ولم ينس الكاتب تصوير العادات العامة والتقاليد الشائعة باسم حفل الزفاف ويبين بكل صراحة حيث ندرك ومضات حفلات زواجية ذات الضجيج والترف بكل صراحة "كان المسرح معدا بطريقة إعداد مسارح الزفاف المعروفة في البلاد، ثمة ورد أحمر وأصفر وبنفسجي، متناثر في المكان، وأضواء ملونة بألوان

---

[٦١] د. عادل صادق، حب بلا زواج وزواج بلا حب، ص: ٤

[٦٢] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١٠

[٦٣] د. أمير تاج السر، رواية٣٦٦، ص: ١٥

قوس قزح، تحلق، وسجاد من القطيفة الحمراء، مفروش على الأرض، وكرسيان مكسوان بالمخمل الأحمر، موضوعان في ركن من أركان المسرح، يجلس عليها العروسان، ومئات المقاعد البلاستيكية، التي رصت في المواجهة، وقد ازدحمت بالناس والعطور والفرح، وصراخ الأطفال، وثمة فرقة موسيقية من شباب في عشرينات العمر، بملابس سوداء، وشعور طويلة، اسمها فرقة اللهب، تعزف على آلات متنوعة"[٦٤]. مع هذا كله عادة الزواج في حي المساكن، السودان متساوية في بعض أنواعه حيث يؤدي كل واحد من المشاركين فيه التهنئة الزواجية للعروسين كليهما وأشار إليها الكاتب "حتى أؤدي واجب التهنئة المعتاد، والتمنيات بحياة زوجية سعيدة"[٦٥]. ومما يلاحظ هنا، أن بجدة الأمر في شأن النكاح والاجتماع فيه هي الدعاء لعروسين والتهنئة لهما كما فهمنا من العبارات السابقة ولكن علينا أن نحاول ببسالة لطرد العادات المرتبكة ليصبح الزواج في شكل حسن بسيط جدا بدون جرجرة بين الثقافات الغربية والإسلامية.

أما بالنسبة إلى عادات الزواج التي هي أمور هامة، فهي تختلف من أسرة إلى أخرى وقرية إلى أخرى حيث كل الناس يختارون صالة جديدة ليقيم بداخلها عرس أبنائهم وبناتهم حيث يقع زواج والي، بطل الرواية" ٣٦٦" في صالة صفاء الراقية التي أقيم بداخلها عرس شمس العلا، بطل آخر يقول الكاتب عن تلك الصالة وتسهيلاتها المتوفرة "وكانت من الصالات الجديدة افتتحتها صفاء آدم، أول سيدة أعمال في المدينة وأصبحت متكئا لزفاف الفخامة"[٦٦].

فوفقا لما قاله أمير تاج السر عما يتعلق بالزواج من الإسرافات الزواجية فنشاهد فيه مظاهر النساء وتبرجاتهنّ "نساء الأعراس الجميلات، المتزينات، يوددن لو بقيت آلات التصوير عالقة بوجوههن، وثيابهن حتى نهاية الحفل[٦٧]. ومما لا بد من التوضيح أن المسافة البعيدة بين عمري العريس والعروس من الأمور المذهلة التي تورث بعض المعضلات والتجربات المريرة في حياتهم الزوجية حيث يتزوج بطل الرواية" ٣٦٦" فاروق الذي كان في الخامسة والخمسين من عمره بامرأة في نحو الثلاثين.

---

[٦٤]د. أمير تاج السر، رواية٣٦٦، ص: ١٦

[٦٥]د. أمير تاج السر، رواية٣٦٦، ص: ١٦

[٦٦]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ١٩٧

[٦٧]د. أمير تاج السر، رواية٣٦٦، ص: ٦٤

بالرغم أننا لا نحب ولا نرضى في اشتراك حفلات الزواج الصاخبة ولكن بعض الضروريات في الحياة سيؤدي إلى ما لسنا كنا فيه سابقين حيث اضطر المرحوم بطل الرواية أن يحضر حفل زواج صديقه شمس العلا من البداية إلى النهاية بدون تأمل العودة إلى البيت من الحفل حتى اضطر إلى أن يبيت أمام فندق حيث يصور تلك الحالة "أنني اضطررت إلى المبيت مفترشا أرضا صلبة، أمام فندق أوسوك، أحد فنادق المدينة الجيدة، والذي قضى فيه ما تبقى من ليلته، قبل أن يسافر صباحا إلى العاصمة، ومنها إلى أثينا حيث يقضي شهر عسله"[٦٨]. وفيه إشارة خفية إلى ما نشاهد في الطرق العامة عاديا ولكن لم يعتبر أحد على من يبيتون في ممر الطريق فحق علينا أن ننتبه إلى حمايتهم من حالتهم السقيمة إلى الصحية.

أخيرا، يلفت الكاتب انتباهنا إلى النزاعات الداخلية والتخاصمات الشخصية تدور داخل الأسرة الزوجية كما تزداد يوما فيوما في أيامنا هذه لعدة أسباب بسيطة حيث يشير إلى حياة عبد القادر مع زوجتها الكريمة سلمى حيث يفهم المرحوم بعض المجادلات التي تجري في بيته "هبطت الدرج في تثاقل وأسمع أصواتا حادة، تتردد ورائي، في بيت عبد القادر، العروس تعاتب عريسها على ذنب لم يقترفه، هذا أكيد، والعريس يذكرها بأنني من أهله. هذا أكيد أيضا. لقد سمعت كثيرا عن تلك النزاعات التي تحدث للمتزوجين، في بداية حياتهم الزوجية"[٦٩].

المبحث الثاني: المجتمع والوسائل الاجتماعية

أما الموقف الاجتماعي إلى معالجة الوسائل الاجتماعية ودورها المهم في حياة الناس في يومنا هذا فهو جدير بالذكر حتى نجد تأثيراتها البالغة بين الشبان وطائفة كبيرة من المجتمع تعيش تحت ضغطها الدائم. في روايته الجميلة صائد اليرقات يقول فيها عن الشباب والموظفين يعملون ويشتغلون بالوظائف المتنوعة في مراحل حياتهم المهنية حيث يتأثرون بالوسائل الاجتماعية ووسائطها حتى خلال مهماتهم الكسبية الرسمية ويركزون على الرسائل الواردة في هواتفهم المحمولة ويصور هذه الحالة الغريبة أمير تاج السر عبر شخصية زميل عبد الله حرفش عندما كانا في مهمة مراقبة حيث يبين عبد الله حرفش "كان زميلي(ع.ب) مشغولا

[٦٨]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ١٨٥

[٦٩]د. أمير تاج السر، رواية٣٦٦، ص: ٦٨

بالعبث في هاتفه المحمول وتصفح الرسائل، والضحك للمرة العاشرة على نكتة جاءته في رسالة"[٧٠]. هذه الحالة الرديئة موجودة في حياتنا اليومية أيضا في كل ما نتوجه إليه.

ومع هذا التأثير الكبير نجد جملة من الناس يغلقون هواتفهم المحمولة إن هم مشغولون بالأعمال الرسمية أو المهمة حيث يقول فرفار عن عادته "سمعت هاتفي المحمول يرن وكنت قد نسيت إغلاقه. وفي العادة أغلقه حين أكتب"[٧١]. في الاختصار عالج أمير تاج السر مشكلة شائعة بين الإدارات الحكومية والشخصية وغيرهما باستعمال عمالها جوالاتهم الشخصية حتى تقل نتائجهم العملية ولكن ما يدع الكاتب هذه المعضلة في سبيلها بل سعى سعيا مشكورا أن يعرض الحل النموذجي بحيث عبر عن عاداته عند الكتابة. هذا ما نتوقع من الأدب والأديب يعني معالجة المشكلات مع حلولها.

المبحث الثالث: فنادق المدينة وثقافة مجتمعها

كانت هاتان الروايتان تصوران صور الفنادق والمطاعم التي لها دور هام لإعلاء المستوى الاجتماعي في أي مجتمع حيث يطلع القارئ على ثقافة القرية أو المدينة عبر هذه المنصات العامة. كما يتوقع القارئ، في تبيانه حالات الفتيات الإثيوبية يعملن في المقاهي المختلفة وعاداتها لتجذيب الزبائن حيث يرتدين زيا جميلا ويستقبلن بشعورهن ورموش أعينهن الزبائن ويقدمن لهم الشاي والقهوة والبخور حسب رغباتهم وطموحاتهم ومع هذا يحاولن أن يجذبن إياهم إليهم كما قال عبد الله فرفار "رحبت بي إحداهن بذلك الترحيب المغري، أرادت أن تقودني إلى ركن بعيد ومنعزل حين شاهدتني وحيدا"[٧٢]. هذا ما نشاهده في الفنادق العليا بالهند وخارجها حيث النادلات تحث الزائرين والزبائن على الزنا وما يقربهم إليه.

ومما يستطيع القارئ به أن يدرك عما تحدث في المجتمع وصوره الشفافة من خلال قراءته الروايات والقصص وغيرها من أجناس الأدب حيث استطاع الروائي أمير تاج السر لتصوير الصورة الحقيقية التي نراها في طريقنا العام من الصبيان والمراهقين والضوضاء والضجيج وما إلى ذلك حيث قال "أشاهد الطريق مشغولا

---

[٧٠] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١١

[٧١] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١٣٤

[٧٢] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١٦

بالفوضى، وعددا من صبية المدارس المراهقين، يربطون كلبا هزيلا إلى جذع شجرة ويركلونه بالأقدام، وعامود الإنارة الوحيد أمام بيتي يبدو مائلا وعلى وشك السقوط"[٧٣].

وعلى النقيض من ذلك فإن هناك لمحات إشارية إلى مستوى بعض الكفتيريا المدني حيث يبين الروائي حالة بعض الكفتيريا المتسخ وما يحدث عند ما يضع صاحبه القهوة أو الشاي بدون تأمل حتى يطارد حمزة الفراش وعاداته الغريبة حين يقدم القهوة للزبائن وشمس العلا الذي يشغل بحذائه "القهوة المعكرة، بلا طعم حقيقي، حين يضعها الفراش حمزة، المتسخ الثياب، على الطاولة، ويندلق نصفها على الأرض، ونصفها الآخر على دفاتر التحضير. شمس العلا على الطاولة المواجهة لي، إما منشغلا بمسح حذائه الممسوح أصلا، عشرات المرات"[٧٤]. اعتمادا على ما مر نجد الصور الواضحة عن المجتمع ومعاملات بعض أفراده كأنه رمز حقيقي لمن يتابعون في مثل هذه الأفعال الرديئة. في الجملة، استطاع الروائي أن يرسم صورة حقيقية لكافتيريا كما أشار إلي اتساخه من قبل حيث قال عن كافتيريا سلامة، إحدى أسوأ الكافتيريات في المدينة، حين دخل فيه مرة "وعثرت على ذبابة ميتة في كوب الشاي الذي طلبته، وعفوت عن النادل بطيب خاطر"[٧٥]. وفيه إشارة إلى حسن تعامل المرحوم مع النادل الذي قدم كوب الشاي مع الذبابة الميتة حيث يعفو عنه بالرغم من أن مثل هذه الوقائع قد تورث الغضب الشديد.

المبحث الرابع: الأرياف والمدن في روايتيه "صائد اليرقات" و "٣٦٦"

يقوم الروائي بتصوير صورة الحي أي حي المساكن حيث المرحوم، بطل الرواية "٣٦٦" ركب عربة قديمة للأجرة في يوم الخميس المختلف عن أيامه كلها لأنه التقي بعاشقته أسماء فيه. وفيها بيان دقيق عما في العربة وسائقها كما نشاهدها في الأماكن المتعددة حيث قال "وكان سائقها في نشوة خبيثة كما يبدو، مشبعا برائحة عرق الخمارات القوي ويرقص على أنغام أغنية رديئة"[٧٦]. وتحدث معه عن أحقيته برئاسة نقابة سائقي عربات الأجرة في المدينة ولكن رفض ويأبي زملائه ترشيحه لها بسبب الحسد. صورة حي

---

[٧٣]د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ٢٨

[٧٤]د. أمير تاج السر، رواية٣٦٦، ص: ٣٧

[٧٥]د. أمير تاج السر، رواية٣٦٦، ص: ٦٠

[٧٦]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ٢٠

المساكن ملفوفة ببيان الروائي ونحس أن الحي السابق كما الأحياء في مجتمعنا الحاضر حيث قال "أنشأته السلطة الحاكمة في نهاية الخمسينات ووزعته للطبقة الكادحة بيوتا ضيقة من غرفتين بلا حوش كبير ومزايا متعددة ولا فرصة لأي إضافة مستقبلية مبدعة[٧٧].

عدم التسهيلات في الأحياء حيث يركز نظره على عدم الكهرباء وانقطاعها ولا يعرف أحد أبدا متى تأتي حين تنقطع ومتى تنقطع حين تأتي لتنقطع من جديد حيث ابتدع خطب ولد شقي كان أبوه نجارا في هيئة الأشغال العامة وورث البيت كغيره من الوارثين "اخترع رقصة خاصة، سماها رقصة الضوء، يستقبل بها السكان الكهرباء حين تعود بعد غياب طويل"[٧٨]. قد استطاع الكاتب أن يصور صور الأحياء المتعددة بكل الوضوح والدقة عبر بطل الرواية الرئيسي المرحوم حيث يخاطب مع عشيقته أسماء ليخبرها ما وجد من الأحياء ويمكن أن تؤوي إليها بارتياح مثل حي الأقباط وحي البحر وحي الزهرة.

جعل المدرس الخاص للأولاد من بين الوجاهة النظرية والفخر ودال على كثرة المال والتسهيلات الوافرة حيث نرى هذه الحالة في شأن همام، ولد الوزير طلحة رضوان حيث لا حاجة إلى مدرس ليدرس المواد البسيطة مع أنه جعل المرحوم مدرسا لولده الكريم، يقوم المرحوم ببيان تلك الحالة "سأدرس ولد الوزير موادا في غاية البساطة، لا تحتاج حقيقة لمدرس خاص، لكن الوجاهة الاجتماعية، ووفرة المال، ما جعلت من الأمر ضرورة ملحة"[٧٩]. يمكننا أن نقرأ ونفهم التسهيلات الوافرة في بيت وزير من الوزراء وغني من الأغنياء، هنا يبين لنا المرحوم ما في بيت الوزير طلحة رضوان لما استلم فيه مهمة تدريس ولده همام حيث يقوم ببيان ما رآه في ذلك البيت "كانت غرفة في غاية النظافة، مرتبة بعناية، ومفروشة بملاءات حريرية بألوان مختلفة، تستبدل كل يوم بواسطة إحدى الخادمات، وبها خزانة واسعة للثياب من خشب التيك، وخزانة صغيرة للجوارب، وطاولة من الحديد المصقول من أجل الكتابة، وأباجورة حمراء اللون، تضخ ضوءا بنفسجيا حالما، وأيضا ثلاجة صغيرة، من ماركة (كلفينتور)، للارتواء منها في ساعة العطش، إضافة إلى عدد من اللعب

---

[٧٧] د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ٢٠،٢١

[٧٨] د. أمير تاج السر، رواية٣٦٦، ص:٢٤

[٧٩] د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ١٤٦

البلاستيكية، والسيارات الصغيرة التي بإمكان الولد أن يتسلى بها عند شعوره بأي ملل"[٨٠]. يشير الكاتب عبر روايته"٣٦٦" إلى عزم الوالدين أبنائهم وبناتهم على التعلم والتدرس بدون اعتبار عطلاتهم السنوية والدراسية حيث يصرون على أن يستمروا في تعلمهم متجاهلا عن الوجهات النفسية مستوي عقولهم المتحركة على الدوام. يصور هذه الحالة غير السديدة عبر شخصية المرحوم الذي اضطر إلى تدريس همام، ابن الوزير طلحة حتى في عطلته السنوية "ولا أدري لماذا يصرون على أن أستمر في تدريسه، وقد أنجز امتحانات صفه بجدارة، وبدأت عطلته السنوية، أسوة بغيره. لعله حرص من تلك الأسرة أن يظل الولد مقيدا إلى حصص الدراسة باستمرار أو لعلها تعليمات من سيادة الوزير أن أكون موظفا عنده طوال العام"[٨١].

وفي الفصل السادس عشر محاولة شنيعة من قبل قدسي قرياقوس لتشويه صورة حي المساكن خاصة ثلاثة أعضاء من ذلك الحي هم المرحوم وفاروق كولمبس والأخ حليمو بتهمة غريبة بأنهم شاركوا في قتل ثلاثة رجال لم يعرفوا عليهم من قبل وليسوا قاتلين ولا سفاحين. ويترأس قدسي قرياقوس لإفشاء هذه التهمة بالرغم أنه ليس من سكان الحي بل يدبرون الأمور كأنه من الشرطة أو المواطن الأصلي من مواطني حي المساكن. قال الروائي عن بياناته الشخصية "هو ليس قانون ولا رجل شرطة، ولا مواطن أصلي من مواطني حي المساكن"[٨٢]. هذا ما نرى في المجتمع مثلا القرية حيث الأشخاص غير مواطني تلك القرية يحتفلون بالأمر وقع فيها كأنهم مواطنون أصليون كما فعل به قدسي قرياقوس بل رضيت عنه الأجهزة الأمنية واحتفل به كمواطن صالح.

فيه تصوير كامل بما يحدث بعد الواقعة حيث يتعاون المسعفون مع الحاضرين في نقل الجثث إلى المستشفى حيث تشرح لمعرفة سبب الوفاة وأيدي رجال الشرطة نكشت جيوبهم على أمل العثور على بطاقات تبين الهوية. وإن لم تبين نتيجة التشريح سببا للوفاة سيقوم المسؤولون بها بإرسال المثال إلى خارج البلاد حيث وقع هذا هنا "نتيجة تشريحهم لم تبين سببا للوفاة، على الإطلاق، واستخلصت مواد من أحشائهم وعينات

---

[٨٠]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ١٥٥

[٨١]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ١٩٥،١٩٦

[٨٢]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ١٦٧

من أنوفهم وجلودهم، وتحت أظفارهم، وأرسلت إلى العاصمة، تمهيدا لإرسالها إلى خارج البلاد، لمعرفة سبب الموت"[٨٣].

هناك غريب بكل المعنى أنه لا يشكر أحد أحدا بمناسبة خدمة قام به الواحد للآخر حيث فهمنا أن يشكر الأول الثاني لخدمته الجسيمة أو البسيطة من الأمور المستحسنة ومن الأخلاق الراقية ولكن نرى هنا مخالفا لما اطلعنا عليه ومارسنا عليه، يأخذ فرفار تذكرة لرؤية المباراة في الميدان من شباك التذاكر حيث ساعده الموظف المختص ببيعها قائلا "افسحوا لجناب عبد الله حرفش...افسحوا يا غوغاء"[٨٤] ولكن لم يشكره عبد الله حرفش في هذه المساعدة القيمة بل من المستغرب قوله "لم أشكر موظف التذاكر، ولا أظنه كان يتوقع أن أشكره. وعدم الشكر كان جزءا من تدريبي الطويل...لا تشكر أحدا أبدا...دعه يؤدي لك خدمة ويشكرك...كنت أسمع الموظف يصيح من خلفي...شكرا جنابك...شكرا جزيلا على التشريف"[٨٥]. ومن العجيب أن عبد الله فرفار أو حرفش يقوم بعدم الشكر مع أنه يتأسف عمن لم يعتبروه حق الاعتبار في بضع من المواقف التي تليق به مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"[٨٦].

---

[٨٣] د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص:١٧١

[٨٤] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص:٩٩

[٨٥] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ٩٩

[٨٦] معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي، جامع معمر بن راشد، ج١٠، ص: ٤٢٥

الفصل الخامس

القضايا السياسية والاقتصادية في المجتمع السوداني

تهدف هذه الناحية إلى تناول القضايا السياسية والاقتصادية المشار إليها في روايتي أمير تاج السر" صائد اليرقات" و" ٣٦٦". تتميز الأحزاب السياسية السودانية كغيرها من الأحزاب في دول العالم الثالث من الانقسامات والانشقاقات التي تؤدي بدورها إلى فقدان الاستقرار السياسي على مدى عدد من النظم العسكري والمدني الذي حكم السودان. الحزب السياسي وأهميته في الحياة السياسية وتأثيره عليها وعلى الأنظمة السياسية من الأمور المهمة. أما موقف أمير تاج السر من سياسية الوطن لم يكن موضوعا رئيسيا في أعماله القيمة التي لا تزال ترصد على المعانات الاجتماعية والمعطيات التاريخية كما ندرك من اتجاهاته الروائية. وعلى الرغم من كون موضوع الكتابة منحصرا فيما قلت آنفا، قد عالج القضايا السياسية الراهنة معالجة فرعية بحيث يعتبر السياسة ضمن المجتمع لأن عدم المجتمع عدمها أيضا.

أما إذا تصفحنا أوراق روايتي "صائد اليرقات" و"٣٦٦" فلا بد أن نمس بعض الإشارات السياسية والاتجاهات السياسية والنظريات الحزبية التي تنتمي إلى السودان حيث كثرت الأحزاب السياسية والطوائف الشعبية بأرضه منذ نشأتها. فيمكننا القول بأن السودان تمر بمرحلة معضلة وحرجة بمشكلاتها السياسية وتعسفيتها الرذيلة حيث يحاول أمير تاج السر أن يأتي بتمثلات أشعة سياسيتها في قالب فني وانساق غزير.

ولم ينس الكاتب أن يشير إلى معاملات السياسيين واتجاهاتهم السياسية حيث تخرج كلماتهم من دائرة الوطن الذي هم فيه ويتحدثون عن الوقائع الفظيعة والأحداث المؤسفة التي تجري أو وقعت في الأوطان الأخرى بلسان طويل ولكنهم لم ينتبهوا إلى ماذا يحدث في وطنه من الأخبار المؤلمة والتعسفيات القبيحة وعدم توفير التسهيلات الأولية لتحسين حياتهم اليومية بل يخدعون الناس حقا بالرغم من أنهم يصوتون صوتهم في الانتخابات ليكونوا منتخبين حيث يرجون مساعداتهم ومسانداتهم بعد ما تولوا مناصبهم. يقوم أمير تاج السر بتعليق خداع السياسيين الذين لا يهتمون بأوطانهم وأصحابها بل يركزون على ما في الأوطان

الأخرى حتى يصور وجوه السياسيين الخادعين وقال "وسياسيين يدخنون ويرطنون ويتصارعون ويرسمون للناس وطنا آخر غير الوطن الذي نعيش فيه ونعرفه ونحبه بكل حسناته وعيوبه"[٨٧].

ومن هنا لا بد من الإشارة إلى أن هنالك مشكلات أخرى داخل السودان لا بد من توفرها لأن الأحزاب الممنوعة تتداخل غبا بعملياتها الخطيرة السرية لتهاجم على الحكومة بصورة خفية. وفي بيانه الساحر يمكننا أن نرى تأثيرات الأحزاب الممنوعة في البلاد أي السودان ويتأثر بها سكانها الفقراء حيث نشاهد مثيلها في الأوطان العديدة حاليا حتى لقائد الحزب الممنوع قوة لترسيخ التمرد في أذهان الناس ويقول أمير تاج السر عن شخصية الحزبي الراحل(أ.س) الذي ينتمي إلى حزب ممنوع في البلاد وتأثيراته بين الناس "كان ثرثارا كبيرا تحتشد حول ثرثرته الجماهير حتى لو ثرثر في قعر بئر"[٨٨]. لاتزال محاولة أمير تاج السر تدوم حتى نرى في روايته الأخرى "٣٦٦" بيان الحزب الممنوع والاحتشاد السري عبر شخصية بخاري، أخي المرحوم حيث يرسم صورة الشبان الذين يقعون في هوة عميقة لا يمكن أن ينهضوا منها إلا أن يقضوا أعمارا رومانسية بين جدران السجون كما نشاهد في العالم كله حتى في جمهورية الهند ولكن مع الأسف الشديد معظمهم قد اتهموا بتهمات عديدة كأنهم يعملون ضد وحدة التنوع للوطن وليست بينهم إلا شرذمة قليلة فعلوا شيئا من الأمور المتطرفة كما يدعي المدعون. ومع هذا يجدر الأمر هنا بالذكر أن بعض السياسيين يجترئون ليخالفوا مطاردة الشبان بجعلهم في قائمة المتطرفين المحترفين ويعلنوا الحرب ضد الأجهزة الأمنية حيث هذه مطاردة المسلمين الأبرياء من قبل الشرطة يمكننا أن نمثل بما يجري تحت رئاسة حكومتنا الهندية لأن الشرطة تقوم بأخذ الشبان الأبرياء بمجردة التهمة الحاسمة عليهم وحبسهم في السجون لسنوات طويلة. ومما تظهر منه جرائة السياسيين أن يرفعوا صوتهم لخلاص تلك الأبرياء من ظلمة السجون واستعادتهم إلى أحلام الحياة الجميلة حيث نرى في الرواية "٣٦٦" محاولة الوزير طلحة، ينقد الشرطة بكل أسنانه لما قبض على ثلاثة أشخاص أبرياء لمجرد التهمة مخاطبا إياها "ليس لديكم أي أدلة ضد أقاربي، وكون الرجال وجدوا في بيت الأستاذ، لا يعني أنه قاتلهم، وقد أقر كثير من الشهود بأنهم سمعوا صرخته، ساعة أن عثر على الجثث،

---

[٨٧]د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١٤

[٨٨]د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص:١٥

أقرت بائعة قصب السكر، أسماء، إنه جاء معها في نفس الباص، وأقر سائق الباص الذي استجوب، إنه من بين ركاب باصه، ومن اطلاعي على وقت التقريبي الذي حدده الطبيب، أقول لك بأن الأستاذ كان في بيتي، في تلك الساعة. فاروق كان في بيته وشهد كثيرون كانوا يجلسون معه، والأخ حليمو، لم يبارح منزله، ويذهب إلى وسط المدينة ليفاوض تجارا أو غيرهم، منذ أكثر من عامين"[٨٩]. وفيما سبق إشارة قريبة إلى تداخل الوزراء والسياسيين ليخرجوا أصحابهم من السجون بمجهوداتهم الجبارة.

يلاحظ أن كثرة ضحايا الحزب الممنوع وثمراته الأليمة ترد في نصه الروائي حيث قال عن المرحوم الذي عذب باسم أخيه الكبير بخاري، ناشط سري في حزب البعث العربي الاشتراكي بالرغم من أن المرحوم يخالف آراء أخيه الكبير وأفكاره الغريبة في مواقف حياته كلها حيث قال "تمنيت كثيرا ألا تدخل أفكاره عائلتنا، ودخلت مع الأسف الشديد"[٩٠] وإضافة إلى ذلك، لم يؤمن أحد من الأجهزة الأمنية بأنه مجرد مدرس يتيم وغير ناشط في السياسة وليس له إلمام عن البعث العربي الاشتراكي أكثر من كونه حزبا متأرجح السمعة. يتضح لنا من خلال العبارات السابقة والمواقف السالفة أن أمير تاج السر ينقد بالشدة الأحزاب السرية تسير وتفتن بين الشبان وتعاملاتهم الخفية بكل المخالفة حيث اختفي بخاري من حارته لا يعرف أحد أين يسكن حتى أذاقت المرحوم بسبب أخيه بخاري معانات شديدة ومطاردات دائمة بالرغم من أنه جاهد حق المجاهدة لئلا تنتشر آراءه في عائلته خاصا والوطن عاما ولكن فشل هو والأحزاب هي الناجيات. يقول عن موقفه في السياسة حيث يرفض اللون الأحمر لأن أخاه اتسم بأنه أحمر وفر من بيته واختفي في مكان لا يطلع عليه أحد، ولا يستعمل الحبر الأحمر حتى في تصحيح دفاتر التلاميذ بل يستخدم الحبر الأخضر برغم اعتراض مدير المدرسة " لم أكن أحب الأحمر يا أسماء، يذكرني بالدم، بالفضيحة، بالحرب، بالمشاكل، بمصارعي الثيران الأسبان الذين شاهدتهم مرارا على شاشة التلفزيون، يدهسون بسببه، ولأن أخي بخاري، وصف بأنه أحمر، في كل لهجات التحقيق التي حققت معي بسببه"[٩١].

---

[٨٩]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ١٧٣

[٩٠]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ٢١

[٩١]د. أمير تاج السر، رواية٣٦٦، ص: ٤٢

ومما يلاحظ هنا، أنه الكاتب يأتي بالتلميح إلى السياسة الرذيلة خلال سرد شخصية طلحة رضوان، وزير للتخطيط حيث لم يحقق شكوى سكان أحيائها قدموها عند زيارته العبرة عن الكهرباء المنقطعة غبا وكانوا يفتخرون به ومع هذا لم يقدم لهم أي خدمة حيث نقرأ تجربتهم اليائسة "كان كفيلا بأن نطرد جميعا في ذلك اليوم. من دون أن نحصل على وعد بحل مشكلة الكهرباء المزمنة، ضاعت خطبة كولمبس غير المنمقة جيدا، كأنها لم تلق، وضاعت أناقة الشعبيين، وعطورهم التي أراقوا في ذلك اليوم، وأيضا أحلام وجبة عشاء مختلفة، حلم الكثيرون من أعضاء الوفد، أن يتناولوها برفقة سعادته"[٩٢]. وفي الكلمات الروائية السابقة المأخوذة من الرواية "٣٦٦" مئات أحلام لأصحاب الأحياء الفقيرة وسكانها الفقراء حتى تمتعوا كثيرا وتخيلوا تخيلات عديدة منبعثة من سذاجتهم الصافية وظنوا وحسبوا بأن حلول المشكلات القروية وشكواها سيعتبرها وزيرهم القريب حق الاعتبار ويحاول لتحقيقها محاولة جادة ولكن بسوء حظهم لا يلتفت إليه حق الالتفات كما يفعل كثير من السياسيين المخادعين.

نرى مثل هذه السخريات المنتقدة في رواياته حيث يستهزأ الوزراء الذين يركزون أنظارهم على الرحلات العديدة إلى البلدان المختلفة عربية كانت أوروبية بدون جلب الانتباه إلى مسؤولياتهم الرسمية في وزاراتهم المختلفة من توفير التسهيلات الأولية والأصلية وقيام الإجراءات اللازمة للمواطنين بواسطة شخصية الوزير طلحة رضوان لأنه لا يزال في الرحلة بالرغم أنه عين وزيرا للتخطيط حتى يشير إليه الروائي مستخفا في سياق يبين فيه كثرة رحلات المرحوم معه، يقول المرحوم عن سلسلة رحلاته مع الوزير "وسافرت إلى العالم كله، تحت مظلة زوجها المسافر باستمرار، كأن التخطيط القومي وزارة طائرة في الجو، أو وزارة مهامها موزعة في الدنيا كلها"[٩٣].

ومن أنواع اللعبة السياسية الرديئة التي تجري في المجتمع بشكل غير رسمي، حل العوائق وحصول الحوائج لمن لهم قرب في الوزارة أو الأجهزة الأمنية أو بتوا صلاتهم الشخصية وغيرها من الطرق بدون العقبات الإدارية والمعضلات الرسمية والمشاكل التقنية التي يواجهها المجتمع العادي مرات في حياته عندما يلتمس إلى

---

[٩٢] د. أمير تاج السر، رواية٣٦٦، ص: ٢٥

[٩٣] د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ١٥٧

خدماتهم. ولا تزال تجري في المجتمع أعمال ضد القانون إن كانت للزبائن مناصب عالية وغيرها من الدرجات العظمى حيث يظهرون بطاقتهم المهنية أو يعتمدون على علاقتهم الشخصية بالوزراء أو بمن فوقهم أو تحتهم ويتخلصون بسهولة أو يحققون مرامهم المنشود بوقت يسير كما نري في روايته "صائد اليرقات" حيث يذهب عبد الله فرفار، صاحب ساق خشبية لزيارة المشجع، بطل فرعي، في المستشفى القصر الأبيض فمنعه البواب بأن لا يمنح الدخول بسبب حماية القانون الذي تبدأ زيارة الزائرين بعد العصر فقط. أخيرا يتخلص بإظهار بطاقته العسكرية القديمة ويدخل إلى المستشفى وهذا الموقف في قول الكاتب "عثرت عليها في مكانها المعتاد في جيب القميص، ومررتها أمام عيني البواب الذي ارتعد ورفع يده بتحية عسكرية مضحكة، لم يفتح بوابة الدخول فقط، لكنه ترك موقع حراسته، ورافقني حتى المبنى الداخلي، وهو يردد" تفضل جنابك...حاضر جنابك""[٩٤].

على النقيض من ذلك فإن هنالك إشارات ضرورية تقنع حالات المجتمعات الأفريقية غير المسموعة والمقروءة ودروب سكانها المساكين بشكل واسع وبصورة واضحة كما يسلط أمير تاج السر الضوء على الحرب الأهلية الجماعية في رواندا حتى اعتنى الكاتب أن يسرد بعض الحوادث التي وقعت في الأوطان العربية مثل حرب العراق والثورة الإسلامية في إيران وغيرها. ولأمير تاج السر تجربة واسعة وإلمام تام عما حدث في العالم من الحروب والحوادث حيث تبدو جمالية رواية صائد اليرقات باكتفائه على اسم الحرب فقط بدون الإطالة فيه ولكن القارئ لم يجد نكهة الرواية إلا بعد أن يطلع عليه حيث قال عن بائع الورد البنغالي في مدينة نيس الفرنسية، الذي كتب رواية عن الورد "بطلتها امرأة من المهاجرات الأفريقية، ظلت تشتري الورد الأحمر عشرين عاما من محله، من دون أن تغير لونه، وتخيل البائع أنها تبعثه إلى حبيب ضائع في حرب بشعة. ونسج قصته، عن ذلك الإسكافي الفقير في رواندا، حين كتب رواية حول الحرب الأهلية الجماعية في ذلك البلد الإفريقي الفقير"[٩٥]. كانت الحرب الأهلية الجماعية تحدث في رواندا بين الجيش الرواندي

[٩٤]د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١٢٤

[٩٥]د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ٩

والجبهة الوطنية الرواندية[٩٦] بين عامي ١٩٩٠و١٩٩٣حيث كانت نتائجها انتهاكات كبيرة لحقوق الإنسان أخطرها الإبادة الجماعية كما تحدث الآن في إقليم دارفور، السودان، التي تناول حروبها القاسية ونتيجاتها البشعة، الروائي الشهير السوداني عبد العزيز بركة ساكن في روايته القيمة "مسيح دار فور".

وأتى الكاتب ببيان الحرب في العراق خلال محاولته ليجد رواية كان منهمكا فيها حيث قال "أخرجت ورقة كنت قد وضعتها في صفحة كتاب انهمكت فيه، حتى أعرف أين توقفت، كانت رواية عن الحرب في العراق، ترجمت عن الإنجليزية، أبطالها ثلاثة زنوج من مشاة البحرية الأمريكية، وجدوا أنفسهم فجأة يتمزقون في حرب لا يعرفون جدواها، ويجلسون يوميا في الليل، يتأملون الظلام، يبكون ماضيهم، ويتخيلون مستقبلا بائسا ينتظرهم"[٩٧]. فجاء كلامه عن الثورة الإسلامية في إيران حيث سمع من أخبار بي بي سي عن عودة آية الله الخميني إلى إيران بعد نجاح الثورة الإسلامية كما أنه أيضا يلفت أنظارنا إلى الأوضاع الهائلة التي حدثت في أفريقيا من كثرة لاجئي الحروب والوقائع المؤلمة عبر شخصية يعمل في منظمة دولية تعني بشؤون لاجئي الحروب في أفريقيا ومقرها نيروبي كينيا.

وكان أمير تاج السر تأثر بشخصية فيدل كاسترو[٩٨]، حيث جاء في بيانه بعض الرؤساء الشهيرة في العالم حيث شبه رجلا قام بإرسال قبلة هوائية تجاه الشابة اليابانية كما نرى بين المراهقين والمراهقات بقدر كبير، بفيدل كاسترو في شبابه، يقول عنه الأديب "وأشاهد رجلا كأنه فيدل كاسترو في شبابه، يجلس خلفي مباشرة في مواجهة اليابانية، وكان يفرد يده اليمنى أمام شفتيه، يحملها قبلا هوائية يرسلها في اتجاه رفيقتي"[٩٩].

---

[٩٦] سكان رواندا قبيلتان الهوتو والتوتسي، خلال الثورة الاجتماعية الزراعية قام حزب حركة انعتاق الهوتو (١٩٥٩) بعدة مذابح لأفراد قبيلة التوتسي وعزل الملك الرواندي عام ١٩٦١م وإبعاده عن رواندا وإعلان جمهورية الأولي للهوتو في رواندا سنة ١٩٦٢م. كانت الحكومة تضطهد أفراد التوتسي وتحرمهم من فرص التعليم والوظائف وممارسة السياسة ونشأ جيل من التوتسي فيها كمواطنين من الدرجة الثانية حيث أدى ذلك إلى تشكيل الجبهة الوطنية الرواندية.

[٩٧] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١٤١

[٩٨] ولد عام ١٩٢٦، كان رئيس كوبا منذ العام ١٩٥٩ إلى العام ٢٠٠٨، صاحب النظام الشيوعي حيث قاد البلاد إليه.

[٩٩] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص:٥٨

المبحث الأول: إصلاح الوطن

قد اهتم الكاتب جانب إصلاح الوطن حيث يحترزه بكل الاحتراز لأننا نجد بعض الإشارات إلى ذلك من المسرحية التي قام بتمثليها مدلك رياضي أي زوج العمة لما في داخلها داعية إلى بناء العدل والحرية والديمقراطية في البلاد وطرد الشيوعية والإمبريالية حيث يمكننا أن نفهم هذه اللمسات من صرخة المدلك بعد أن يموت الممثل الذي أدى دور الأبله، في نهاية العرض مشيرا إلى المحفة حيث تحويه وإلى الجمهور "ارقد بسلام يا بني، ارقد بسلام. دمك لن يضيع هدرا أبدا في بلد العدل والحرية والديمقراطية، لن يضيع وآلاف العيون تحرس أمن الوطن، آلاف الرجال الأفذاذ يحمون التراب، يصدون أولئك الخونة الذين يودون رؤية الوطن أشلاء...تلك الأحزاب الخبيثة، تلك القاذورات، أرقد يا شهيد...ارقد بسلام...كلنا فداؤك...كلنا فداء الوطن.....عاش قادتنا الأوفياء...تسقط الشيوعية...تسقط الإمبريالية...تسقط أمريكا"[١٠٠]. وعبر الحاضرون الفرح والسرور مرددين يسقط الخونة ...تسقط الشيوعية...تسقط الإمبريالية...تسقط أمريكا حيث يحملون المدلك على أكتافهم ويخرجون به من الباب الرئيسي للمسرح.

أما أمير تاج السر يلفت أنظارنا إلى الأوضاع السياسية والمؤامرات السرية ضد الوطن وسلطته عبر شخصية الحزبي الراحل(أ.س) الذي كان ينتمي إلى حزب ممنوع في البلاد وكان ثرثارا كبيرا تحتشد حول ثرثرته الجماهير حتى لو ثرثر في قعر بئر. وكان يدرب الفقراء والمهمشين على لغة التمرد والانتفاض ويجند عددا كبيرا في حزبه الممنوع. وكان يأتي إلى مقهى قصر الجميز أقدم مقاهي العاصمة كل مساء ليجلس في أحد الأركان البعيدة صامتا ويغادر صامتا حيث فسر صمته لدى المسؤولين في الأمن الوطني بأنه مؤامرة فاجرة ضد الوطن. وكان عبد الله حرفش وكلف في مراقبته بداية حياته المهنية وظل يتبعه وينغرس فيه أكثر من ثلاث سنوات ويسلم إلى إدارته تقريرا عنه كل يوم مخترعا بخياله المحدود حتى رحل الرجل بأزمة قلبية من دون أن يترك في دفاتره حرفا ذا جدوى. أما السودان لا تزال تراقب المؤامرات السياسية واستخراج خاماتها السرية حيث يشير الكاتب إلى مراقبة عبد الله فرفار في بداية عمله في الإدارة الأمنية، وهو يتذكر عن أيام مراقبته

---

[١٠٠] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١١٣

"أذكر أول مرة دخلت فيها ذلك المقهى القديم، كنت في بداية حياتي المهنية، شابا وخشنا ومدربا على استخراج خامات التآمر حتى من نسمات الهواء وأجنحة الذباب وابتسامات الشفاه حين تبتسم"[١٠١].

المبحث الثاني: القضايا الاقتصادية

القضية الاقتصادية مشكلة كبيرة لا بد من الإشارة إليها لأنها تقوم بوظائف متعددة في البلدان كلها حتى يشعر الجميع بأن لا حياة للإنسان إلا بالأموال الطائلة في عصرنا المتغير حيث يحاول أمير تاج السر أن يجلب انتباهنا إلى وظيفة المدرسين في المدرسة ورواتبهم الشهرية المنخفضة. بطلنا الرئيسي المرحوم، مدرس الكيمياء في احدى المدارس المتوسطة قد عزم أن يترك عمل التدريس والتعليم ورغب أن يدخل السعودية حتى يشير الكاتب إلى كثرة الهجرات إلى البلدان الخليجية خاصة إلى المملكة العربية السعودية حيث انتشر أمر المرحوم الذي أخذ صورة من استديو عنتر وإخوانه لاستخراج جواز السفر وذاعت محاولته بين التلاميذ في المدرسة، بواسطة تلميذه الفقير الذي يعمل فيه، يقول الكاتب عن هجرات السودانيين للمعيشة "كانت الهجرات المكثفة إلى دول الخليج العربي، قد بدأت في تلك الأيام"[١٠٢].

ومما نشاهد في مجتمعنا الحاضر أن الزواج يجري فيه ببيع العقار وغيره من الأشياء الثمينة حيث في الرواية تبيع أم شمس العلا أراض زراعية كانت تملكها في القرية لتصبح إجراءات زواج ابنه في شكل لائق وفاخر ولتأسيس بيته الجديد لأنه كان يواجه المشكلة المالية بحد كبير، يقول الكاتب عن هذا البيع "ذلك أن أمه باعت باختيارها ومن دون أي ضغط منه، عدة أراض زراعية كانت تملكها في القرية، وسترسل له المال اللازم قريبا مع أحد أقاربه، من أجل أن يحيي مناسبة عرسه بشكل لائق، ويؤسس بيته الجديد، لفتاة الأسرة الراقية، كما تؤسس بيوت طبقتها"[١٠٣] مع أن زوجته المستقبلية اختارت قاعة "صفاء" الجديدة الفاخرة في وسط المدينة لليلة الزفاف.

---

[١٠١] د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص:١٤

[١٠٢] د. أمير تاج السر، رواية٣٦٦، ص:٤٣

[١٠٣] د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص:١٦٠

الفصل السادس

المواقف الثقافية والأخلاقية والدينية في روايتيه" صائد اليرقات" و"٣٦٦"

الكتابة نوع يتأثر صاحبها بثقافته الغنية وتجرباته الثرية وخيالاته التي تورث فكرات مبدعة حتى يصبح أديبا بارعا. فكرة رواية صائد اليرقات هي إبراز السخرية تجاه الكتابة الخاوية من الخيالات والمعاني حيث يستهزئ أمير تاج السر محاولة البطل الكبير عبد الله حرفش، رجل أمن متقاعد، أن يكتب رواية بالرغم من أنه خال عن الخيال الواسع ولا أنه لم يحس القراءة بمتعة حقيقية ولم يدخل مكتبة البلاد لغرض القراءة حتى لم يقف أمام أية مكتبة لتحقيق غرضه المنشود. يصرح الكاتب ما عنده من الفكرة كما أنه يقوم بترسيم مستوى البطل الذي يرغب في كتابة الرواية وعبد الله حرفش يقول عن تجربته الثقافية الضئيلة "لكن كيف جاءتني تلك الفكرة الغريبة، ولم أكن قارئا طوال حياتي، ولا واسع الخيال إلا في مجال عملي، وما وقفت أمام مكتبة من قبل إلا حين يدخلها مشبوه ملاحق من أجهزتنا أو تتحدث التقارير عن كتب ممنوعة تدخل البلاد خفية بواسطة مهربين محترفين، وتوزع من تحت الطاولات"[١٠٤].

من الواضح كيف يمكن لشخص لم يتمرن على القراءة والكتابة في حياته أن يحقق غرضه المنشود في كتابة رواية إلا أنه محترف في كتابة التقارير للأجهزة الأمنية وفقا لعمله الرسمي؟ هذا هو الموقف الذي ينقده أمير تاج السر حيث يقنع عبر روايته مشبها تلك الأشخاص بصائدي اليرقات الميتة في نعومة أظفارها. في الحقيقة، الفراغ الذي حصل عليه البطل بعد فقد رجله اليمنى وعمله في جهاز الأمن الوطني، يغير حياته المتبقية حيث يتجه إلى كتابة الرواية كأنها متعة تذيق حياته حتى تتصف بالطمأنينة والراحة، يقول مرة "وتأتيني أفكار غريبة ما كانت لتأتي لولا ذلك الفراغ"[١٠٥]. ولكن لا أوافق شخصيا مع الكاتب في رأيه هذا سائلا هل هذه المحاولة محاولة لا تبرير لها، إن كان الشخص متأثرا بعمل الآخرين ويجاهد أن يسير على مدار ممرهم لكي يحقق أهدافه السامية وأغراضه الرائقة في حياته المتبقية مثمرا فراغه الكبير لديه؟ بل

[١٠٤] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص:٩

[١٠٥] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١٣

علينا أن نشجعه ونحرضه بتوفير المساعدة العلمية والمساندة الضرورية لتحقيق رغبته الشديدة بما يسع عندنا من المعطيات والمستندات.

أمير تاج السر يستعيد تاريخ المسرحية في السودان حيث يستهدف إلى عادات المسرحية وكيفية عرضها في المسرح حتى يشير إلى جهود الممثل المضنية، مدلك زوج عمة حرفش، لأنه قضى شبابه في مطاردة المخرجين والمسرحيين ليقنعهم بقدرته على التمثيل. أخيرا لما وجد الدور البسيط في مسرحية، فقد حدث له الإغماء الحقيقي بدلا عن الإغماء الممثل لما أدى دوره خلال المسرحية حيث يسقط المدلك على ظهره محدثا صوتا هائلا على خشب المسرح القديم ويصفق الحاضرون ويغلق الستار. ولكن ماذا حدث بعد إغمائه؟ بعد دقائق كثيرة جاء الإعلان "نأسف حضرات الحضور. لقد أصيب أحد ممثلينا بوعكة طارئة، وسيلغي باقي العرض اليوم، الرجاء الاحتفاظ بكعوب التذاكر وإبرازها غدا لو سمحتم، شكرا على حضوركم جميعا"[١٠٦]. في الحقيقة، فهم المشاهدون بأن المسرحية انتهت بخاتمة مأساوية مع أن المدلك أدى دورا حقيقيا بدلا عن دور تمثيلي. يريد الكاتب أن يصور مكانة مسرح الشباب الأهلي ومستواه بين الناس حيث قال عنه فرفار بعد رؤية المسرحية التي عرضت على هذا المسرح "مضى العرض بطيئا مملا، وأعرف أن العروض التي يقدمها مسرح الشباب الأهلي، دائما ما تحفل بمثل ذلك الملل، يسمونه تجريبا وأسميه تخريبا"[١٠٧]، حيث يستهتر أمير تاج السر من يخربون الذوق العام باسم التجريب.

وفي روايته "صائد اليرقات" إشارات إلى محاولة حكومة السودان أن تصادر بعض الروايات التي نقدتها بعنف كما أن الرواية صارت كقامة عظيمة ووسيطة كبيرة لتبادل آراء أصحابها في انساق روائي حيث تعرض كثيرا من الحقائق الكامنة والأمور الإدارية السرية عن النظام السابق والجاري كما أنهم يركزون على المهمشين والمضطهدين والفقراء في البلاد. تخاف مثل هذه الكتب والروايات وتصادر داخل السودان باسم صيانة الوطن من الخيانة إن تقم بسرد الأشياء ضد الوطن ومعالجة الحقائق السرية وإظهار صور غير مرئية

---

[١٠٦] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ٥٤

[١٠٧] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١١٢

ومعضلات مؤلمة من إقليم دار فور، السودان كما حدث في شأن الروائي الكبير السوداني عبد العزيز بركة ساكن الذي أصدر رواية "مسيح دارفور".

مع مصادرة الكتب من جانب كانت حكومة السودان من جانب آخر لا تمول كثيرا لطباعة ونشر تلك التأليفات التي كانت تعتبر بأنها تلعب دورا شديدا في إلغاء ثقافة السودان وحضارتها إلى حد كبير كما يفهم من تجربة أمير تاج السر حيث اضطر إلى رهن ساعته رولكس عند صاحب الدار لتنشر روايته الأولى كرماكول. وفي "صائد اليرقات" ما نرى فيما يتعلق بالنشر والطباعة حيث بعض الأدباء يتفق صاحب دار ما على نشر تأليفاتهم القيمة بدون التماس النقود منه ولكن الآخرون ينفقون أموالهم الطائلة على دار النشر لتكون أعمالهم تحت الطباعة، وإلى هذا يشير الكاتب "كانت رواية "لحظة حب" أو يرقة حب كما أسميها في سري ولا أجهر بتلك التسمية، للكاتبة الجديدة(س) قد صدرت في تلك الأيام عن الدار المحلية الفقيرة بتمويل ذاتي من الكاتبة"[١٠٨].

أمير تاج السر يضفي بأن كثيرا من حاملي الشهادة في الفنون المتنوعة من الجامعات المختلفة لا يجدون وظيفة مناسبة لهم في دولتهم حيث يضطرون إلى أن يشتغلوا بشواغل متعددة خارج مجالاتهم المخصصة بالرغم من أن لديهم شهادات عديدة في مجالات خصصوا فيها. هذا ما نشاهده الآن في معظم البلدان التي لم تتقدم لإعطاء الوظائف لهم حسب مقدراتهم الكامنة حيث الكاتب يظهر تأسفه عبر اليساري، بطل روائي في "صائد اليرقات" حيث أصبح تاجر السيارات المستعملة بالرغم من أنه تعلم فنون الطبخ في موسكو وتخصص في طبخ شرائح اللحم المنقوعة في صوص الطماطم والبازيلا لكنه لم يعمل في مجال تخصصه وكانت مجرد شهادة علقها في بيته حتى صار رمزا لمئات من الطلاب الذين أكملوا دراستهم في فن معين وتخصصوا فيه ولكن يعملون في موقف آخر مغايرا لتخصصاتهم لعدم حصولهم على وظائف تليق بمؤهلاتهم الدراسية.

وعلى المستوى الفردي عادة سيكون السجين مطاوعا ولو كان متمردا ومتهورا بعد حياته السجنية التي تعلمه المبادئ الإنسانية والدروس الاجتماعية. هنا خير دليل لهذا بطل رواية "٣٦٦" كولمبس يحيى الذي

---

[١٠٨] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١٠٤

قضى شهرين في السجن وتخلص منه بجهود بذلها الوزير طلحة وعاش مطمئنا وصار إنسانا طارئا حيث يقوم الكاتب بتوضيح حياته المتغيرة بعد السجن "وقال كولمبس، ولم يكن يضحك، لأن الشهرين اللذين قضاهما في الحبس الاحتياطي، أطارتا إدمان المخدر من دمه، وبالتالي أطارتا المجون الذي كان يتسم به"[١٠٩].

المبحث الأول: تأثيرات الثقافة الغربية

إذا فتشنا عن التغيرات الثقافية في السودان حيث المجتمع السوداني ينتقل من الحياة البسيطة الفقيرة إلى الحياة الترفية الغنية بالرغم من أنهم يواجهون الأزمات المالية وغيرها. ينظر الكاتب إلى مجتمعه تم تغييره بالدواعي الخارجية حيث يود أن يقف جانب الفقراء أو جانب العيش البسيط جدا بدون إسراف وإنفاق غير شرعي من المال في مجمع التسويق الغني لمجرد التسويق ولكن هناك لفيف من الناس قد تأثروا بالثقافة الغربية ويسعون أن يعيشوا كما يعيش بها الغرب وفقا لمنهجهم وأسلوبهم وعاداتهم حتى في التسويق وارتداء الثياب وما إلى ذلك. أمير تاج السر يحدد موقفه عبر شخصية روايته "صائد اليرقات" عبد الله فرفار يستفسر عن كيس التسوق الكبير حيث وجده لما أراد أن يضع بذلته في كيس من الأكياس فقال "وضعتها في كيس من أكياس التسوق الكبيرة، لا أعرف كيف دخل بيتي، ولم أتسوق من قبل بحجم ذلك الكيس، حيث كان تسوقي محدودا جدا"[١١٠]. كما يفهم من العبارة المذكورة لم يهتم الروائي كثيرا كما تعتني به الأجيال الجديدة حيث يعبر عن رأيه وموقفه في هذا الموضوع.

ومما يلاحظ أنه حاول أن يسلط الضوء على المجتمع السوداني من مستوى الحياة أي أدناه إلى أقصاه كما أنه يعبر عما نشاهد في يومنا المعاصر من التمييز بين الذات والأخرى والمرء العادي والثري وبين السقيم والصحيح حيث أخذ نموذجين من جانبي العادي والثري عبد الله فرفار وإيفا الملونة. إذا تغلغلنا في الموضوع فنستطيع أن نطلع على بعض الفروق الواضحة بين المرء العادي عبد الله فرفار والمرأة الثرية إيفا الملونة حيث صور صورتهما بعمق وتفصيل وأشار إلى سمعة المرأة وما ترتدي من الثياب المزركشة ونعلها العالي، وأتى بكلمة عن إيفا "وتنتعل صندلا من الجلد لا تسمع له ضجيجا في ذلك الرخام الذي تضج فيه حتى

---

[١٠٩] د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص:١٩١

[١١٠] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ٢٩

الهمسة"[١١١] وقال عن نعل عبد الله فرفار وما واجه من مشكلات ساقه الخشبية الخبيثة حين يدخل مكتبة أعلاف "نبهه صوت ساقي الخشبية تزحف على بلاطه المغسول، وتفوح منه رائحة الديتول، فالتفت بسرعة، وكأنه تشاءم أو امتعض أو تنرفز"[١١٢]. وفي هذه العبارات المذكورة مقارنة دقيقة بين مستوى الحياة العادية والراقية حيث نراهما في مجتمعنا الحاضر.

يدعي الكاتب أن ما نرى في مجتمعنا الحاضر من شؤون ارتداء الثياب هو من المناهج الأمريكية حيث قال الأديب عن ثياب الفتاة الشابة اليابانية اقتربت من عبد الله فرفار في مشهد الرواية "ملامح الروبوت مشتعلة على وجهها بجدارة، ولا بدا قميص الجينز الضيق الذي ترتديه، بنهج أمريكي، وتجعله ضاغطا بقوة على صدرها المفتوح، دلوا يمكنه أن ينتشلني من ممر إيفا الفارغ"[١١٣]. والمهم هنا أنه يعالج عما شاهد في مدينة موسكو في أيام دراساته هناك حيث يجلب انتباهنا إلى خيرها وشرها كما ذاقهما منها مع تصوير دقيق عن تلك المدينة العصرية لأنه كان يشارك في ملتقى سنوي تنظمه أكاديمية السينما حيث تدعو إليه مخرجين شبابا من شتى بقاع العالم ويبين تجربته السابقة في موسكو "لم أكن في الحقيقة غريبا على موسكو ولا ضيفا منبهرا يتلمس الطرق ويتلفت في حذر، فقد درست فن الإخراج فيها، أجدت لغتها وغازلت نساءها، وتصعلكت في أزقتها وميادينها الحمراء والصفراء، صادقت ضحكها وغوايتها وعدت إلى بلدي لأتحطم"[١١٤].

يعبر الكاتب عن الوسائل الإعلامية وتأثيراتها الشديدة بين الناس حتى بعضهم يقومون بإعلان بما تذوّقوه أو شربوه أو استعملوه في حياتهم اليومية حيث يقول أمير تاج السر عن شرب "ناني" الذي يعد أنه رمز القوة. أما بالنسبة إلى شخصية المدلك زوج عمة البطل الرئيسي شخصية متميزة، لا يزال يحيي القصة بتمثيله المتنوع ومن مزاحه الدائم إعلانه عن "ناني" حيث يشير الكاتب إلى عمله الغريب "ويقفز المدلك زوج العمة من سطح منزل عال بعد أن شرب زجاجة من مشروب ناني، اقفزوا كلكم.....باستطاعتكم

---

[١١١] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص:٤٣

[١١٢] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص:٣٤

[١١٣] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ٥٧،٥٨

[١١٤] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص:٤٠

القفز الآن...(ناني) رمز القوة"[١١٥]. ويمكننا أن نفهم مما سبق كيف تأثيرات الشركات سائدة في الناس عامة وفي حياة المدلك وزوجته أي عمة عبد الله خاصة حيث يحملان صندوقا من مشروب ناني وكان يصيح المدلك دائما "اشربوا ناني وعودوا شبابا...اشربوا ناني وتذوقوا طعم الحياة"[١١٦] ثم قال هو نفسه "أنا أحس بفورة الشباب قد عادت منذ أن بدأت أشرب (ناني) بشكل منتظم...اسأل العمة إن كنت لا تصدق...خذ...جرب.[١١٧] فعجب به فرفار ويحسب كما يسأل "هل منحوك مبلغا جيدا على هذا الإعلان؟

إذا أسلنا نظرنا خلال سطور رواية صائد اليرقات فتتعرض ما تجري وراء ستار نادية كرة القدم للوطن لأن بعض أعضائها منهمكين في نسج الحيل لتساعدوا بها على الجانب الآخر في مباراة كرة القدم كما نقرأ من الجرائد وندرك من الوسائل الإعلامية المرئية والمسموعة عن الوقائع التي تجري كحيرة كبيرة في المجتمع. أما تاج السر يحاول أن يلق الضوء على خيانة اللاعبين المحترفين الذين يعزفون لأوطانهم، خلال المبارات كما نراها ونسمعها في يومنا هذا من فئات مختلفة تنتمي إلى الألعاب المتنوعة حيث قال "سمعت مشجعا مهتاجا يصف لاعبا أضاع هدف الفوز لفريقه بخيانة الوطن"[١١٨].

المبحث الثاني: المواقف الأخلاقية

أما بالنسبة إلى القضايا الأخلاقية في روايتين سابقتين ذكرهما بحيث عالجتا اللمسات السلوكية السلبية والنزعات الأخلاقية الإيجابية. وفي بيان أمير تاج السر صورة الأحياء وسكانها من حيث ثقافتها ودينها وأخلاقيتها وعاداتها. ومنها طعم رديء الذي يتذوق به الكثيرون عبر شخصية زهور الإثيوبية التي لقبت بملكة جمال الليل حيث نستطيع أن نتصور من لقبها المذكور ماهية حياتها اليومية ووظيفتها الفاحشة وانخفاض القيم الأخلاقية وتجاوز حدودها، حيث طرح الكاتب حالة المجتمع عبر شخصية باقر نوليام الذي ولد من أم مواطنة التقطته نطفة من أحد البحارة الصينيين العابرين في أواخر الخمسينيات. شخصيتان

---

[١١٥] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١٤١

[١١٦] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١٣٢

[١١٧] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١٣٢

[١١٨] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص:٢٤

زهور الإثيوبية وباقر نوليام تدلان على بعض الحقائق التي لا تزال تمشي معها أهالي الأحياء والقرى من كثرة الزنا وتعدد المولودات لم تعرف آبائها وكانت هذه هي الصورة الواضحة لحي المساكن أي حي البطل الرئيسي المرحوم. وفي جانب آخر، تحدث الفواحش في المجتمع ممن نعتبرهم مقدسين حيث يرتكب أبو المدلك بسوء حظه، بطل في الرواية "٣٦٦" ويقول الكاتب عن أخلاق أبيه السيئة وموقف ابنه تجاهها حتى يراها بعينها مرات خلال بيعه مع الزبائن مضيفا "لم يكن المدلك يحب أباه، يعتبره ظالما، وشاهده عدة مرات أثناء البيع، يمسك بأيدي النساء أو يلمس صدورهن"[١١٩]. فيمكننا أن نعبر هذا الزمان الحاضر ونقول عنه معتمدين على المثل الشائع "الجسر هو يأكل ثمراته".

إننا نشاهد الأفعال الجريمة من قبل الموظفين الكبار أيضا حيث يقومون باشتراك النشاطات المشوهة في ظلمة الليل ثم يظهرون أنهم هم المثقفون وقال الكاتب عنها بواسطة الحادث المباغث وقع في طريق مزرعة التي لا يدري أحد ما يدور فيها أي انقلبت عربة عبد الله حرفش، منتسب جهاز الأمن الوطني حيث كان في مراقبة مهمة بعربة حمراء اللون قادمة من ناصية المزرعة المشوهة حيث كان سائقها موظفا له رتبة عالية ومنصب عال في الإدارة. هذه الحالة في قول الروائي" إن العربة الصالون الحمراء التي كانت قادمة من المزرعة، تخص جهازا أمنيا آخر، لم ينسق معنا، وكانت في مهمة أرفع شأنا من مهمتنا، لأن سائقها كان برتبة أعلى، وكان مشاركا في النشاط المشبوه، يحاول تقصيه من الداخل، وأفسدنا مهمته التي أوشكت على النجاح، من دون أن نعلم عنها شيئا"[١٢٠].

أما العلاقات بين الأفراد والأسر والمجتمعات كلها تتوارى أنوارها بمر الأيام وكر العصور فهناك نوعان من الصداقة سطحية وعميقة حيث أشار إلى علاقة الزملاء السطحية وليست الصداقة الآن صداقة وطيدة كما كانت في السنوات الماضية حيث لم يجتهد زميل لآخر بقدر ما يستطيع ويقول المرحوم بطل رواية "٣٦٦" "وزملائي مجرد زملاء في وقت العمل، لم أدخل بيوتهم إلا حين كان يجب على أن أدخل، ولم يدخلوا بيتي إلا حين ماتت أمي"[١٢١]. مع هذا هناك علاقة عميقة حتى نجدها في الأماكن مع أن الكاتب

---

[١١٩]د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص:١٠٢

[١٢٠]د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١٢

[١٢١]د. أمير تاج السر، رواية٣٦٦، ص:١٢

يأتي بكلام النساء اللاتي يعرفن تماما عن أصدقاء أزواجهن، وهذا ما نراه في عالمنا المعاصر بحيث قال "والنساء في بلادنا يعرفن من يعرف أزواجهن، الصديق خارج البيت، هو نفسه الصديق داخل البيت، تعرفه الزوجة ويعرفه الأبناء"[١٢٢].

الخيانة الشائعة بين الأصدقاء أمر محذور لا يحسن التطبيق في حياتنا اليومية لأن الأحباء لا يحبون بتحديد بالمقاييس ولكن يعشقون بوسعة قلوبهم وبدون أي تحديدات ولكن قد كثرت الخيانة حتى في سرقة فكرة أخيه. في رواية "صائد اليرقات" يعزم الفرفار ألا يحكي عن شخصيته الجديدة كاملا للروائي(أ.ت) لأنه قد خانه وسرق منه شخصية المدلك الذي تم بيانها أمامه وهو يقول عن شخصيته الجديدة "لم أحكها لأنني لم أدرسها جيدا كما درست شخصية المدلك، هذه الشخصية ستفيدني بلا شك، سأعمل عليها في سرية تامة"[١٢٣]. هناك شيء غريب أراد الروائي(ا.ت) أن يختار فرفار شخصية لروايته الجديدة حيث أنه يحاول أن يجد شخصيات مناسبة لرواياته حيث قال الروائي" دائما ما أبحث عن الجديد في كل نص أكتبه. لقد ظهرت أنت في حياتي فجأة، وتصادقنا بسرعة غريبة، وكنت في كل يوم أجد في شخصيتك دافعا لكتابتها، أنت شخصية روايتي الجديدة يا فرفار- حرفش"[١٢٤] حتى كتب ذلك الروائي رواية جديدة عن فرفار وصنع له ماضيا وحاضرا ومستقبلا وأتي فيها بعضا من الواقع وشيئا من الخيال وكان يقيم خلال فترة كتابتها في بيت قريب لبيت فرفار حيث يبين سياق الكتابة وحياته في تلك الفترة التي كتب فيها تلك الرواية "لقد استأجرت غرفة الحارس في الميدان الرياضي قرب بيتك، ودفعت له إيجار غرفة أخرى ينام فيها، كنت أريد أن أكون قريبا من موضع الإلهام حتى أكتب جيدا... ستجد نفسك فرفارا آخر في روايتي، فيه أشياء منك وأشياء ليست منك، أشكرك يا فرفار- حرفش..أشكرك بشدة وأهدي إليك تلك الرواية رغم أنني لا أكتب إهداء لأحد"[١٢٥].

---

[١٢٢] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص:١٢٥

[١٢٣] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١٢٣

[١٢٤] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١٤٧

[١٢٥] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص:١٤٨

يشير الكاتب إلى بعض الأصدقاء الذين يغيوبون حينا بدون إخبار أحد من أصدقائه خوفا من أن يكون مقصوده غير متحقق حيث أن الروائي(أ.ت) غاب عن عبد الله فرفار الذي كان صديقه الحميم وتلميذه الذي يستمع إلى نصائحه ويتبع آرائه وطقوسه. ثم يشعر فرفار بإحباط حقيقي حين سمع من أحد أصدقاء الكاتب "إن الأستاذ في إجازة من المقاهي والأصدقاء، مشغول بكتابة رواية جديدة قال إنه استوحاها من شخصية مذهلة لا تتكرر كثيرا وأجل رواية لاعب كرة القدم التي كان يخطط لها. لقد رأيته مصادفة بالأمس في إحدى المكتبات، كان يشتري ورقا وأقلاما وقال لي: أخبر الأصدقاء عن غيابي"[١٢٦]. وأشار الروائي إلى التلاميذ المزعجين أساتذتهم حتى في عصرنا الحاضر عبر تلاميذ المرحوم، مدرس لمادة الكيمياء في إحدى المدارس المتوسطة حيث قال" وتلاميذي قساة ومستهترين في أغلبهم، وكم من مرة أغاظوني، أفسدوا قمصاني وسراويلي المحدودة العدد بمحاليلي نفسها"[١٢٧].

المبحث الثالث: الجوانب الدينية

ومن الحالات الاجتماعية التي تزداد يوما فيوما فرار المراهقات مع من أردن أن يتزوجنهم حيث فرت في رواية "٣٦٦" أخت عبد القادر المراهقة المسكينة إلى بيت حلاق أعزب، ومع هذا يجلب الكاتب انتباهنا إلى حقيقة مريرة لا بد لنا أن نعرفها "ليس من العدل أن تموت فتاة لأنها أحبت، أو اختارت رجلها وفرت معه، وليس من العدل أن أوصف فاجرا أو ضالا بلغة ألماني أبي الصاحب، لأني أحبك"[١٢٨]. وبعد هذا الفرار كان بيت عبد القادر يحتفظ على أخته، مراهقة فرت وعادت مكرهة حيث أن أهلها يشوونها بعيدا عن الغرباء لذا مرة لم يستطع المرحوم ان يدخل بيته أيضا. إذا تأملنا في هذا الجانب بمنظور إسلامي عن غيابة المراهقات المسلمات من بيوتهن ليعشن مع من وقعن في غرامهم أشد الغرامة فتبيتهن وعيشهن معهم ولو بصورة الحياة الزوجية غير صحيح بدون النكاح الشرعي وإلا فلا جناح عليهن. مع أن الإسلام لم يحفز الزواج الغرامي ولم يحثه حيث يقع فيه فرار المراهقة مع الأجنبي قبل العقد الحتمي الإسلامي لتبيت معه

[١٢٦] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١٢٠

[١٢٧] د. أمير تاج السر، رواية٣٦٦، ص:١٢

[١٢٨] د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص:١٣٠

وتعيش كزوجة بل يشجع الزواج المرتب بأيدي الأبوين حيث سيدعمان في علاقة ابنتهما مع رجل كافئ لها وسيرضيان به لها في حياتها المستقبلية وسيفرحان بعيشتها المريحة معه حتى لا نحس فيه الصراعات والمنازعات بين قيمي الاجتماعية والأخلاقية.

إذا عالجنا هذه المواقف تحدث في عصرنا هذا بصورة كبيرة فيحسن لي أن آتي بالأحاديث التي تدل على أن خلوة المرأة مع الرجل الأجنبي قبل النكاح الشرعي حرام على الإطلاق لأن الخلوة المحرمة هي أن ينفرد رجل بامرأة أجنبية عنه لا يكون ثالث بحيث يحتجبان عن الأنظار. قد جاءت الأحاديث النبوية الصريحة بالتحذير من ذلك، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: "لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم"[١٢٩] وأيضا قال صلى الله عليه وسلم "ألا لا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان"[١٣٠] ومن كان الشيطان ثالثهما فهو قائد لهما نحو المعصية وارتكاب الفاحشة.

ومع هذه المشكلة الحرجة، ينبه الكاتب إلى ضرورية اعتنائنا بآراء العروسات لا يرضين أزواجهن إن لم يكونوا معهن طوال حياتهن حيث فرت زوجة حليمو وهجرته بسبب عدم حضوره عندها منذ شهور متعددة بالرغم من أنه يعمل في البحر لعائلته ولتحقيق رغبات زوجته من الحياة السعيدة وغيرها من المستحسنات الأسروية حيث يشير إليه الكاتب "وقد كان حليمو متزوجا فيما مضى، من إحدى القبائل المحلية، وهجرته زوجته بسبب بقائه في البحر لأشهر طويلة"[١٣١]. هناك جانبان لهذا الموضوع جانب الزوجة وجانب الزوج كلاهما مبرران وضروريتان لا غنى عنهما ولكن يحسن لهما أن يتسما بالتوسيط المعتدل بين العمل في البحر والحياة الزوجية لأن الزوجة لم ترغب إلا احتياجاتها النفسية والزوج ما سعى إلا لأهلها لتحقيق أغراضهم المنشودة. مع هذه التبريرات فحق علينا أن نعتني الأمر بما اعتبر الإسلام لأن من حق الزوجة على زوجها ألا يغيب عنها أكثر من ستة أشهر إلا بإذنها مستدلا بما في سنن سعيد بن منصور، حدثنا سعيد قال حدثنا عطاف بن خالد قال حدثنا زيد بن أسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج ليلة يحرس الناس فمر بامرأة وهو في بيتها وهو تقول:

---

[١٢٩] أبو بكر محمد بن اسحق بن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، الجزء الرابع، ص: ١٣٧

[١٣٠] أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي، مسند الحميدي، ج١، ص: ١٦٦

[١٣١] د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ١١٣

تطاول هذا الليل واسود جانبه وطال عليّ أن لا خليل ألاعبه

فوالله لو لا خشية الله وحده لحرك من هذا السرير جوانبه[١٣٢]

ثم سأل عمر ابنته حفصة: كم أكثر ما تصبر المرأة عن زوجها؟ فقالت: أربعة أشهر أو خمسة أشهر أو ستة أشهر فقال عمر: لا أحبس أحدا من الجيوش أكثر من ذلك. وأما ما فهمنا من الحديث فلا يحسن للزوج الغياب عن زوجتها بغير إذنها أكثر من الفترة المحددة ولكن قضية حليمو في الرواية متعلقة بإذن زوجته.

قد يقع في حياة شخص كما وقع في حياة المشجع، بطل روائي حيث يدفن في قبر حفره في وقت كان يعمل فيه في مقابر عمران اتفاقيا محضا. الكاتب يقول "إن أصدقاء زوجها عثروا على قبر محفور في مقابر عمران حيث كان يعمل، وعليه شاهدان كتب عليهما اسمه وتاريخ ميلاده، وترك تاريخ الموت حتى يحدث. هو من حفر قبره إذن، ولعله آخر قبر حفره قبل أن يضيع"[١٣٣]. وينقد الكاتب بالسخرية التفاخر بعدد الحج والعمرة حيث يقوم به العديد من الحجاج والمعتمرين ويبطلون ثواب أعمالهم ويعلنون عدد الحج والعمرة للسمعة والرياء قال عن هذه المصيبة والسقيمة عبر شخصية الرواية "محبوبة" التي كانت تفاخر بأنها أدت فريضة الحج عدة مرات، وكتبت عبارات الحج المبرور والذنب المغفور والعود الحميد، على باب بيتها، بنفس النهج الذي يكتب به الطاهرون"[١٣٤]. الأمر المهم هنا، ليس الفخر بالحج والعمرة حسنا بل على صاحبهما أن يدع الفخر به أمام الناس لأن كل عمل يجب علينا أن نصرفه لله تعالي وحده والفخر أمامهم من أقبح المقاصد وأرذل الأعمال.

عدم إيقاظ كلمات متعلقة بالآخرة التي سمعها المرحوم، بطل الرواية من المسجد عند صلاة الجمعة مما لا يرجى من المؤمنين لأن حياتهم سائدة بين الخوف والرجاء. ولكنه لم يعتبر إلا كلمة واحدة هي أسماء بشدة غرامه لها حيث يبين حاله في ذاك الوقت "لم توقظني كلمات مثل: الآخرة والنار، وعذاب القبر، وشجرة الزقوم، بالرغم من أنها رددت كثيرا، وأيقظتني كلمة واحدة، هي أسماء التي وردت على لسان الخطيب في

---

[١٣٢] أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني، سنن سعيد بن منصور، ج٢، ص: ٢١٠

[١٣٣] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١٢٦

[١٣٤] د. أمير تاج السر، رواية٣٦، ص:١١

منتصف الخطبة. أظنه عدد أسماء أمكنة أو أزمنة معينة، لم أركز جيدا، أبقيت كلمة أسماء في ذهني وحدها[١٣٥].

أمير تاج السر يلوح إلى بعض العادات العريقة الإسلامية التي لا تزال تجري وتسير في المجتمع السوداني والتي نجدها ضئيلا للغاية في مجتمعنا الحاضر حيث يدعو المصلون السودانيون الآخرين لتناول الغداء من بيوتهم والبطل "المرحوم" لم يدع الفرصة لأحد من المصلين أن يدعوه لأنه خرج من المسجد مبكرا جدا هو يقول عن دعوات الناس "ولم أدع فرصة لأحد من المصلين، أن يدعوني لغداء في بيته، وكانت هذه عادة من عادات حي المساكن والأحياء الشبيهة به، أن يتطوع أحدهم حتى لو لم يكن يملك شيئا، بدعوة عزاب الحي إلى غداء، وهي في الغالب مجرد دعوات لسانية بلا تنفيذ، ينساها الداعي والمدعو إليها في لحظتها"[١٣٦]. اقتلاع الشعيرات البيضاء من العادات غير الشرعية حيث يحث الإسلام على أن يدع صاحبها في سبيلها أي لا ينتفها المصاب بها ويؤكد أنها ستأتي يوم القيامة نورا لأصحابها وجاء في السنة النبوية "لا تنتفوا الشيب، ما من مسلم يشيب شيبة في الإسلام إلا كانت له نورا يوم القيامة"[١٣٧]والعبارة التي تدل على اقتلاعها في الرواية "وفي أحيان قليلة، كان يمسك مقصا موضوعا أمامه، فجأة، يقتحم شاربي الذي لا أعرف كيف أجعله شاربا محترما، ويقوم بتهذيبه، واقتلاع الشعيرات البيضاء التي ربما وجدت على حوافه"[١٣٨]. ولكن الكاتب لم يحترز حكم الشريعة الإسلامية في نتف شعر الوجه واللحية منه لأنهما غير حسن لما فيهما من النمص وهو نتف شعر الوجه واللحية منه وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله"[١٣٩]فعلينا أن ندع ما خلق الله على سبيله ولا نجترئ أن ننتف منه شيئا.

---

[١٣٥]د. أمير تاج السر، رواية٣٦٦، ص:٣٢

[١٣٦]د. أمير تاج السر، رواية٣٦٦، ص: ٣٣

[١٣٧] أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحق بن عمرو الأزدي، سنن أبي داود، ج٤، ص: ٨٥

[١٣٨]د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص:٨٣

[١٣٩] مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، الجزء الثالث، ص: ١٦٧٨

ويشير الكاتب إلى الثورة ضد شريعة الإسلام، تحث ختان النساء كما تحرض ختان الرجال بل الفرق بينهما لأن الختان واجب في حق الرجال وسنة في حق النساء بما فيه من ميزات بين المسلمين والنصارى حتى كان المسلمون يعرفون قتلاهم في المعارك بالختان. وهو يقول في الرواية عن "الثائرة دنيا المعروفة بنشاطها ضد ختان البنات، وحملت السلطة في عدد من الخطابات التي ألقتها في المدينة، مسؤولية البرود الجنسي لأكثر من مليون فتاة، تم ختانهن في الأعوام الأخيرة. كانت تساق أمامي في تلك اللحظة، إلى المبنى وقد شد أحدهم شعرها، ومزقه"[١٤٠]. وفي العبارة السابقة كانت تجري في بعض الأماكن ختان البنات شائعا، ومع هذا يرفع صوت ضئيل ضد تطبيق هذه السنة النبوية فيها على سبيل المثال محاولة الثائرة دنيا لجهالتها المظلمة تجاهد لإلغاء هذا الختان حيث تواجه التعذيب الشاسع من قبل السلطة الأمنية في البلاد.

وفى الرواية خلق سيئ حيث يعارض شرائع الإسلام أي أن يكون المرء عاريا ولو في غرفته الخاصة حيث لم يره أحد ولكن الله يعلم ما نسرّون وما نعلنون. هذا ما نقرأ قول عبد الله حرفش في رواية "صائد اليرقات" "نزعت ساقي البذيئة من جسدي، خلعت ملابسي كلها، وجلست عاريا أستعيد قصة المدلك زوج العمة وأكتب. الطقس العاري الذي ربما يمنحني يرقة تنمو.....لا أدري"[١٤١]. وأن هذا العمل الذي قام به عبد الله حرفش مخالف تماما لما يحث عليه الإسلام من الستر والحياء لا يأتي إلا بخير وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم عنه "والحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة"[١٤٢] حتى قيل عن عثمان رضي الله عنه ما اغتسل إلا جالسا حياء من الله من انكشاف عورته.

إن الروائي أمير تاج السر يلمح إلى أزياء الصوفيين المعاصرين حيث يركزون على الأزياء الخضراء والمسبحة الضخمة في أعناقهم عبر شخصية المشجع(ع.د) الذي كرم بواسطة رئيس البلاد بوصفه شخصية وطنية حيث قال عنه "كان يرتدي زيا أخضر مما يرتديه رجال الطرق الصوفية، وتتدلى من عنقه مسبحة ضخمة

---

[١٤٠] د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، ص: ١٠٤،١٠٣

[١٤١] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١٠٥

[١٤٢] أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي، الجامع في الحديث لإبن وهب، الجزء الأول، ص: ٥٧١

من ثمار اللالوب"[١٤٣]. والكلام هنا عن خصوصية الأزياء الخضراء في الإسلام ليست لها براهين ساطعة ودلائل قاطعة.

المبحث الرابع: نزعات الحياة الفلسفية

وفي كتاباته قطرات من فلسفيات الحياة والبواعث التشجيعية لمن يواجه المشكلات والمعضلات والتحديات في حياته اليومية كالإعاقة في المشي وغيرها من الأزمات النفسية والجسدية. وهنا ينجح الروائي أن يشخص شخصا له إعاقة المشي بسبب ساقه الخشبية حيث يمارس في كل مراحله حتى يستطيع أن يسبح في النهر وينحشر بها في حافلات النقل الممتلئة بالفقر والبشر عبر اعتراف البطل الرئيسي، عبد الله حرفش قائلا "وسحبت بها مرة في النيل ساعتين كاملتين من دون أن تتخلخل، وعددت ذلك نصرا كبيرا"[١٤٤]. ومن فلسفات الحياة اليومية التي تستوجب أن ننتبه إليها أي تحقيق الآمال لا يتحقق إلا بعد الجهود الجبارة حيث قال الأديب عن النجاح الباهر "والنجاحات الكبيرة كما اعرف، تأتي بعد عشرات المحاولات"[١٤٥]. يشير الكاتب مراحل حياة الإنسان من انخفاضه وارتفاعه حيث ارتقي غلوم الطيب، صاحب فندق غلوم إخلاصي بدبي من حالته الفقيرة إلى ما هو فيه ويقول عنه الكاتب مبينا حياته السالفة "هل تعرف أنه كان متسولا في الشوارع حين قدم من بلاده، وتحول بذكائه إلى صاحب فندق؟...صحيح أن فندقه لم يدخل تصنيف النجوم، لكنه أرقى من الهيلتون"[١٤٦]. ومع هذا أتى بشخصية بارزة في الرواية هي طالب المدرسة أي تلميذ أستاذ الكيمياء، المرحوم، لأنه رمز للطلاب الذين يسعون ليجمعوا جانبي الدراسة والحياة معا حيث يستهدفون إلى أن يعولوا أسرتهم الفقيرة مع تعلمهم في المدارس. هنا نجد تلميذ المرحوم يعمل في أحد الإستوديات مساعدا لتقطيع الصور بحيث يبين المرحوم ما شاهده "وقد عثرت في أحد الإستوديات الثلاثة، على تلميذ عندي، يعمل مساعدا لتقطيع الصور ووضعها داخل إطارات، في كل يوم جمعة، كي

---

[١٤٣] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص:٢٥

[١٤٤] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص:١٤

[١٤٥] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص:٦١

[١٤٦] د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١٣٥

يعول أسرته الفقيرة[١٤٧]. ومن الحقائق التي قام الروائي بتوضيحها سحرية في كلام النساء بالنسبة إلى كلام الذكور في أغلب الأحيان يعني في بيان النساء عما شاهدن في السوق مثلا أو في مكان آخر زرنه سحر حيث يشمل كلامهن تمام الأشياء بكل دقة كما نرى في كلام المدلك مخاطبا لزوجته "حدثيه أنت عن الأسواق من فضلك... النساء يفهمن في بعثرة النقود أكثر من الرجال"[١٤٨].

المبحث الخامس: مجهودات جادة لتحقيق المرام

يمكننا أن نرى عبر شخصية عبد الله فرفار، محاولته المستمرة لكتابة الرواية حيث يحسن الجو الملائم لها ويبين عن ترتيبه في بيته "فقط زينت صالة بيتي بعدة مزهريات إضافية وقطعتين من الكريستال اشتريتهما من دكان طوبيا للنجف والكريستال. وكانت رائحة معطر الجو بالنعناع تفوح في المكان وتجعله موحيا. على الجدار المقابل كانت صورتي وأنا في الخامسة عشرة أحمل قوسا كنت أستخدمه في صيد العصافير، معلقة تطالعني. بجوارها صورة لأمي الراحلة، تجلس على سرير من الحبال وبين يديها مروحة من السعف"[١٤٩].

فنحس أن الروائي الذي التجأ إليه عبد الله فرفار لتحقيق رغبته الشديدة في كتابة الرواية حيث تبادل معه فكرات شخصية روايته الجديدة ستصدر قريبا آمنا به، ولكن قد خانه أخيرا أي سرق شخصيته وكتب رواية أخرى بمساعدة الشخصيات التي قام بها فرفار لسردها، مرة قال "أخبرته بعد أن وثقت به، وتأكدت أنه لن يسرق مني شخصية أود كتابتها، بل العكس كان يمدني بالشخصيات، ويحرضني باستمرار على محاولة كتابة صاحب مقهى البئر"[١٥٠]. ولكن اضطر أن يقول فرفار أخيرا بسرقته الرذيلة "وأحس ببوادر الإغماء، تماما مثلما حدث لي يوم عرفت بأن الروائي(أ.ت) قد خانني وسرق مني شخصية المدلك"[١٥١]، وقد أخبره وتحدث معه فرفار عن المدلك وحفار القبور وشخصيات أخرى عرفها في حياته. مرة قال عن

---

[١٤٧]د. أمير تاج السر، رواية٣٦٦، ص: ٣٥

[١٤٨]د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١٠٣

[١٤٩]د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ٧٥

[١٥٠]د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ٩٤

[١٥١]د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١٣٨

شخصيته في الرواية أي عن المشجع "الوضع مختلف الآن والمشجع أحد أعمدة كتابتي التي سأكتبها ويجب أن أتقصى حياته أيضا مثلما سأتقصى حياة المدلك زوج العمة...شيء من الواقع...أشياء من الخيال وتأتي الكتابة الجيدة"[١٥٢] ومرة أخرى قال" شيء من الحقيقة...شيء من الخيال"[١٥٣]. أجاب الروائي لسؤال عبد الله فرفار عن الأحداث في الروايات من حيث أنها حقيقة أم لا "ليس كل ما يكتب حقيقة بالطبع أخي فرفار...توجد حقيقة ويوجد خيال، والعمل الناجح هو الذي يوهم القارئ بأن الخيال حقيقة"[١٥٤]. وهو يقول عن تجربته المتميزة حيث يجد كثيرا من الشخصيات من حياته اليومية قائلا "أعرف أشخاصا عديدين مثل صاحب المقهى وربما يفوقونه ليونة وتكسرا، أشخاصا في طفولتي، أشخاصا في صباي المبكر، زملاء في المدرسة وجيرانا في الحي الذي نشأت فيه"[١٥٥]. وكان الروائي يشجع عبد الله فرفار في بداية كتابته وآمن بأنه سيساعده في تطوير اللغة والخيال حيث يبين ما أحس من تعامله مع الروائي "كان يضع يده على كتفي في مودة ويبتسم، وأحس به في تلك اللحظة كاتبا حقيقيا تغاضى عن كل شيء مخز حدثته به، واحترام رغبتي الجديدة في التغيير. قطعا سيشجعني على تطوير الخيال، على تطوير اللغة...أنا أحبه الآن وأود لو أصبحنا صديقين. وفي اللحظة التي استرخيت فيها تماما، كنا بالفعل صديقين...نتبادل حديثا هادئا[١٥٦]. نرى في الرواية همته وعزمه حيث يقول مشيرا إلى المسيحي "غدا سيعرف كل شيء حين يأتيه كتابي مطبوعا ليضعه في مكتبته"[١٥٧] ويحلم أن يرتب رواياته وكتبه الأخرى في الخزانة الصغيرة كما وجدها في بيت الروائي ومكتبة المسيحي حيث عثر على خزانة صغيرة من الخشب مكونة من خمسة رفوف في أحد محلات النجارة القريبة من مسكنه وباعه النجار بثمن معقول، ثم يتأمل عن مكتبته الوليدة "ستكبر المكتبة... ستكبر بكل تأكيد، ستمتلئ بقية الرفوف، وسأخصص واحدا منها لرواياتي التي سأكتبها"[١٥٨].

---

[١٥٢]د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ١٠٠

[١٥٣]د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ٩٠

[١٥٤]د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ٧٤

[١٥٥]د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص:٩٠

[١٥٦]د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ٨٤، ٨٥

[١٥٧]د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص: ٩١

[١٥٨]د. أمير تاج السر، صائد اليرقات، ص:٩٢

تتميز روايتا أمير تاج السر" صائد اليرقات" و"٣٦٦" بالشكل الفني الذي يعترف به كل منا لأنه ضرورة ملحة لا مجال لتجاهلها في أي نوع من أنواع الفن. أما الشكل الفني فهو "الحصيلة الجمالية لتفاعلات جزئيات المضمون وحيوية خلاياه"[١٥٩]. ومما يدل على أن الكاتب أو الفنان قد نجح في كتابته هو الشكل الفني الناجح حيث نعتنيه كنتيجة مباشرة لنجاح الفنان في استيعاب مضمونه الفكري وإخضاعه للمقومات الدرامية التي تعتمد على الأدوات الفنية مثل الحوار والشخصية والموقف والحدث وغيرها.

استطاع الكاتب أن يطرح الرسالة الإنسانية عبر هاتين الروايتين وإلا لا يمكن له أن يصبح أديبا كاملا. أما الرسالة الإنسانية أو المضمون الفكري أو معنى العمل الأدبي هي "التي يريد الأديب توصيلها إلى الملتقى"[١٦٠] حيث نستطيع أن نجعلها خاتمة للشكل الفني لأنه يعمل كمجرد وعاء أو غلاف له ولكن تنتهي مهمته بانتهاء فهم الرسالة الفكرية التي يريد الكاتب توصيلها.

ومما يميز روايتيه من الأخرى حبكتهما الفنية و"الحبكة أو العقدة هي الإطار أو الخط الأساسي الذي يربط المواقف والأحداث في نسق متتابع بطريقة أو بأخرى، بصرف النظر عما إذا كانت بسيطة أو معقدة مركبة"[١٦١] وقد ساعدت هذه الحبكة أي النسق المتميز لتنهض البناء الدرامي في الرواية ومع هذا، حينما تفقد الحبكة من الرواية لا تمكن إدارة الصراع بين الشخصيات لأن كل الأحداث والمواقف ستتناثر وبالتالي ستفقد معناها ووظيفتها. وأما في روايتيه فنجد انتقالات الأحداث السابقة إلى الأحداث الجديدة ثم تنتهي بنهاية مذهلة حيث تتجمع فيها كل الأحداث السالفة وتنصهر ففي بوتقة نهائية حتى توجد فيها عناصر الحبكة التي" تتكون من بداية تعرض من خلالها الخيوط التي تفترض وقوع أحداث تالية، ثم وسط يستمد طاقته من الأحداث السابقة ويدفع بأحداث جديدة إلى الساحة ثم نهاية تتجمع فيها كل الأحداث السالفة وتنصهر في بوتقة نهائية"[١٦٢].

---

[١٥٩] د. نبيل راغب، كيف تصبح أديبا؟، ص: ٩

[١٦٠] د. نبيل راغب، كيف تصبح أديبا؟، ص: ٢٥

[١٦١] د. نبيل راغب، كيف تصبح أديبا؟، ص: ٥٥

[١٦٢] د. نبيل راغب، كيف تصبح أديبا؟، ص: ٥٦

فضل ترويج واسع لروايتيه يرجع إلى حوارهما الدرامي حيث أنه في الرواية أو المسرحية أو القصة يقوم بمهام فكرية وفنية متعددة ولا يقتصر دوره على محض الكلمات والجمل التي تتلفظ بها شخصيات الرواية بالفعل. أما الحوار الدرامي في مجال الرواية "الحوار بأجواء اجتماعية ونفسية متعددة وخصبة، ويعري الشخصيات من خلال تيار الشعور واللاشعور عندها، ويضيف جوا طبيعيا ينبع من واقع القصة الراهن"[١٦٣]. أما لغة أمير تاج السر في الأدب فلعبت دورا بارزا في كتابته الأدبية بالرغم من أن اللغة أداة للتعبير والتوصيل والتجسيد الفني وأما لغته في الأدب فليست مجرد تعبير عن معنى محدد من خلال ألفاظ مرصوصة أو قوالب لغوية جاهزة، بل هي خلايا لفظية ومعنوية وعقلية ووجدانية تتفاعل داخل الجسم الحي للعمل الأدبي.

[١٦٣] د. نبيل راغب، كيف تصبح أديبا؟، ص: ٧٦

خاتمة البحث

الرواية العربية في السودان تزدهر وتتفوق إلى أوج كمالها يوميا بأنواعها المختلفة منذ ظهورها في أوائل الستينات بشكل معتبر في الأدب العربي حيث قال الدكتور حمدي السكوت "إن الرواية العربية السودانية بدأت تكتب بشكل مطرد منذ أوائل الستينات". ومن الذين ذاعت أسمائهم في خارطة الرواية العربية المعاصرة السودانية "عبد العزيز بركة ساكن" و "إبراهيم الحردلو" و" أبو بكر خالد" و " مكي محمد على" و " الطيب صالح" و " أمير تاج السر" وغيرهم ولكن كانت الرواية العربية السودانية وقبوليتها منحصرة على الأعمال الأدبية للطيب صالح حتى سمي بـ"عبقري الرواية العربية" لأنه كان يوصلها إلى المستوى العالمي بعبقريته الفذة. لكن بحسن الحظ، انعكست حالات الرواية السودانية ومستوياتها حاليا لما تقدم الأديب النبيل والطبيب النابغ والروائي القدير د. أمير تاج السر الذي يعتبر "سيد الرواية العربية السودانية وأميرها "كما يستلهم من اسمه حيث خلف للعالم العربي عشرين رواية وديوان شعر وكتابين في السيرة الأدبية ولا يزال يكتب الأعمال الأدبية مع أنه يعالج المرضى بمستشفى الدوحة، دولة قطر بشكل يومي مذ ١٩٩٣م. ومما يفهم من مهاراته اللغوية ومكانته المرموقة بين الأدباء البلغاء والروائيين النوابغ المعاصرين أنه قد ترشحت روايتاه الجديدتان "صائد اليرقات"و"٣٦٦" ضمن القائمة القصيرة والطويلة لبوكر العربية في السنتين الماضيتين ٢٠١١م،٢٠١٤م على التوالي كما أنه حاز على جائزة كتارا للرواية العربية في دورتها الأولى سنة ٢٠١٥م لروايته "٣٦٦" لكونه أديبا متميزا في صخر الكتابة الروائية حتى صار رقما لا يمكن تجاهله.

دولة السودان ربما لم ينظر إليها الكثيرون بصورة معتبرة في مسألة الثقافة واكتفوا ببعض المنجزات المشهورة مثل الشاعر محمد الفيتوري والروائي الطيب صالح وغيرهما لكن على المهتمين بها أن ينتبهوا إلى المساحة الأدبية بأفضل صورة حتى يتعرفوا على ثقافتها الموجودة الآن. أما أمير تاج السر كاتب من الجيل الجديد حيث ثبت نفسه كقامة روائية كبيرة في السودان وعلى الصعيد العربي، بدأ بـ"الأحزان الكبيرة" شاعرا وتحول إلى عوالم السرد الأرحب غير مقلد للكاتب الراحل ومواطنه وخاله الطيب صالح الذي غطى بعبقريته وإبداعاته تميز التجربة السردية بالسودان لمدة سنوات طويلة. ولا غرابة في قولنا، إن هذا العصر عصر لأمير تاج السر وهذا الوقت ملائم له كما يقال "الأمور مرهونة بأوقاتها" حتى يعد أنه الآن من أفضل الأقلام في

الرواية العربية الحديثة لأنه بذل أقصى ما في وسعه لتوسيع نطاق الرواية العربية السودانية. ومن الواضح كفلق الصبح أنه لا يدع سنة بدون تقديم شيء جديد من إبداعاته الأدبية بالرغم من أعبائه الكثيرة بوظيفته الطبية ومشاغله اليومية في مستشفى الدوحة، دولة قطر حيث يعتبر الرواية كبيت شاسع الساحة يمكن أن يؤوي كل الفنون الكتابية إليه. قد حققت رواياته كلها النجاح المأمول لأنه يتناول فيها الواقع ويستمر بالخيال حتى جاءت الدراسة المعنونة بـ" الينابيع السحرية ومسرات الخيال: لمحات من روايات أمير تاج السر" للكاتب الجليل صلاح الدين سر الختم علي. ومن أعماله التاريخية "توترات القبطي" و "مهر الصياح" وغيرهما حيث أخذ فيها بعض المعطيات التاريخية وبنى عليها ولكن أسلوبه في سيرته الذاتية أسلوب مغاير لما عرفه عنه القراء.

وهذا البحث الذي دار حول الرواية العربية في السودان وتذبذبها بين الانحطاط والارتفاع ومراحل نشأتها مع تركيز خاص على روايتي أمير تاج السر "صائد اليرقات" و"٣٦٦" فيما يتعلق بتصويرهما المجتمع السوداني توصل إلى بعض الحقائق والنتائج. ومما يجدر بالذكر هنا أنه يزعجنا كثيرا لأن نطلع على تطور الرواية العربية في السودان عبر العصور المنصرمة معتمدا على تاريخ إصدار رواياتها لأني ركزت نظري على بعض الروايات التي يتغير عام إصداراتها عن عام كتابتها حتى اختلف بعض النقاد في تأكيد سنة صدور الرواية الأولى "تاجوج" لهاشم عثمان حيث يدعي البعض أنها صدرت عام ١٩٤٦م والبعض الآخر سنة ١٩٤٨م، فيمكننا أن نقول بأن السنة الأولى سنة الكتابة والثانية سنة الطباعة كما أن هناك فاصلا زمنيا بين صدور العمل الإبداعي والكتابة النقدية عنه كما أشار إليه هاشم مير غني، أستاذ في قسم اللغة العربية بجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا في مقالته المعنونة بـ "الطيب صالح وإشكاليات الخطاب النقدي".

وأدين في هذا البحث بتوضيح ما أوصلني إلى أن أتعرف على قدر اهتمام دولة السودان بنشر الإنتاجات الأدبية للأدباء السودانيين حيث لم تنجب عديدا من الأدباء والروائيين من أرضه العربية إلى المستوى العالمي كما أنها لا تساعد متمولة على الإصدارات الجديدة لتتجلى في الساحة الأدبية الحديثة إلا بحد محدود. ولا غرابة في أن نقول بأنه ما كان يعرف القراء العرب إلا الطيب صالح الذي ذاع صيته بسبب روايته الشهيرة "موسم الهجرة إلى الشمال" مع أنه كان يعمل خارج السودان لسنوات طويلة ولكن الآن هناك

أسماء مسموعة في مضمار الرواية السودانية المعاصرة كأمير تاج السر وعبد العزيز بركة ساكن وحمور زيادة وليلى أبو العلا وغيرهم من الجيل الجديد حيث أنهم اشتهروا بغزارة إنتاجاتهم الأدبية التي نشر أكثرها من خارج السودان بنطاق واسع كما أنهم يتمتعون الحرية بالبوح والتعبير من الأوطان التي يستوطنون فيها.

وإذا تغلغلنا قليلا فيما يرتبط بمستوى الرواية السودانية بين الروايات العربية العالمية فنجد أنها لم تصل إلى مرحلة النضج والنمو ولم تجد مكانة مرموقة من الاعتبار والاعتناء باستثناء عدد محدود من تأليفات الروائيين والروائيات حيث لم ينتشر الأدب السوداني بالصورة المتوقعة، فهذا ربما لعوامل اقتصادية أو بواعث إعلامية وغيرها بالرغم من أن هنالك عديدا من المثقفين والمبدعين الذين يلعبون أدوارا حاسمة لإثراء الأدب العربي السوداني. وأما بالنسبة إلى الحركة الثقافية العربية فاكتشفت الطيب صالح في الستينيات من القرن الماضي واكتفت به ولكن قد جرت في نصف القرن الذي مرمياه كثيرة تحت الجسر لم يسع أحد لسبر أغوارها، لذلك سعدت كثيرا باختيار روايتي أمير تاج السر للبحث والدراسة في دورة ما قبل الدكتوراه.

ولعل أهم ما يستحق الإشادة به في هذا الصدد، هو تركيز أمير تاج السر عبر روايته "صائد اليرقات" على أن يلفت انتباهنا إلى حالة الفن الروائي المعاصر الذي يسير بمرحلة تشويهية حيث يميل إليها غير قليل من الروائيين الجدد، يجربون الكتابة ويجعلونها وسيلة للاكتساب وأداة للعيشة الراضية بدون اعتبار القراء الذين يتوقعون معنى جديدا للحياة من تأليفاتهم الروائية. يستهزئ الكاتب عبر هذه الرواية فكرة بطلها الرئيسي الغريبة، عبد الله حرفش ليكتب رواية ولم يدخل في حياته أي مكتبة من مكتبات مدينته لقراءة الكتب بل كان يدخلها لمصادرة الكتب الممنوعة دخولها الوطن لأنه كان ضابط الأمن الوطني. أما بالنسبة إلى قرار عبد الله حرفش فجأة ليكتب رواية فقد يكون مكروها ومذموما في العالم العربي خصيصا ولكن رغبته ومحاولاته تستحق الاعتناء وتستوجب الاعتبار من قبل من يعتنون بشأن الكتابة. في الجملة، ينقد الكاتب بنقد جذري محاولة تشويه صورة الرواية العربية وثقافتها الراقية واللعب العابث على الحروف والكلمات حيث كتب روايته المذكورة في حس مسؤول لأداء حقه تجاه مجتمعه المعاصر ليطلع على انخفاضات معاييره المتوقعة. ومما نفهم من ضمن سطور هذه الرواية أن كتابة الرواية ليست سهلة جدا كالتقارير الجافة حيث تحتاج إلى موهبة راسخة ودراية تامة وثقافة واسعة وتجربة غنية كما تلتمس الاستعداد الذهني الكامل وإلا

يصبح كاتبها كصائد اليرقات التي تموت قبل أن تتحول إلى فراشات محلقة ملونة، كما أن بذرة الكتابة الثمينة تحتاج إلى صقل لا يوفره إلا الاحتكاك بالواقع والقراءة والرصد الحيادي.

الاتجاه الاجتماعي والتاريخي هما جانبان مهمان تتداول بهما روايات أمير تاج السر حيث عالج القضايا الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والثقافية والدينية وغيرها من صور الحياة الريفية والمدنية وعادات المجتمع السوداني الغريبة عبر روايتيه "صائد اليرقات" و "٣٦٦".ومع هذا، أنه تناول في روايته "٣٦٦" أحداثا حدثت ما بين عامي ١٩٧٨م و ١٩٧٩م ولكنها كانت في منظور اجتماعي حيث أتى بتفاصيل دقيقة عن حياة السودانيين الذين يعيشون في الأرياف والمدن وما يواجهونها من التحديات الثقافية والاقتصادية ومن المعضلات الاجتماعية والدينية. قد نجح الكاتب في تصوير مجتمعه السوداني بكل ما فيه من خيره وشره حتى نستطيع أن نفهم حياة السودانيين فردية كانت جماعية عبر رواياته لأنها صارت مرايا صادقة لمعرفة عادات أي مجتمع من المجتمعات وما تجري فيه من التطورات والتغيرات وما يحدث فيه من الوقائع والأحداث كما كان الشعر ديوان العرب في العصور السالفة. الإصدارات الأدبية العديدة المطروحة بيد الدكتور أمير تاج السر في تاريخ الأدب العربي عامة والروايات العربية خاصة، مستحقة بالعناية والرعاية وجديرة بالذكر والثناء لأن هذا الشخص البارز قد نجح في إرضاء القارئين بلغته الشعرية وأسلوبه المشترك بين النثر والشعر في كل المحاولة.

حاولت في هذا البحث أن أسلط الضوء على مراحل نشأة الرواية العربية في السودان وعلى حياة أمير تاج السر الإبداعية وأعماله الروائية مع ذكر ميزات أسلوبه الأدبي الأنيق بإشارة خاصة إلى عملين روائيين له "صائد اليرقات" و"٣٦٦" كما بذلت فيهما أقصى جهدي لتشخيص المجتمع السوداني وملامحه المتميزة وصوره المتنوعة حيث لا يسوغ لباحث في تاريخ الأدب العربي وعاشقه أن يغض البصر عن جهوده المبذولة في مجال الرواية العربية المعاصرة ويبخس حقها. هنا اختصرت نظري وتعليقي على روايتيه المذكورتين فقط كما قمت بتحليلهما في الباب الثالث ومع هذا هناك مجال واسع منه للبحث والدراسة لمن يهتمون بشأنه الرفيع ويرومون الولوع في الأدب السوداني الحاضر لأن أعماله قد كتبت بحروف من الذهب في سجل تاريخ الأدب العربي حتى طفق يتحدث القراء العرب عنها بواسطة مواقع التواصل الاجتماعي بشكل

حيوي حيث يعجبهم بما لديه من الخبرة الطبية والتجربة الكتابية معا. فارتبط أمير تاج السر بالبيئة السودانية من خلال إنتاجاته الأدبية حيث كتب عن مدن وادي النيل بكل ما فيها معتنيا بشكل أصلي بالبيئة التي ترعرع فيها منذ طفولته حتى صار كاتبا محليا. وعلى غير طريقة المبدعين فقد كشف مفاتيح كتابته كلها وطريقة قدومها وآلية نضجها في كتابيه "ضغط الكتابة وسكرها" و "ذاكرة الحكائين" الصادرين حديثا لينير للقارئ الطريق الذي تسير فيه العملية الإبداعية عنده بالرغم من أنه لا يزال يلازم ثوب الطبيب المتخصص في الأمراض الباطنية.

قد استطاع أمير تاج السر عبر إنتاجاته الأدبية الفاخرة أن يعزز موقعه في خريطة السرد السوداني والعربي ويؤكد حضوره في مقدمة المشهد الروائي العربي والعالمي ويدهش قراء الرواية بقدرته الفذة على تحويل طين الوقائع إلى ذهب من السرد بطريقة مخيلة باذخة تختزن أدق التفاصيل بالرغم من أن تجاربه المبكرة لم تصل للقارئ بسبب النشر المحدود وعدم الاعتناء بتأليفاته الابتدائية. ومن السمات التي تميز رواياته صياغتها البارعة لشخصيات أبطالها الذين ينتمون إلى غمار الناس وعوامهم في أغلب الأحيان حتى يعبرون بشكل ساحر عن ميزاتهم المتميزة في سياقهم الاجتماعي وتفاصيله الحميمة وأسراره الاجتماعية.

وليس أمير تاج السر كاتبا محليا فقط بل توسعت سمعته وذاع صيته في العالم العربي وخارجه بترجمات عدة أعماله حيث تمت ترجمة رواياته المشهورة إلى لغات عالمية عديدة ومنها "العطر الفرنسي" إلى الفرنسية والإسبانية والإنجليزية و "صائد اليرقات" إلى الإنجليزية والإيطالية والفرنسية و" مهر الصياح" و "توترات القبطي" إلى الإنجليزية و "رعشات الجنوب" إلى الألمانية. وهو نجم سوداني قد بدا في ساحة السودان الروائية مؤخرا، لا يعدل الباحثون ومن يهتمون بشأن اللغة العربية وآدابها خاصة بالروايات العربية المعاصرة ومستوياتها الراقية إلا أن يتوجهوا إلى تأليفات هذا الكاتب النابغ الذي يدهش القراء بلغته الممتعة وأسلوبه الرائع. وما يمكن أن نقول عنه إنه أصبح في المشهد الروائي المعاصر ظاهرة يحسب لها ألف حساب كما أن نظريته في الروايتين اللتين سبق ذكرهما آنفا هي إطار شاسع النواحي للمفاهيم الاجتماعية كما يعد أن جانبه الأساسي المتداول في رواياته هو الجانب الأخلاقي في المجتمع.

المصادر والمراجع

المصادر العربية:

- أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي، مسند الحميدي، الجزء الأول، ط١، دار السقا، دمشق- سوريا، ١٩٩٦م
- أبو بكر محمد بن اسحق بن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، المكتب الإسلامي، بيروت، دون تاريخ الطباعة
- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحق بن عمرو الأزدي، سنن أبي داود، الجزء الرابع، المكتبة العصرية، بيروت، دون تاريخ الطباعة
- أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني، سنن سعيد بن منصور، الجزء الثاني، ط١، الدار السلفية، الهند، ١٩٨٢م
- أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي، الجامع في الحديث لابن وهب، ط١، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٩٩٥م
- إبراهيم الصعافن، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام ١٨٧٠- ١٩٦٧، دار الراشد، بغداد، ١٩٨٠م
- آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، دار الحوار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سوريا، ١٩٩٧م
- أدونيس، زمن الشعر، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢م
- بابكر الأمين الدرديري، الرواية السودانية الحديثة، رسالة الدكتوراه، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م
- بروفسور روجر آلن، الرواية العربية: مقدمة تاريخية ونقدية، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٧م
- بشير عباس، الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية، القاهرة،١٩٨٣م
- التيار المحافظ في الشعر السوداني المعاصر من عام 1920-1975 — حسن أحمد الشيخ- كلية اللغة العربية —بنين القاهرة ١٩٧٨

- جابر عصفور عثمان، زمان الرواية، دار المضى، دمشق، ١٩٩٩م
- د. أمير تاج السر، أحزان كبيرة (ديوان الشعر، طبعة قديمة)، وزارة الثقافة والفنون والتراث، دولة قطر، ٢٠٠٥م
- د. أمير تاج السر، أرض السودان: الحلو والمر (رواية)، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠١١م
- د. أمير تاج السر، إيبولا ٧٦ (رواية)، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢م
- د. أمير تاج السر، توترات القبطي (رواية)، ثقافة للنشر، أبو ظبي، ٢٠٠٩م
- د. أمير تاج السر، رعشات الجنوب (رواية)، دار الثقافة للنشر والتوزيع بالاشتراك مع الدار العربية للعلوم، ٢٠١٠م
- *د. أمير تاج السر، رواية ٣٦٦، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠١٤م
- د. أمير تاج السر، زحف النمل (رواية)، دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م
- *د. أمير تاج السر، صائد اليرقات (رواية)، ثقافة للنشر بأبي ظبي ودار الاختلاف بالجزائر، ٢٠١٠م
- *د. أمير تاج السر، ضغط الكتابة وسكرها (كتابات في الثقافة والحياة)، دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠١٤م
- د. أمير تاج السر، العطر الفرنسي (رواية)، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٩م
- د. أمير تاج السر، قلم زينب (سيرة روائية)، وزارة الثقافة والفنون والتراث، دولة قطر، ٢٠١١م
- د. أمير تاج السر، مرايا ساحلية (سيرة مبكرة)، المركز الثقافي العربي، بيروت (طبعة أولى)، ٢٠٠٠م: الدار العالمية للنشر، الخرطوم (طبعة ثانية)، ٢٠٠٣م
- د. أمير تاج السر، مهر الصياح (رواية)، دار ورد، دمشق (طبعة أولى)، ٢٠٠٤م: الدار العربية للعلوم ببيروت ودار الاختلاف بالجزائر (طبعة ثانية)، ٢٠٠٩م
- د. تاج السر الحسن، بين الأدب والسياسة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م
- *د. حمدي السكوت، الرواية العربية الحديثة ببليوجرافيا ومدخل نقدي(1865-1995)، الجزء الأول والخامس، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة،١٩٩٨م

- د. صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية، مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، دون تاريخ الطباعة
- د. عادل صادق، حب بلا زواج وزواج بلا حب، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م
- د. عبده بدوي، الشعر في السودان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨م
- د. عبد الحميد بورايو، الرواية: مدخل إلى المناهج والتقنيات المعاصرة للتحليل الأدبي، دار الحكمة، الجزائر، ٢٠٠٢م
- *د. نبيل راغب، كيف تصبح أديبا؟، مكتبة الأسرة برعاية السيدة سوزان مبارك، ٢٠٠٢م
- طه وادي، الرواية السياسية، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة، ١٩٩٤م
- عبد الرحمن منيف، الكاتب والمنفى: هموم وآفاق الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والمركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠١م
- عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة، دار المعارف، القاهرة،١٩٦٤م
- فيصل دراج وآخرون، أفق التحولات في الرواية العربية، دراسات وشهادات/ دراسات أدبية، الطبعة الأولى، دارة الفنون، عمان، ١٩٩٩م
- محسن المعاصفي، الرواية العربية: النشأة والتطور، الحياة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م
- محمد حسن عبد الله، الواقعية في الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٩١م
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، الجزء الثالث، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ الطباعة
- مصطفى عبد الغني، الاتجاه القومي في الرواية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٤م
- معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي، جامع معمر بن راشد، الجزء العاشر، ط٢، المجلس العلمي، باكستان، ١٤٠٣هـ
- منصور قيسومة، الرواية العربية: الإشكال والتشاكل، دار السهر، تونس، ١٩٩٧م

الجرائد والمجلات:

- جريدة الشرق الأوسط، رقم العدد:١٣٠٧٦، ١٦سمتمبر، ٢٠١٤م
- جريدة القدس العربي، العدد:٧٣٨٦، ١٩ مارس، ٢٠١٣م
- جريدة القدس العربي، العدد: ٨١٢٦، ٥ يونيو، ٢٠١٥م
- دراسات الأدب المعاصر، العدد السادس عشر، السنة الرابعة، شتاء ١٣٩١هـ
- صحيفة الرياض اليومية، العدد:١٦١٣٨، ٣٠ أغسطس، ٢٠١٢م
- صحيفة الرياض اليومية، العدد:١٦٦٦٥، ٨ فبراير، ٢٠١٤م
- صحيفة العرب، العدد: ٩٤٤٠، ١٦ يناير، ٢٠١٤م
- صحيفة العرب، العدد: ٩٥٥٧، ١٣ مايو، ٢٠١٤م
- صحيفة العرب، العدد: ٩٦٤١، ٧ أغسطس، ٢٠١٤م
- صحيفة العرب، العدد: ٩٨٥٥، ١٣ مارس، ٢٠١٥م
- صحيفة الوطن، العدد: ٦١٨٩، ١٣ أغسطس، ٢٠١٢م
- مجلة جمال للبحوث الأكاديمية على التخصصات، ٢٠١٥م
- مجلة الدوحة، العدد: ٧٩، مايو، ٢٠١٤م
- مجلة العلوم الإنسانية، مايو، ٢٠١٢م
- مجلة كلية الآداب واللغات، العدد الثامن، ٢٠١١م
- يومية الوحدة، العدد: العدد:٨٠٩٠، ٢٨ أغسطس، ٢٠١٣م

المصادر الإنجليزية:

- Ali b jad, Form and Technique in the Egyptian novel 1912-1971,Ithaca Press, London, 1983
- Arab Studies Quarterly, Vol. 30, No. 1, Winter 2008
- Fatma moussa Mahmood, The Arabic Novel in Egypt, General book Organization, Cairo,1973

- Hamdi sakoot, The Egyptian Novel and its Main Trends from 1913-1952, The American University in Cairo Press,1971
- Matti moosa, The Origins of Modern Arabic Fiction, Three Continents Press, New York, 1997
- Pierre Cachia, "The Narrative Genres": An Overview of Modern Arabic Literature, Edinburgh University Press, Edinburgh, 1990
- Research in African Literatures, Vol. 28, No. 3, Arabic Writing in Africa, Autumn 1997
- Roger Allen, The Arabic Novel: An Historical and Critical Introduction, Syracuse University Press,Syracuse,1982,1995
- Wen-chin Ouyang, Poetics of love in the Arabic Novel, Edinburgh University Press, 2012
- ZiadElmarsafy, Sufism in the Contemporary Arabic Novel, Edinburgh University Press, 2012

الموارد الأخرى:

- http://www.alfahl.net/
- http://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2013/5/19/
- http://www.al-madina.com/node/224999
- http://www.alowaisnet.org/
- http://www.alquds.co.uk/?p=103534
- http://barakasakin.blogspot.in/
- http://www.bayanealyaoume.press
- http://www.hammourziada.blogspot.in
- http://nmerisuliman.blogspot.in/2013/02/normal-0-false-false-false-en-us-x-none.html
- http://sudaneseonline.com
- http://www.sudantribune.net
- http://www.sudaress.com/alsahafa/12247
- http://www.theniles.org/
- http://www.youm7.com

Depiction of Society in Amir Taj as-Sir's Two Novels "Hunter of the Larvae" and "366"

Dissertation submitted to Jawaharlal Nehru University
In Partial fulfillment of the requirements for
the award of the degree of

MASTER OF PHILOSOPHY

By

MUHAMMED SHEREEF. I

Centre of Arabic and African Studies
School of Languages, Literature and Culture studies
Jawaharlal Nehru University
New Delhi, India- 110067
2015